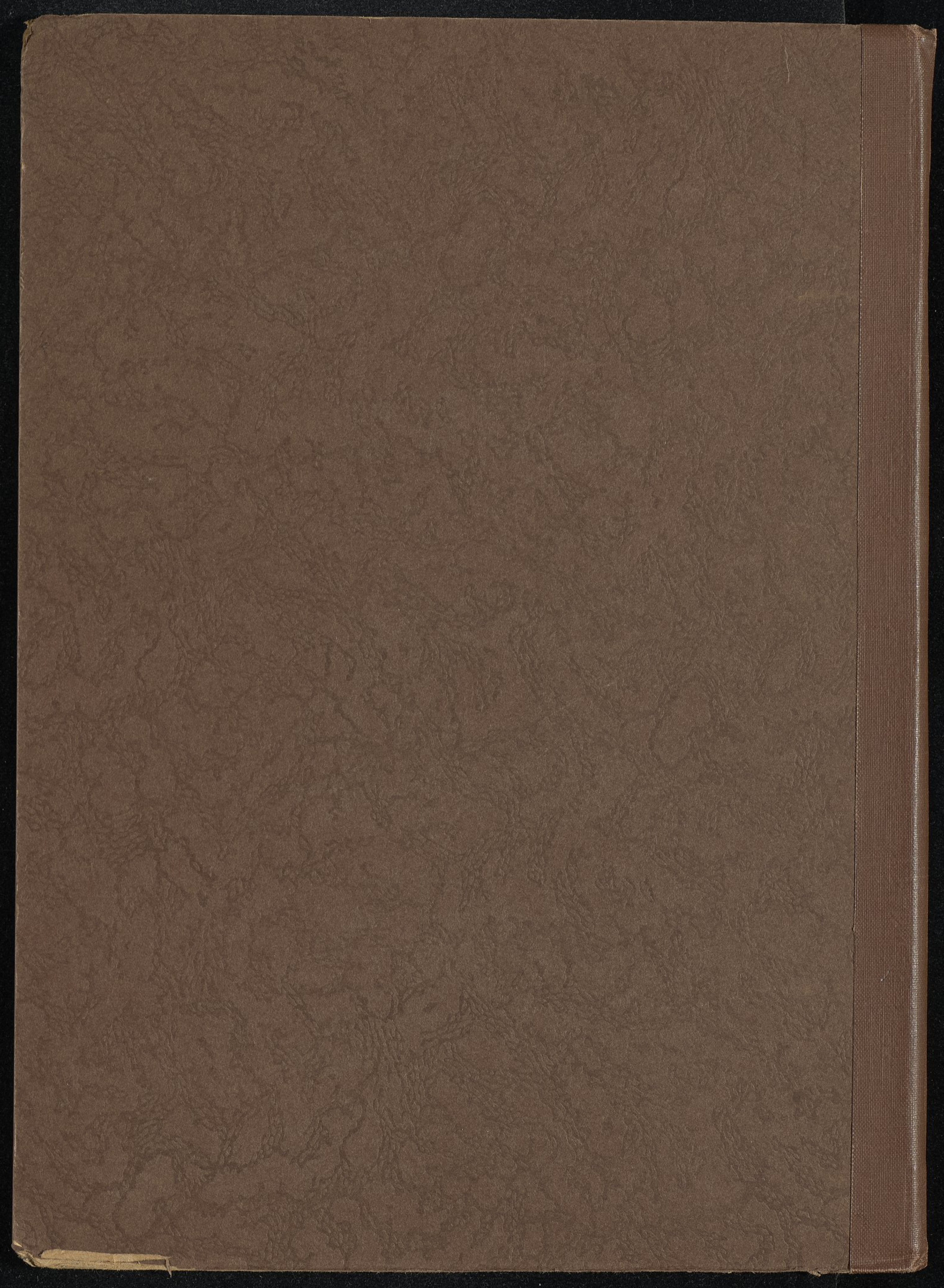
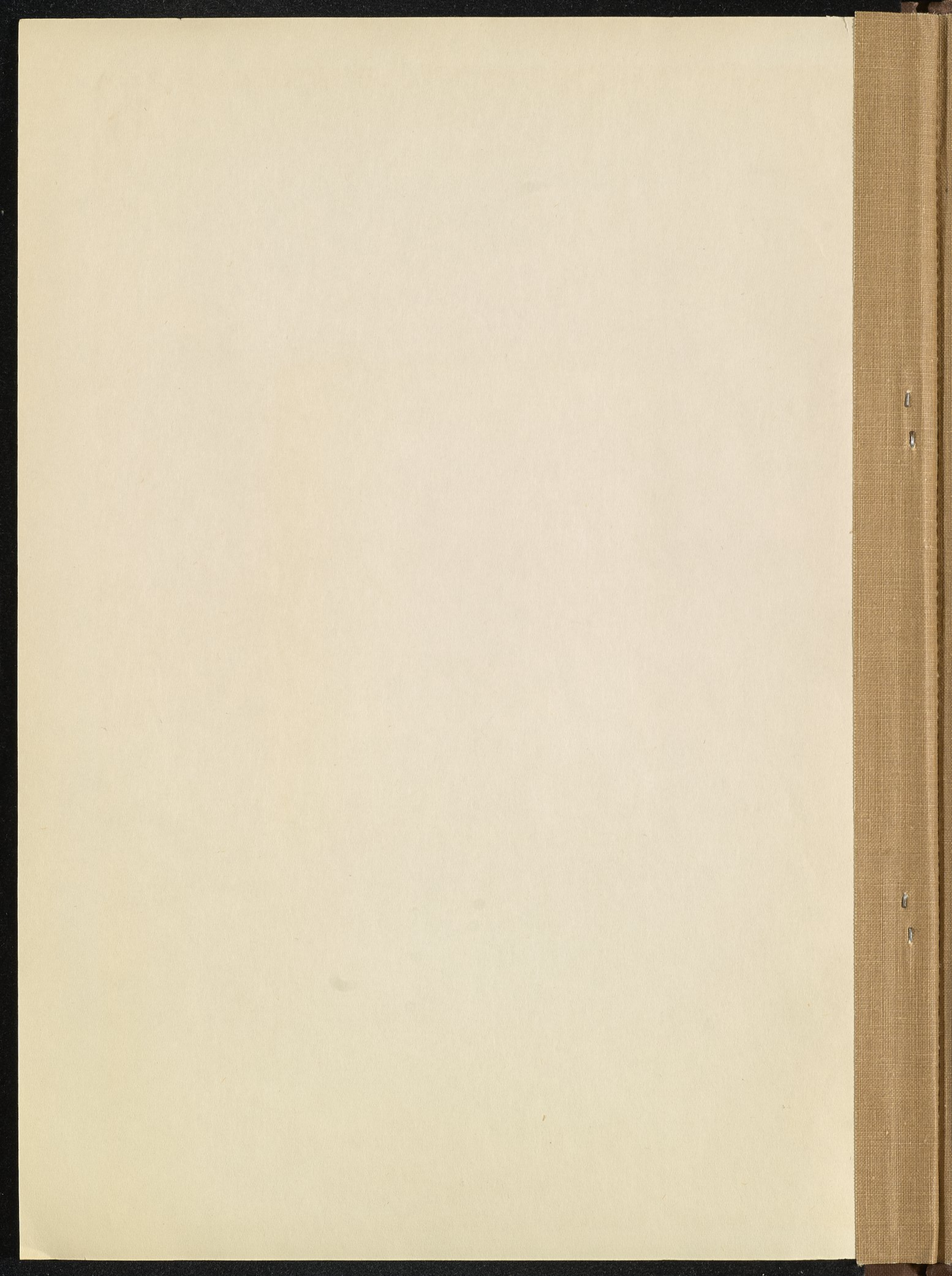
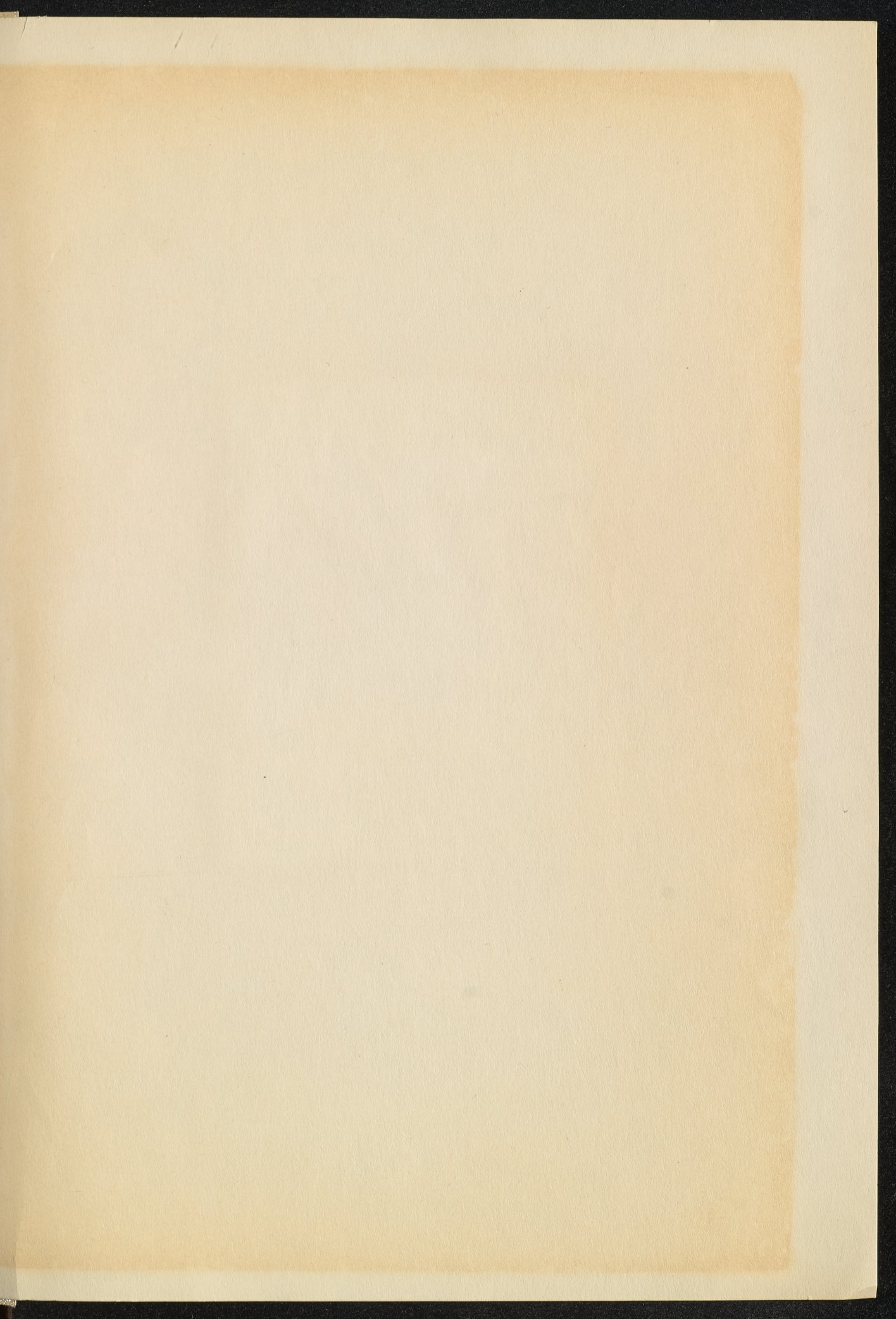



Gaylord
PAMPHLET BINDER
Syracuse, N. Y.
Stockton, Calif.


SIGILLVM · COLLEGII · COLVMBIAE · NOVI · EBORACI
IN LVMINE TVO VIDEBIMVS LVMEN





سلسلة مخطوطات الفاطميين

— ٣ —

كتاب
الهمة فى آداب اتباع الأئمة

للقاضى النعمان بن محمد المغربى

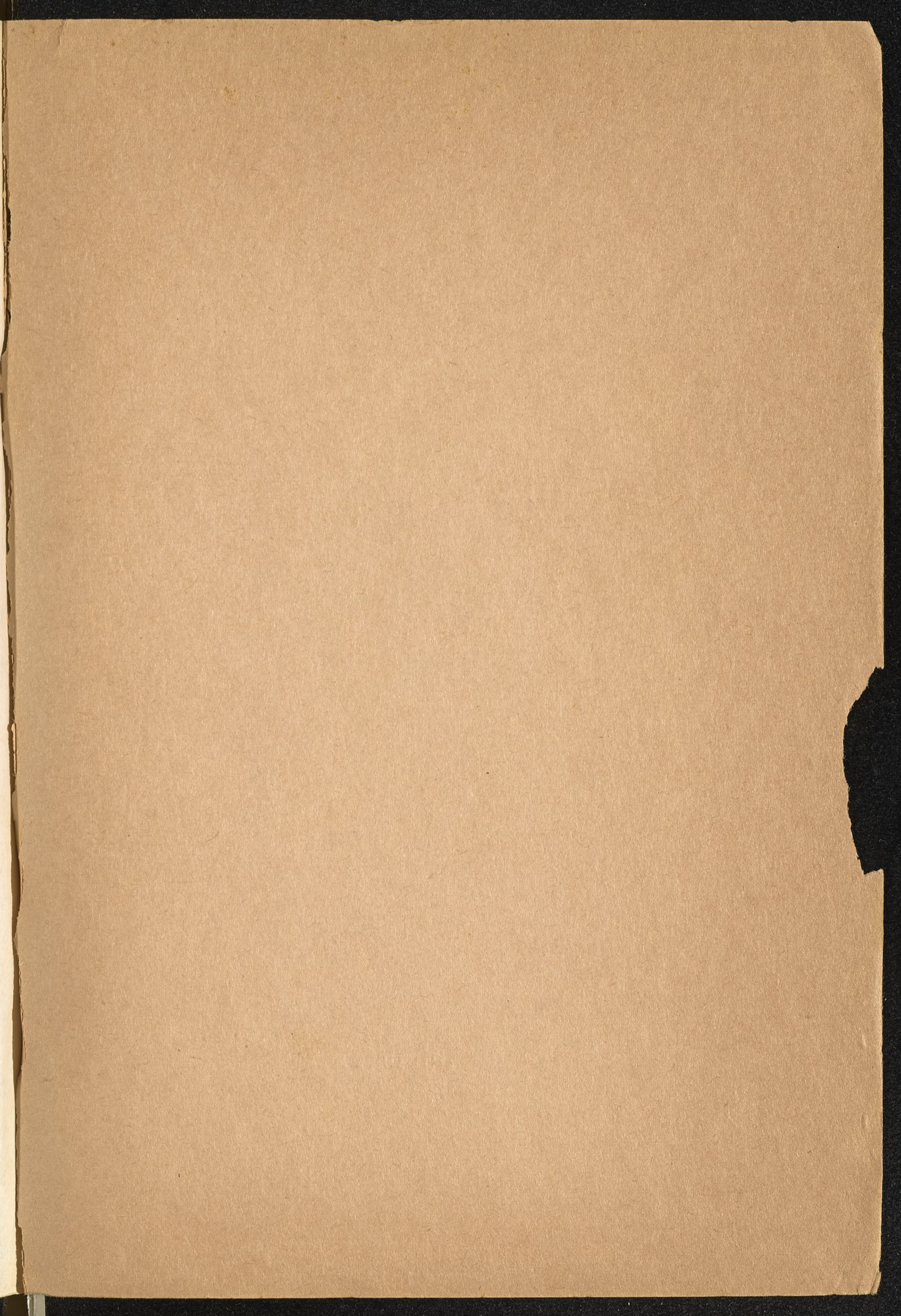
نشر وتحقيق

الدكتور محمد كامل حسين

بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول

ملتزم الطبع والنشر

دار الفكر العربى



سلسلة مخطوطات الفاطميين

— ٣ —

كتاب
الهمة فى آداب اتباع الأئمة

للقاضي النعمان بن محمد المغربي

نشر وتحقيق

الدكتور محمد كامل حسين

بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول

ملتزم الطبع والنشر

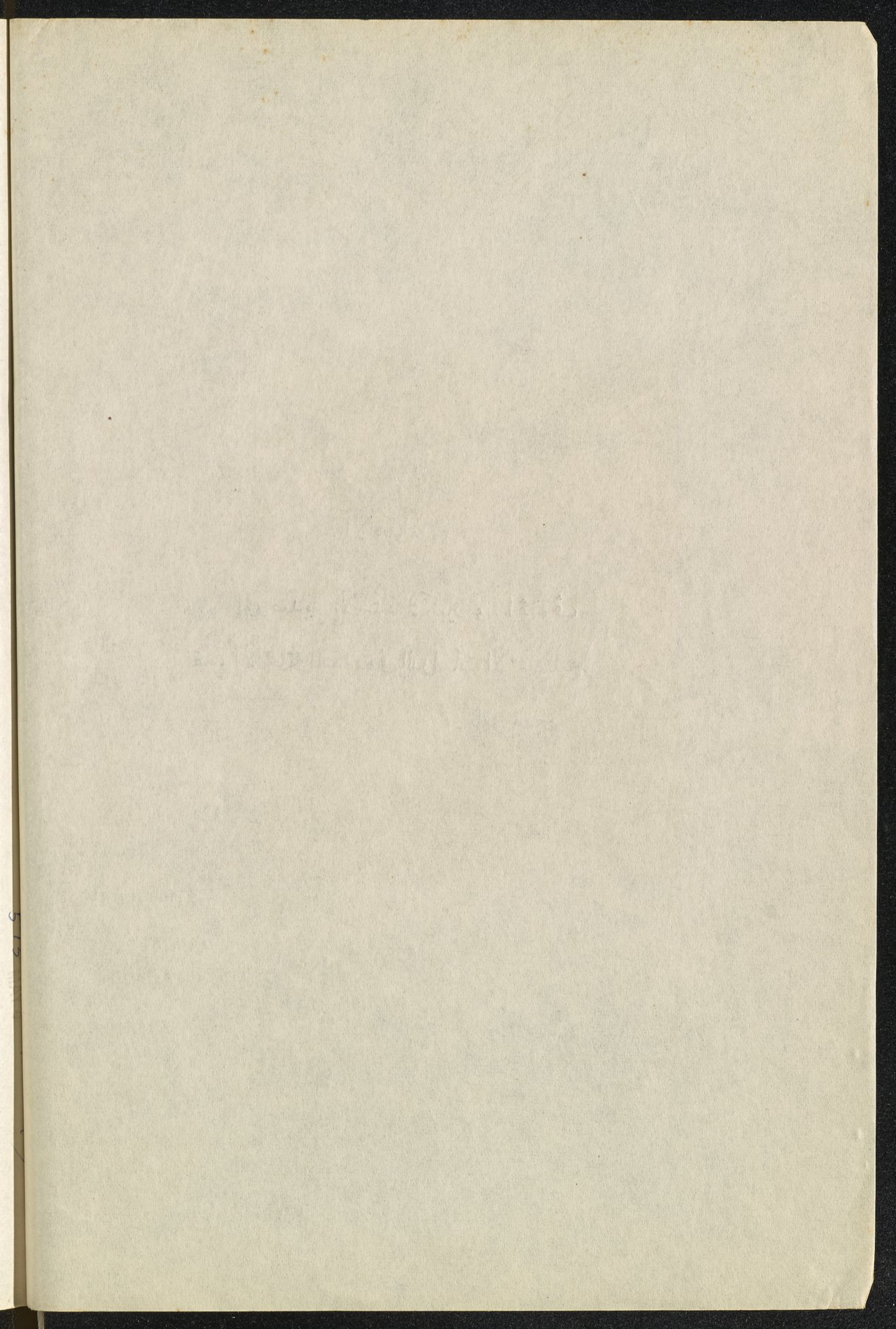
دار الفكر العربي

الاهداء

إلى صديق الأستاذ الكبير و . ايڤانوف

تقديراً لأبحاثه المتعددة فى الدراسات الأسماعيلية

محمد كامل حسين



بسم الله الرحمن الرحيم

تقدمة الناشر

مؤلف الكتاب : بنو النعمان

١ — لا أكاد أعرف فى تاريخ الدولة الفاطمية أسرة خدمت العلم والدعوة الفاطمية وأثرت فى الحياة العقلية فى مصر وغير مصر من البلاد التى شملتها الدعوة مثل أسرة النعمان . ومؤسس هذه الأسرة هو أشهر فقهاء المذهب الفاطمى ومن أكثرهم تأليفا للكتب وتعد مؤلفاته من الكتب الأساسية التى نهج على منوالها علماء المذهب ، بل لا تزال بعض كتبه إلى اليوم من أقوم كتب الدعوة . هذا الرجل هو القاضى أبو حنيفة النعمان بن أبى عبد الله محمد بن منصور بن حيون التميمى المغربى ، ويعرف فى تاريخ الدعوة الفاطمية باسم القاضى النعمان خوفا من أن يلتبس اسمه بأبى حنيفة النعمان صاحب المذهب السنى المعروف . لا نعرف متى ولد القاضى النعمان وقد رجح الأستاذ جوثيل أنه ولد سنة ٢٥٩ ﻫ [١] ويرجح آصف فيظى أنه ولد فى العشر الأخير من القرن الثالث[٢] ولا أدرى كيف بنى الأستاذ آصف فيظى رأيه هذا فإننا نعلم أن القاضى النعمان اتصل بالإمام عبيد الله المهدى بالمغرب ونعلم أن المهدى أسس دولته سنة ٢٩٦ ﻫ فبناء على رأى الأستاذ فيظى يكون النعمان إذ ذاك فى سن الطفولة . أما رأى الأستاذ جوثيل فهو لا يخلو من غرابة أيضا لجميع المؤرخين اتفقوا على أن النعمان توفى بمصر فى أواخر سنة ٣٦٣ ﻫ وأنه شارك فى القضاء بمصر إلى أن توفى ، فيكون قد عمر أكثر من مائة عام ولعل من يعمر دهراً كاملا لا يصلح للقضاء فى أواخر سنى حياته ، ولذلك لا أستطيع أن أوافق الأستاذ جوثيل ومن تبعه من الباحثين .

لم يصلنا شىء عن نشأته الأولى ولا عن أسرته إلا ما رواه ابن خلكان أن والده أبا عبدالله محمدا عمر طويلا . وكان يحكى أخبارا كثيرة وتوفى فى رجب سنة ٣٥١ ﻫ

---

(١) J. A. O. S 1907 Vol XXVII P 227.

(٢) J. R. A. S. P.I. 1934.

وصلى عليه ولده النعمان وأنه دفن بأحد أبواب القيروان[١] ، ولعل ما رواه ابن خلكان عن أبى النعمان كان سبب قول جوثيل إنه كان من رجال الأدب ! ، ومهما يكن من شيء فحياة الأسرة غامضة أشد الغموض ولم يذكر المؤرخون شيئا عنها ولم يحدثنا النعمان نفسه فى كتبه التى وصلتنا عن أسرته ونشأته قبل قيام الدولة الفاطمية بالمغرب سنة ٢٩٦ هـ غير ما ذكره ابن خلكان أنه كان مالكى المذهب ثم اعتنق مذهب الفاطميين[٢] ، ولكن مؤرخى الشيعة يذهبون إلى أن النعمان كان مالكى المذهب ثم تحول إلى مذهب الشيعة الاثنى عشرية ثم تحول إلى مذهب الإسماعيلية الفاطمية[٣] ، ويذهب أبو المحاسن ابن تغرى بردى إلى أن النعمان كان حنفى المذهب قبل أن يعتنق المذهب الفاطمى[٤] ، واذا أمعنا النظر فى هذه الخلافات وجدنا أن الأرجح هو ما رواه ابن خلكان ، فالمذهب المالكى هو المذهب الذى كان يسود شمال أفريقيا والأندلس ، وأن المذهب الحنفى كان قليل الانتشار بين المسلمين فى أفريقيا ، وان خاصة تلاميذ مالك كانوا مصريين وعن مصر انتقل هذا المذهب المالكى الى شمال أفريقيا والأندلس ، وساد هذه البلاد حتى قل أن نجد فيها مذهبا آخر من مذاهب أهل السنة ، وان كان مذهب الشافعى أخذ ينمو ويقوى فى مصر حتى صار ينافس مذهب مالك ففى ولاية الاخشيد على مصر كان للمالكية خمس عشرة حلقة ومثلها للمذهب الشافعى وليس للمذهب الحنفى سوى ثلاث حلقات[٥] فمذهب أبى حنيفة كان قليل الأثر فى بلاد المغرب ، فمن المرجح إذن أن النعمان كان على المذهب السائد فى بلاد المغرب وهو المذهب المالكى ؛ ويذهب الأستاذ فيظى الى أن النعمان كان اسماعيلى المذهب منذ نعومة أظفاره وأنه اتخذ التقية خوفا على نفسه وعلى مذهبه ولكن لم يحدثنا مؤرخ واحد عن اسماعيلية القاضى النعمان قبل ظهور المهدى بالمغرب سنة ٢٩٦ هـ ، حقيقة وجد فى المغرب دعاة لمذهب الاسماعيلية قبل تأسيس الدولة الفاطمية وأن هؤلاء الدعاة هم الذين مهدوا لقيام هذه الدولة ، ويذكر المؤرخون

---

(١) ابن خلكان ج ٢ ص ١٦٦

(٢) شرحه

(٣) المستدرك ج ٣ ص ٣١٣

(٤) النجوم الزاهرة ج ٤ ص ٢٢٢

(٥) المغرب ج ٤ ص ٢٤

من هؤلاء الدعاة الحلوانى وأباسفيان وأباعبد الله الشيعى وأخاه العباس وغيرهم[١] ولكننا لا ندرى أين كان الحلوانى وأبو سفيان يدعوان ، ولا نعرف القبائل التى استجابت لها ، أما الشيعى فكان بين الكتاميين والقاضى النعمان ليس منهم بل هو تميمى الأصل . ولعل الأستاذ فيظى اتخذ بعض كتب الإسماعيلية المتأخرين مصدرا له فى ذلك ، وهذه الكتب ليست دقيقة فى الناحية التاريخية كما أن مؤلفيها زجوا بأكثر علماء المسلمين ومجتهديهم فى زمرة الاسماعيلية ، فاسماعيلية القاضى النعمان قبل ظهور المهدى لا تزال فى حاجة الى التحقيق .

ظهر عبيد الله المهدى على مسرح السياسة وأسس الدولة الفاطمية سنة ٢٩٦ ﻫ بعد أن هزم الأغالبة واحتل ديارهم ، فدخل فى دعوته عدد كبير من أبناء المغرب ومنهم القاضى النعمان ، ويقول بعض المؤرخين أن المهدى استخدمه فى بعض الأعمال ويخيل لى أن النعمان كان فى ذلك الوقت قد عرف بالفقه فقربه المهدى اليه ليستفيد من علمه فى نشر دعوته وربما عينه المهدى قاضيا فى بعض النواحى ، وفى عهد القائم بأمر الله الفاطمى اشتدت صلة النعمان به وولاه القائم قضاء أطرابلس الغرب ، ولما بنى المنصور مدينته (المنصورية) كان النعمان أول من ولى قضاءها وقضاء سائر مدن أفريقية ؛ ويقول النعمان فى كتابه المجالس والمسايرات عن ذلك «ولما أرحلنى المنصور بالله عن مدينة أطرابلس الى الحضرة المرضية وافق وصولى اليها غداة يوم الجمعة ، فخلع على — عليه السلام — يوم وصولى وقلدنى وأمرنى بالسير من يومى الى المسجد الجامع بالقيروان واقامة صلاة الجمعة فيه والخطبة اذ لم يكن يومئذ بالمنصورية جامع ، وأمر بجماعة من بوابى القصر الأعظم بالمشى بين يدى بالسلاح الى أن صليت وانصرفت . ثم خرج توقيعه من غد الى ديوان الرسائل بأن يكتبوا لى عهدا بالقضاء بمدن المنصورية والقيروان والمهدية وسائر مدن أفريقية وأعمالها»[٢]

وهكذا أصبح النعمان قاضى قضاة الفاطميين إلى أن تولى المعز لدين الله سنة ٣٤١ ﻫ الإمامة فاشتدت صلة النعمان به فكان يجالسه ويسايره بعد أن كان مستوحشا منه قبل ولايته العرش ، وذكر النعمان فى كتابه « المجالس والمسايرات »

---

(١) افتتاح الدعوة للقاضى النعمان نسخة خطية بمكتبتى

(٢) المجالس والمسايرات ورقة ١٤٨ نسخة خطبة بمكتبتى

صورة خطاب وصله من المعز لدين الله ردا على رقعة رفعها إليه النعمان جاء فيه : صانك الله يا نعمان ، وقفت على كل الذى وصفته فى رقعتك هذه واستدللت من لفظك على شىء قد تبين لى منك فتورك على ما كنت عليه من الانبساط والاستراحة إلينا فيما عساه يعرض لك ويقع إليك ، فرأيت منك انقباضا أوحشنى إذ لم يكن له سبب ولا علة توجبه ، بل الأمل فيك خلاف ما يسمو إليك أملك من التشريف والتنويه باسمك ورفع منزلتك ، إذ لم أكن أطلع إلا على خبر وأحوال يجب أن يكون عليها كل ولى لنا مثلك ، وكان الأولى بك التزيد فى السعى المجهر ، وليكون حالك حالا يغبطك بها الولى ويكيدك عليها العدو ، وفقك الله وسددك . والذى وصفته من حالك مع من صلى الله عليه وألحقنا به ، فحالك لم يخف علينا بل كنا أصلها وفرعها ، وإن كان الشخص الجسمانى المقدس غائبا عن أبصارنا ونقل إلى سعة رحمة الله فإن المادة الروحانية متصلة غير منقطعة والحمد لله رب العالمين ، فمولاك مضى ، وإمامك خلف فاحمد الله واشكره وسلم لأمره واكتب إلىّ بما عساك تجد ذكره ليأتك من أمرنا ما تعمل عليه إن شاء الله »[1] فهذا الخطاب يدل على أن النعمان كان يتوقع أن يعزل عن القضاء بعد وفاة المنصور ، ولكن المعز آثره وقربه فأصبح النعمان جليسه ومسايره ، ووضع النعمان كتابه المجالس والمسايرات جمع فيه كل ما رآه وما سمعه من إمامه المعز .

ولما رحل المعز من المغرب إلى مصر سنة ٣٦٢ هـ صحب معه بنى النعمان — وكان النعمان يتولى قضاء الجيش — إلى مصر وكان الناس يتحدثون بأن النعمان يولى قضاء مصر ، ولكن المعز لدين الله بعد أن استقر بمصر ترك القضاء لأبى طاهر محمد ابن أحمد الذهلى الذى كان على قضاء مصر منذ سنة ٣٤٨ هـ وطلب إلى هذا القاضى أن يحكم بفقه الفاطميين ، فكان القاضى يسترشد فى أحكامه بالقاضى النعمان إلى أن توفى النعمان سنة ٣٦٣ هـ بمصر . ويقول ابن حجر إن النعمان كان يسكن الفسطاط ويغدو منها إلى القاهرة فى كل يوم [2] ، ولا ندرى سبب سكناه الفسطاط مع ما كان عليه من قرب من المعز ، فقد كان المعز يحب أن يقيم معه فى القاهرة كل المقربين اليه من حاشيته وخاصته .

---

(١) المجالس والمسايرات ورقة ٥١ ب

(٢) رفع الإصر ورقة ١٣٦ نسخة خطية بدار الكتب المصرية

ويروى ابن خلكان عن المسبحى أن النعمان كان من أهل العلم والفقه والدين والنبل مالا مزيد عليه [١] ويروى أيضا عن ابن زولاق أن النعمان بن محمد القاضى كان فى غاية الفضل من أهل القرآن والعلم بمعانيه ، وعالما بوجوه الفقه ، وعلم اختلاف الفقهاء ، واللغة والشعر الفحل والمعرفة بأيام الناس مع عقل وإنصاف [٢] . وكل من تحدث عن النعمان من المؤرخين يذكرون فضله وعلمه ، وتدلنا مؤلفاته العديدة على ما ذكره المؤرخون عنه ، فلا غرابة أن رأينا كتبه عمدة كل باحث فى المذهب الفاطمى وأنها الأصل الذى استقى منه علماء المذهب بعده ، فلا أكاد أعرف عالما من علماء الدعوة اختلف مع النعمان فى المسائل الفقهية ، وربما كان ذلك لأن النعمان قال فى كتابه المجالس والمسايرات أكثر من مرة إن الإمام المعز لدين الله طلب إليه أن يلقى على الناس شيئاً من علم أهل البيت ، فألف النعمان كتبه وكان يعرضها على المعز فصلا فصلا وبابا بابا حتى أتمها . فهو يقول مثلا « أمدنى المعز لدين الله بجمع شىء لخصه لى وجمعه وفتح لى معانيه وبسط لى جملته فابتدأت منه شيئاً ثم رفعته إليه ، واعتذرت من الإبطاء فيه لما أردته من إحكامه ورجوته من وقوع ما جمعته منه بموافقته فطالعته فى مقداره . فوقع إلى : يا نعمان لا تبال كيف كان القدر مع اشباع فى ايجاز ، فكلما أوجزت فى القول واستقصيت المعنى فهو أوفق وأحسن ، والذى خشيت من أن يستبطأ فى تأليفه فوالله لولا توفيق الله عز وجل إياك وعونه لك لما تعتقده من النية ومحض الولاية لما كنت تستطيع أن تأتى على باب منه فى أيام كثيرة ولكن النية يصحبها التوفيق » [٣] إلى أمثال ذلك من النصوص الكثيرة التى تدل على أن المعز لدين الله كان يدفعه إلى تأليف الكتب بعد أن يوضح له فكرتها ، وأن النعمان كان يعرض كتبه على المعز قبل أن ينشرها على الناس كما طلب اليه المعز أن يقرأ مجالس الحكمة التأويلية ، ولعل هذا هو السبب الذى من أجله لقبه المؤرخ ابن زولاق بالداعى [٤] ، وليس لدينا من النصوص ما يثبت أن النعمان كان من الدعاة ، فالداعى إدريس فى كتابه « عيون الأخبار » قال إن النعمان

---

(١) ابن خلكان ج ٢ ص ١٦٦

(٢) شرحه

(٣) المجالس والمسايرات ورقة ٧٥ ب

(٤) ابن خلكان ج ٢ ص ١٦٦

كان فى مكانة رفيعة جدا قريبة من الأئمة ، وأنه كان دعامة من دعائم الدعوة ، ولكنه لم يصرح بأن النعمان كان داعيا أو حجة مع ما نعرفه عن الداعى إدريس من إغداق المدح على كل من اتصل بالدعوة . ومهما يكن من شىء ، فالنعمان كان داهية فى سياسته التى قربته إلى الأئمة فقد استطاع بعلمه أن يجذب اليه قلوبهم فقربوه اليهم ، وعرف أسرارهم ونواياهم فوضع هذه الكتب العديدة وادعى أن الأئمة هم الذين لقنوه إياها . بل لعلى لا أغالى إذا قلت إن النعمان هو أول من دون فقه المذهب الفاطمى ، فلا أكاد أعرف فقيهاً من فقهاء المذهب قبله كتب فى هذا الفن ، حقيقة لا أجد كبير اختلاف بين فقه الشيعة عامة وفقه الفاطميين إلا فى زواج المتعة التى حرمها الفاطميون ؛ وأن فقه الشيعة كان مدونا قبل النعمان ، ولكنى لا أعرف أن الفقه الفاطمى الاسماعيلى قد دون قبل النعمان ، وبين يدى كتاب « المرشد إلى أدب الاسماعيلية » وهو ثبت لأسماء المؤلفين والكتب الإسماعيلية على اختلاف فنونها ، وبين يدى مجموعة خطية قديمة لمؤلف مجهول جمع أسماء الكتب التى ألفت منذ أوائل ظهور الدعوة الاسماعيلية ، فلم أعثر فى هذين الثبتين على كتاب واحد فى الفقه الإسماعيلى قبل كتب النعمان بن محمد ، فلا غرو أن يعرف المعز لدين الله فضل هذا العالم وأن يرفعه إلى أعلى الدرجات وأن يقول عنه « من يؤدى جزءا من مائة مما أداه النعمان أضمن له الجنة بجوار ربه »(١) ويحدثنا المؤيد فى الدين هبة الله الشيرازى داعى دعاة المستنصر فى السيرة المؤيدية أن الوزير اليازورى قال له « إن النعمان بنى هذا الأمر وأن أحق الناس بمكانه أبناؤه »(٢)

أما عن الكتب التى وضعها النعمان لأهل الدعوة فيقول ابن خلكان : إن النعمان ألف لأهل البيت من الكتب آلاف أوراق بأحسن تأليف وأملح سجع ، وعمل فى المناقب والمثالب كتابا حسنا ، وله ردود على المخالفين ، له رد على أبى حنيفة وعلى مالك والشافعى وعلى ابن سريج ، وكتاب اختلاف الفقهاء ينتصر فيه لأهل البيت وله القصيدة الفقهية لقبها بالمنتخبة (٣). وذكر الأستاذ ايفانوف فى كتاب « المرشد إلى أدب الإسماعيلية » كتب النعمان وقسمها إلى :

---

(١) كتاب عيون الأخبار جـ ٦ ص ٤١

(٢) السيرة المؤيدية من مطبوعات دار الكاتب المصرى

(٣) ابن خلكان جـ ٢ ص ١٦٦

ا — كتب الفقه :

(١) كتاب الايضاح (٢) مختصر الايضاح (٣) كتاب الإخبار فى الفقه (٤) مختصر الآثار فيما روى عن الأئمة الأطهار وهو كتاب متداول الآن بين طائفة البهرة (٥) الاقتصار . وهو كتاب متداول معروف (٦) القصيدة المنتخبة وربما كانت نظم كتاب الاقتصار (٧) دعائم الاسلام فى ذكر الحلال والحرام والقضايا والاحكام (٨) كتاب منهاج الفرائض (٩) كتاب الاتفاق والافتراق (١٠) المقتصر (١١) كتاب الينبوع .

ب — كتب الاخبار :

(١) شرح الاخبار فى فضائل الأئمة الاطهار فى ستة عشر جزءا (٢) قصيدة ذات المحنة وهى منظومة فى ثورة ابى يزيد مخلد بن كيداد الخارجى (٣) قصيدة ذات المنن منظومة فى بعض حوادث وقعت للمعز .

ج — كتب الحقائق :

(١) دعائم الاسلام (٢) تأويل الشريعة (٣) أساس التأويل (٤) شرح الخطب التى لأمير المؤمنين على (٥) كتاب التوحيد والامامة (٦) اثبات الحقائق فى معرفة توحيد الخالق (٧) حدود المعرفة فى تفسير القرآن والتنبيه على التأويل (٨) نهج السبيل إلى معرفة علم التأويل (٩) الراحة والتسلى .

د — فى الرد على المخالفين :

(١) إختلاف المذاهب (٢) الرسالة المصرية فى الرد على الشافعى (٣) الرد على ابن سريج البغدادى (٤) ذات البيان فى الرد على ابن قتيبة (٥) دامع الموجز فى الرد على العتقى .

هـ — كتب فى العقائد :

(١) قصيدة المختارة (٢) كتاب الهمة فى آداب اتباع الأئمة (٣) كتاب الطهارة (٤) الأرجوزة (٥) مفاتيح النعمة (٦) كتاب الدعاء (٧) كتاب عبادة يوم وليلة (٨) كيفية الصلاة على النبى (٩) التعقيب والانتقاد

(١٠) كتاب الحلى والثياب (١١) كتاب الشروط (١٢) منامات الأئمة (١٣) تأويل الرؤيات (١٤) التقريع والتعنيف .

و — كتب فى الوعظ والتاريخ :

(١) رسالة إلى المرشد الداعى بمصر فى تربية المؤمنين (٢) المجالس والمسايرات والمواقف والتوقيعات (٣) معالم المهدى (٤) المناقب لأهل بيت رسول الله (٥) افتتاح الدعوة .

هذه هى الكتب التى ذكر الأستاذ ايفانوف أنها من تصنيف القاضى النعمان وبعضها ورد ذكره فى المجموعة الخطية التى أشرت إليها سابقا ، وأكثر هذه الكتب مفقود ، وبعضها فى خزائن أصحاب الدعوة الذين يحرصون عليها ويسترونها أشد الستر . ولعل أهم كتاب خالد للنعمان هو كتاب دعائم الاسلام ، وهو الكتاب الذى أمر الظاهر الفاطمى بأن يحفظه الناس وجعل لمن يحفظه مالا جزيلا ، ويشتمل هذا الكتاب على فقه الفاطميين كله ، فدعائم الاسلام عندهم الولاية والطهارة والصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد ، ولكل فريضة من هذه الفرائض أصول وفروع وآداب ، تحدث عنها القاضى النعمان بشىء من الإطناب ويروى ما ورد فى كل فريضة من آيات قرآنية وأحاديث نبوية وما جاء عن الأئمة الفاطميين ، ويظهر فى هذا الكتاب تأثر القاضى النعمان بمذهب مالك ، فقل أن تجد خلافاً بين فقه مالك وما ورد فى كتاب دعائم الاسلام الا ما ورد عن الولاية ، وتظهر قيمة هذا الكتاب عند علماء المذهب أن داعيين من أكبر دعاتهم ذكراه فى كتبهما واعتمدا عليه ونوها به أما الداعى الأول فهو أحمد حميد الدين بن عبدالله الكرمانى المتوفى سنة ٤١٢ ﻫ فقد ذكر فى السور الأول من كتاب راحة العقل أسماء الكتب التى يجب أن تقرأ قبل قراءة راحة العقل وذكر بينهما كتاب دعائم الاسلام ؛ أما الداعى الثانى فهو المؤيد فى الدين هبة الله بن موسى الشيرازى المتوفى سنة ٤٧٠ ﻫ فقد ذكر فى السيرة المؤيدية أنه كان يعقد مجلسا خاصا كل يوم خميس يقرأ فيه على السلطان أبى كاليجار البويهى فصلا من كتاب دعائم الاسلام . ويعتبر هذا الكتاب الآن من أقوم كتب الاسماعيلية ومن كتبهم السرية مع أنه فى علم الظاهر أى فى العبادة العملية ومع

حرصهم على سريته فقد حصلنا على نسخة منه فى جزأين . وقد علمت من صديقى الأستاذ فيظى أن هذا الكتاب سيطبع قريبا .

أما الكتاب الثانى الهام من كتب النعمان فهو كتاب « تأويل دعائم الاسلام » واسم الكتاب الكامل كما ورد فى متن الكتاب « كتاب تربية المؤمنين بالتوفيق على حدود باطن علم الدين فى تأويل دعائم الاسلام » وهو فى ذكر التأويل الباطنى للأحكام والفرائض التى وردت فى كتاب دعائم الاسلام وهو من أهم كتب التأويل عند الاسماعيلية وعليه اعتمد الدعاة بعد النعمان[1] . وقد توفى النعمان قبل أن يتمم كتابه هذا وقد وصلتنا نسخة منه فى جزأين .

وحدثنا القاضى النعمان عن بعض كتبه فقال عن كتاب وضعه باسم « كتاب الدينار » : سألنى بعض القضاة والحكام والطلبة بسط كتاب مختصر من قول أهل البيت (ص) لهم ، يقرب معناه ويسهل حفظه ، وتخف مؤونته ، فابتدأت شيئا منه وقدرت أن الكتاب إذا كمل قام على من يريد استنساخه بدينار فما دونه ، وسميته كتاب الدينار وذكرت ذلك فى بسط افتتاحه ، ورفعت ما ابتدأته منه إلى المعز لدين الله وطالعته فيه وسألته قراءته عليه وسماعه منه ليكون مأثوراً عنه وكتبت مع ما رفعته منه إليه رقعة ذكرت فيها ذلك له . فوقع إلى بخطه فى ظهرها : بسم الله الرحمن الرحيم . صانك الله يا نعمان ، وقفت على الكتاب وتصفحته ، فرأيت ما أعجبنى فيه من صحة الرواية وجودة الاختصار ولكن فيه كلمات تعتاص على كثير من أوليائنا معرفتها فاشرحها بما يقرب منه أفهامهم فيستوى فى معرفته والإحاطة بعلم ألفاظه الشريف والمشروف ، فإنه يجىء طريفاً قريب المأخذ وسمه « كتاب الاختصار لصحيح الآثار عن الأئمة الأطهار » فإن ذلك أشبه به من كتاب الدينار لأن فيه من علم أولياء الله ما يحث على كافة الخلق طلبه بأرواحهم فضلا عن أموالهم ؛ وهذا الاسم يضع من قدره عند ذوى النعم ويرون أنهم يصلون إليه وإلى ما هو أجل منه ببذل اليسير من حطام دنياهم ... الخ[2] من هذا نستطيع أن نؤيد ما ذهبنا إليه من أن القاضى النعمان بن محمد هو الذى وضع هذه العلوم التى

---

(١) راجع ماذكرناه عن ذلك فى كتاب المجالس المستنصرية (من مطبوعات دار الفكر العربى)

(٢) المجالس والمسايرات ورقة ٧٤ ب

سماها الفاطميون بعلوم أهل البيت ، وأنه تملق الأئمة بنسبة هذه الكتب إليهم ، فلا غرو إذا عد النعمان عندهم من أكبر علماء الدعوة وفقيهها الأعظم .

وهذا القاضي الفقيه هو مؤلف كتاب الهمة الذى ننشره الآن

كان القاضي النعمان بن محمد رأس هذه الأسرة ومؤسسها ، وجاء بعده أبناؤه وأحفاده يتممون ما بدأه هو . فقد عرفوا جميعا بالعلم وعلم الفقه على نحو خاص وتولوا القضاء والدعوة فى مصر إلى عصر المستنصر بالله الفاطمى [٤٢٧—٤٨٧ﻫ ١٠٣٥—١٠٩٤ م] . أما أفراد هذه الأسرة الذين وصلنا أخبار عنهم فهم :

القاضي أبو حنيفة النعمان بن محمد توفى سنة ٣٦٣ ﻫ

أبو عبد الله محمد توفى سنة ٣٨٩ ﻫ — أبو الحسين على توفى سنة ٣٧٤ ﻫ

أبو القاسم عبد العزيز قتل سنة ٤٠١ ﻫ (ابن أبى عبد الله محمد)

أبو محمد القاسم توفى سنة ٤٤١ ﻫ

محمد بن القاسم ؟ — (غير معروف الاسم) ؟

أبو عبد الله الحسين توفى سنة ٣٩٥ ﻫ — النعمان بن على ؟ (ابنا أبى الحسين على)

٢ — أبو الحسين على بن النعمان ولد بالقيروان فى رجب سنة ٣٢٨ﻫ (١) ، وقدم مصر مع باقى أفراد الأسرة فى صحبة المعز لدين الله . ولما توفى والده النعمان اشترك على بن النعمان فى قضاء مصر مع أبى طاهر الذهلى فظلا يقضيان حتى توفى المعز وولى العزيز ، وعرض لأبى طاهر القاضى مرض الفالج ، ففوض العزيز القضاء إلى على بن النعمان وذلك فى صفر سنة ٣٦٦ ، وظل متفرداً بالقضاء وافر الحرمة عند العزيز حتى أصابته الحمى وهو بالجامع يقضى بين الناس فقام من وقته ومضى إلى داره وأقام عليلا أربعة عشر يوما إلى أن توفى يوم الاثنين لست خلون من رجب سنة ٣٧٤ ﻫ وصلى عليه الامام العزيز . وعلى بن النعمان اول من لقب بقاضى القضاة فى مصر ، وكان عالما فقيها مثل أبيه . وأورد له الثعالبى شيئاً من شعره مثل قوله :

ولى صديق ما مسنى عدم مذ وقعت عينه على عدمى

(١) رفع الاصر ورقة ٨٥ ب

أغنى وأقنى فما يكلفنى تقبيل كف له ولا قدم
قام بأمرى لما قعدت به ونمت عن حاجتى ولم ينم (١)

ومن شعره أيضا :

صديق لى له أدب صداقة مثله نسب
رعى لى فوق ما يرعى وأوجب فوق ما يجب
فلو نفدت خلائقه لبهرج عندها الذهب (٢)

فمن هذه الأبيات القليلة نستطيع أن ندرك أنه كان شاعراً رقيق الشعر عذب الديباجة متلاعباً باللفظ ، ومن سوء حظ تاريخ الأدب أن يضيع شعر أمثال هؤلاء الشعراء . ولا أدرى من أين استقى الأستاذ آصف فيظى أن أبا الحسن على ابن النعمان كان فى مرتبة داعى الدعاة ، فليس لدينا من النصوص ما يؤيد ذلك بل الذى ذكره المؤرخون أن أول من أضيفت إليه الدعوة من قضاة الفاطميين هو ولده الحسين بن على بن النعمان ، على نحو ما سنذكره بعد .

٣ — ولما توفى على بن النعمان ارسل الإمام العزيز بالله إلى أبى عبد الله محمد ابن النعمان يقول : « إن القضاء لك من بعد أخيك ولا نخرجه من هذا البيت (٣) » وهكذا ولى محمد بن النعمان مرتبة قاضى القضاة وكان فى حياة أخيه ينوب عنه فى القضاء . فقد حدث أن العزيز لما سار لحرب القرامطة سنة ٣٦٨ هـ اصطحب معه على بن النعمان وأناب محمد بن النعمان فى القضاء . وولد محمد بالمغرب سنة ٣٤٥ هـ (٤) وقدم القاهرة مع أسرته وكان جيد المعرفة بالأحكام متفننا فى علوم كثيرة حسن الأدب والدراية بالأخبار والشعر وأيام الناس (٥) ، وقد مدحه الشاعر عبد الله ابن الحسن الجعفرى السمرقندى بقوله :

تعادلت القضـــاة على أما أبو عبد الإله فلا عـديل
وحيـد فى فضائله غريب خطير فى مفاخره جليـــل
تألق بهجة ومضى اعتزاما كما يتألق السـيف الصقيل

---

(١) يتيمة الدهر ج ١ ص ٣٠٥
(٢) اليتيمة ج ١ ص ٣٠٦
(٣) ابن خلكان ج ٢ ص ١٦٧
(٤) رفع الإصر ص ١٢٩
(٥) ابن خلكان ج ٢ ص ١٦٨

ويقضى والسداد له حليف ويعطى والغمام له زميل
لو اختبرت قضاياه لقالوا يؤيده عليها جبرئيل
إذا رقى المنابر فهو قس وإن حضر المشاهد فالخليل

فلما قرأ محمد بن النعمان هذه القصيدة كتب إلى الشاعر :

قرأنا من قريضك ما يروق بدائع حاكها طبع رقيق
كأن سطورها روض أنيق تضوع بينها مسك فتيق
إذا ما أنشدت أرجت وطابت منازلها بها حتى الطريق
وإنا تائقون إليك فاعلم وأنت إلى زيارتنا تتوق
فواصلنا بها فى كل يوم فأنت بكل مكرمة حقيق[١]

وفى سنة ٣٧٥ هـ عقد لابنه عبد العزيز بن محمد بن النعمان على ابنة القائد جوهر الصقلى فى مجلس العزيز ، ثم قرر ابنه هذا فى نيابته عنه فى الأحكام بالقاهرة ومصر وعلت منزلة محمد بن النعمان عند الامام العزيز فكان يصعد معه على المنبر[٢] . ويروى ابن خلكان عن مؤرخ مصر ابن زولاق — وكان معاصرا لابن النعمان — « ولم نشاهد بمصر لقاض من القضاة من الرياسة ما شاهدناه لمحمد بن النعمان ، ولا بلغنا ذلك عن قاض بالعراق ووافق ذلك استحقاقا لما فيه من العلم والصيانة والتحفظ وإقامة الحق والهيبة[٣] . فكانت هذه المكانة التى حظى بها القاضى محمد بن النعمان سبباً فى أن يحسده الوزير يعقوب بن كلس ، فقد خشى هذا الوزير اتساع نفوذ بنى النعمان فحاول ما استطاع أن يكسر شوكتهم وينقص من قدرهم ، فكان ينقض أحكام القاضى[٤] . وقد روى ابن حجر عن المسبحى قصة تدل على مدى خوف الوزير من اتساع سلطان ونفوذ بنى النعمان وما كان يضمره لهم من حقد وضغينة .

وبعد أن ولى الحاكم بأمر الله سنة ٣٨٥ هـ أقر القاضى محمد بن النعمان على ما بيده من القضاء وزادت منزلته عند الحاكم ، ولكن القاضى تزاحمت عليه العلل فتوفى ليلة الثلاثاء رابع صفر سنة ٣٩٩ هـ وصلى عليه الحاكم ووقف على دفنه ،

---

(١) ابن خلكان جـ ٢ ص ١٦٨
(٢) شرحه
(٣) شرحه
(٤) رفع الإصر ص ١٢٩

وحزن الحاكم لوفاته فلم يول أحدا مرتبة القضاء إلا بعد شهر فقلدها الحسين ابن على بن النعمان .

٤ — ولد أبو عبد الله الحسين بن على بن النعمان بالمهدية سنة ٣٥٣ هـ وقدم مع أسرته إلى القاهرة المعزية ، ومهر فى علوم الفقه حتى صار أحد أقطاب فقهاء المذهب الفاطمى وكان ينوب أحيانا عن عمه محمد بن النعمان فى القضاء حتى ولى القضاء بعد وفاة عمه ، وفى صفر سنة ٣٩١ هـ بينما كان القاضى جالسا فى الجامع بالفسطاط يقرأ علوم الفقه ، أقيمت صلاة العصر ، فقام يؤدى الفريضة فبينما هو فى الركوع هجم عليه رجل مغربى وضربه بمنجل فى رأسه ووجه فحمل جريحاً إلى داره ، وظل إلى أن اندمل جرحه فصار منذ ذلك اليوم يحرسه عشرون رجلا بالسلاح ، وكان إذا صلى وقف خلفه الحرس بالسيوف حتى يفرغ من الصلاة ثم يصلى حرسه . ولا نعرف أن قاضيا من قضاة المسلمين فى التاريخ كان يصلى والشرطة تحرسه غير الحسين بن على بن النعمان . وزاد الحاكم فى تكريمه فأمر بأن يضاف له أرزاق عمه وصلاته واقطاعاته وفوض اليه الخطابة والإمامة بالمساجد الجامعة ، وولاه الدعوة وقراءة مجالس الحكمة التأويلية بالقصر ، فهو أول قاض أضيفت اليه الدعوة من قضاة الفاطميين (١) . ويظهر أنه قد دب دبيب الشقاق إذ ذاك بين بنى النعمان ، فقد طالب هذا القاضى ابن عمه عبد العزيز بن محمد بن النعمان ببعض ودائع كانت فى الديوان أيام ولاية محمد بن النعمان على القضاء ، وتشدد القاضى فى مطالبة ابن عمه حتى ألزمه أن يبيع كل ما خلفه أبوه سدادا لهذه المطالبة ، ولست أدرى أكان تشدد القاضى عن دين وورع أم عن حسد وغيرة بين بنى الأعمام ، ومهما يكن من شىء فقد صرف هذا القاضى عن مرتبة القضاء والدعوة فى رمضان سنة ٣٩٤ هـ وأصابته نقمة الحاكم فحبسه وضرب عنقه فى أوائل سنة ٣٩٥ ، وهكذا لقى حتفه بيد الحاكم بعد أن كان مكرما لديه مقربا اليه .

٥ — ولى عبد العزيز بن محمد بن النعمان القضاء بعد ابن عمه . ولد فى المغرب فى أوائل ربيع الأول سنة ٣٥٥ هـ ، وكان ينوب عن أبيه فى القضاء ، وكان عالما من علماء الدعوة وهو الذى ينسب اليه كتاب البلاغ الأكبر والناموس الأعظم

(١) كتاب الولاة والقضاة للكندى ص ٥٩٦ وما بعدها

فى أصول الدين ، وهو الكتاب الذى رد عليه القاضى أبو بكر الباقلانى [١] وقيل إن هذا الكتاب من تصنيف عمه على بن النعمان . والقاضى عبدالعزيز بن محمد بن النعمان هو أول من ولى النظر على دار العلم [٢] التى أسسها الحاكم . وكان يجلس فى الجامع ويقرأ على الناس كتاب جده النعمان « اختلاف أصول المذاهب » . وبالرغم من أن الحاكم بأمرالله قربه إليه فى أول الأمر وخصه بمجالسته ومسايرته ، فإن القاضى لم ينج من نزوات الحاكم فقد عزله عن القضاء سنة ٣٩٨ هـ ثم اعتقله فى السنة التالية ، ثم عفا عنه وأعاد اليه النظر فى المظالم وخلع عليه، وفى سنة ٤٠١ هـ اضطر هذا القاضى إلى أن يهرب من وجه الحاكم هو وصهره الحسين بن جوهر القائد فصادر الحاكم بيوتهما وحمل كل ما كان فيها ثم كتب لهما بالأمان وخلع عليهما ولكنه أمر بقتلهما فى ثانى عشر من جمادى الآخرة سنة ٤٠١ هـ .

وبعد هذه المأساة ضعف أمر بنى النعمان وساءت حالهم ، ولم يبق لهم تلك السطوة ولا ذلك النفوذ حتى أن القاسم بن عبد العزيز بن محمد بن النعمان ولى القضاء سنة ٤١٨ هـ ولكنه لم يمكث فى هذه المرتبة سوى عام وشهرين ، وأعيد مرة أخرى إلى القضاء سنة ٤٢٧ هـ وأضيفت اليه الدعوة ، ويقول عنه المؤيد فى الدين هبة الله بن موسى فى سيرته « وتوجهت إلى الموسوم بالقضاء والدعوة وهو يومئذ القاسم بن عبد العزيز بن محمد بن النعمان رحمه الله وإيانا فرأيته رجلا يصول بلسان نسبه فى الصناعة التى وسم بها دون لسان سببه ، فارغا مثل فؤاد أم موسى عليه السلام ، وفيه جنون يلوح من حركاته وسكناته » [٣] وعزل القاسم عن هذه المراتب سنة ٤٤١ هـ ويحدثنا المؤيد أيضا أن نساء بنى النعمان تشفعن للقاسم عند أم المستنصر والحفن عليها فى السؤال لإعادته إلى مناصبه ، فعينه اليازورى سنة ٤٤٢ هـ نائبا له فى الدعوة فقبل القاسم أن يكون نائبا للداعى بعد أن كان أصلا فى هذه المرتبة ، واستمر القاسم بن عبدالعزيز نائبا لليازورى فى مرتبة الدعوة حتى أقعده المرض فأناب ابنه محمد بن القاسم فى الدعوة واستمر هذا نائبا عن والده فى نيابة الدعوة حتى سنة ٤٥٠ هـ . ثم لم نعد نسمع

---

(١) السكندى ٦٠٣

(٢) شرحه

(٣) السيرة المؤيدية

شيئا عن هذه الأسرة التى ظلت زهاء قرن فى مكانة رفيعة عالية وفى اتصال دائم بالأئمة الفاطميين ، كما كان لهذه الأسرة أثرها فى بث العقائد الفاطمية فى نفوس الناس بتصنيف الكتب وإلقاء مجالس الدعوة ، وبأحكامهم فى القضايا حسب فقه المذهب الفاطمى الذى وضعه القاضى النعمان بن محمد مؤسس هذه الأسرة .

موضوع الكتاب :

وقد وقع اختيارنا على نشر هذا الكتاب الآن لأن موضوعه يتصل بالإمامة ، والإمامة أهم عقيدة فى عقائد الفاطميين بل فى عقائد الشيعة عامة ، فهى إحدى دعائم الإسلام بل الامامة المحور الذى تدور عليه عقائد الشيعة ، فلا دين عندهم لمن لا يعتقد إمامة الأئمة المنصوص عليهم من أهل بيت الرسول ، ولا يقبل الله عمل مسلم إن لم يعتقد ويؤمن بولايتهم ويطيعهم مثل طاعتهم للرسول الكريم وطاعتهم لله تعالى فهذه ثلاث طاعات مقرونة متصلة أمر بها الله تعالى فى كتابه الكريم (وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم) فالأئمة هم أولو الأمر الذين ذكرهم الله تعالى فى هذه الآية الكريمة ، ويروى علماء الشيعة قولا مأثوراً عن الامام جعفر الصادق (بنا يعبد الله وبنا يطاع الله وبنا يعصى الله ، فمن أطاعنا فقد أطاع الله ، ومن عصانا فقد عصى الله[1]) ونظم المؤيد فى الدين داعى الدعاة هذه العقيدة بقوله

وهم أولوا الأمر أئمة الهدى	عصمة من لاذ بهم من الردى
مفروضة طاعتهم على الأمم	قاطبة من عرب ومن عجم
اقرأ : أطيعوا الله والرسولا	ثم أولى الأمر بهم موصولا
ثلاث طاعات غدت معلومة	فى آية واحدة منظومة[2]

فعقيدة الشيعة عامة على اختلاف فرقهم تدين بأن المرء لا يكون مسلما مؤمنا إلا بطاعة الامام من أهل البيت ومعرفته ، ولهم فى التدليل على ذلك كله أحاديث عن النبى صلوات الله عليه مثل : « من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية »[3]

(١) دعائم الاسلام ج ١ ص ٣٩ نسخة خطية بمكتبتى . وبحار الأنوار ج ٨ ص ١٦

(٢) القصيدة الثانية من ديوان المؤيد فى الدين داعى الدعاة (من مطبوعات دار الكاتب المصرى)

(٣) بحار الأنوار ج ٧ ص ٢١ والمجالس المؤيدية المجلد الأول ص ١٥٤ (نسخة خطية بمكتبتى)

ويروى الشيعة أن الامام جعفر الصادق فسر هذا الأثر بقوله : «الجاهلية جاهليتان ، جاهلية كفر ، وجاهلية ضلال ؛ فجاهلية الكفر ما كان قبل مبعث النبي (ص) ، وجاهلية الضلال ما يكون بعد مبعثه فيمن ضل عن إمام زمانه » وكقوله (ص) « معرفة الله معرفة إمام الزمان » إلى غير ذلك من أمثـــال هذه الأحاديث التى ينسبها الشيعة إلى النبي (ص) وينفيها عنه غيرهم من المسلمين لأن موضوع الامامة هو قوام عقيدة الشيعة كما رأينا وهو أساس الخلاف الذى بين الشيعة وبين جمهور أهل السنة ، فلا غرو أن رأينا الشيعة يؤلفون كتبا مفردة عن « الامامة » ويجعلون فصولا من كتبهم فى الامامة ، وساهم الفاطميون الاسماعيلية فى التأليف عن الإمامة ، فكتب القاضى النعمان بن محمد « كتاب التوحيد والإمامة » و « كتاب الهمة فى آداب أتباع الأئمة » ، وصنف الداعى أحمد بن ابراهيم النيسابورى (وكان من دعاة الحاكم) كتاب « إثبات الإمامة » ، وللداعى أحمد حميد الدين بن عبدالله الكرمانى (وكان من دعاة الحاكم) كتاب « المصابيح » ، ورسالة « مباسم البشارات » و « الرسالة الواعظة » ، وغيرها ، وكتب الداعى أبو الفوارس أحمد بن يعقوب رسالة فى الإمامة ، وألف الداعى أبو يعقوب السجستانى « خزائن الأدلة » ، ويطول بى الأمر لو أحصيت كل ماترك الفاطميون من كتب فى إثبات إمامة المسلمين لأهل بيت الرسول الكريم .

وبالرغم من أن الدولة الفاطمية قامت على أساس دينى وسياسى معا ، واتخذ الأئمة من نسبهم إلى الرسول صلوات الله عليه قوة يؤيدون بها دولتهم وينشرون بها سلطانهم ودعوتهم الدينية ، فإن خصوم الفاطميين أخذوا يحاربونهم بنفس سلاحهم فطوراً ينفون نسبهم إلى الرسول ، وطورا آخر يصفون الأئمة الفاطميين بأنهم يؤلهون أنفسهم ويقولون بالحلول والتناسخ وعلم الغيب ، وأنهم يذهبون فى عقيدتهم مذهبا هو أقرب إلى المذاهب الإباحية ، فلم يحد خصوم الفاطميين موبقة إلا رموا بها الفاطميين ، نرى ذلك كله فى كل كتاب من كتب التاريخ وغير التاريخ من الكتب التى عرضت للدولة الفاطمية والعقائد الفاطمية ، ولكننا إذا قرأنا كتب الفاطميين السرية التى استطعنا الحصول عليها ، والتى نعمل على نشرها فى « سلسلة مخطوطات الفاطميين » نرى عكس ما كتبه المؤرخون ، فما قاله المؤرخون عن ادعاء المعز والعزيز بالله وغيرهما علم الغيب وأنهم كانوا يرصدون الكواكب للوصول الى معرفة هذا الغيب

أن المعز علم من مطالعته للنجوم واستقرائها أن قطعا فى طالعه ، فلما جاء موعد ذلك القطع اختفى المعز فى سرداب فى جوف الأرض ومكث فيه حولا كاملا ، فكان المغاربة إذا رأوا غماما ترجل الفارس منهم وأومأ بالسلام على المعز أمير المؤمنين(١) . وقال المؤرخون أيضا إن العزيز بالله ورث عن أبيه علوم التنجيم وادعاء الغيب ، ويروون تهكم شعراء مصر بالعزيز ، فقد قيل إن العزيز بالله صعد يوما المنبر فرأى رقعة فيها

بالظلم والجور قد رضينا   وليس بالكفر والحماقة
إن كنت أعطيت علم غيب   فقل لنا كاتب البطاقة

وتضيف الرواية أن العزيز أقلع عن ادعائه الغيب بعد ذلك ، ويروى ابن ميسر فى تاريخه أن النيل زاد وبلغ الماء الباب الجديد ، أول الشارع خارج القاهرة ، فلما بلغ الحافظ ذلك أظهر الحزن والانقطاع ، فدخل إليه بعض خواصه وسأله عن السبب فأخرج له كتابا فإذا فيه «اذا وصل الماء الباب الجديد انتقل الإمام عبد المجيد» ثم قال الحافظ «هذا الكتاب الذى نعلم منه أحوالنا وأحوال دولتنا وما يأتى بعدها»(٢) ، فمثل هذه الروايات التى امتلأت بها الكتب التاريخية إن دلت على شىء فإنما تدل على أن الفاطميين ادعوا علم الغيب ، ولكن اذا قرأنا الكتب السرية للدعوة الفاطمية نعجب أشد العجب من أقوال هؤلاء المؤرخين الذين ادعوا هذا الادعاء على الفاطميين ، فقد نفى علماء الدعوة ودعاتها هذه المقالة عن أئمتهم ، فالقاضى النعمان يقول فى كتابه الهمة الذى نقدم له الآن بما نصه : — فإنا لانقول ماقاله الغلاة الضالون المبطلون الصادون عن أولياء الله الدافعون إمامتهم الزاعمون أنهم يعلمون غيب الله وماتخفى صدور عباده ، تعالى الله الذى تفرد بعلم ذلك دون خلقه ولم يطلع ماشاء منه إلا من ارتضى من رسله ، وإنما أراد هؤلاء الفسقة بمانسبوه إلى الأئمة صلوات الله عليهم من ذلك دفع إمامتهم ، لأنهم لما زعموا أن الأئمة يعلمون الغيب والناس يرونهم لايعلمون من أمور الناس إلا ماظهر منها لهم لم يكونوا أئمة عند أولئك الفسقة ولا عند من قبل منهم ، إذ لم تكن تلك الصفة التى وصفوهم بها منهم(٣) .

(١) النجوم الزاهرة ج ٤ ص ٨ والكامل لابن الأثير ج ٨ ص ٢٢٠
(٢) ابن ميسر حوادث سنة ٥٤٣ هـ وخطط المقريزى ج ١ ص ٩٧
(٣) راجع ص ٥٣ من هذا الكتاب

ويقول جعفر بن منصور اليمن فى كتابه الكشف : قال الله تعالى : قل لا أقول لكم عندى خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول إنى ملك . وهذا قول نوح عليه السلام الذى ذكر الله فى كتابه عنه ، وكل هذا دليل على أن الأئمة والرسل لا يعلمون إلا ما علمهم الله بوحيه وتأييده ونوره وتثبته عند الله جل ذكره [1] ،

ومن أقوال المعز لدين الله فى ذكر النجامة والمنجمين : من نظر إلى النجامة ليعلم عدة السنين والحساب ومواقيت الليل والنهار وليعتبر بذلك عظيم قدرة الله جل ذكره وما فى ذلك من الدلائل على توحيده لا شريك له فقد أحسن وأصاب ومن تعاطى بذلك علم غيب الله والقضاء بما يكون فقد أساء وأخطأ ، ولقد كان المنصور بالله من أعلم الناس بها ولقد قال لى غير مرة « والله ما نظرت فيها إلا طلبا لعلم توحيد الله وتأثير قدرته وعجائب خلقه ، ولقد عانيت ما عانيت من الحروب وغيرها فما عملت فى شىء من ذلك باختبار منى دلائل النجوم ولا التفت اليه ، فهذا كله يدل على أن الفاطميين لم يدعوا علم الغيب ولم يهتموا برصد النجوم لاستطلاع الغيب ، وإن كان بعض المعاصرين لهم غالوا فيهم فادعوا عليهم هذا الادعاء حتى خيل للناس أن الأئمة يعرفون الغيب حقا ، واختلف الناس فى أمرهم بين مصدق ومكذب ، وكثر الجدل حول هذه القضية بما صوره الأمير تميم بن المعز لدين الله فى إحدى قصائده التى خاطب بها أخاه العزيز بالله .

ولما اختلفنا فى النجوم وعلمها ... وفى أنها بالنفع والضر قد تجرى
فمن مؤمن منا بها ومكذب ... ومن مكثر فيها الجدال ولا يدرى
ومن قائل تجرى بسعد وأنحس ... وتعلم ما يأتى من الخير والشر
فعلمتنا تأويل ذلك كله ... بما فيه من سر وما فيه من جهر
عن الطاهر المنصور جدك ناقلا ... وكان بها دون البرية ذا خبر
فاخبرتنا أن المنجم كاهن ... بما قال ، والكهان من شيعة الكفر
وأن جميع الكافرين مصيرهم ... إلى النار فى يوم القيامة والحشر
فجمعتنا بعد اختلاف ومرية ... وألفتنا بعد التنافر والزجر
وأوضحت فيها قول حق مبرهن ... يجلى ظلام الشك عن كل ذى فكر
فعدنا إلى أن الكواكب زينة ... وفيها رجوم للشياطين إذ تسرى

---

(١) كتاب الكشف لجعفر بن منصور اليمن (نسخة خطية بمكتبتى)

مسخرة مضطرة في بروجها تسير بتدبير الإله على قدر
وأن جميع الغيب لله وحده تبارك من رب ومن صمد وتر
وماعلمت منه الأئمة ، إنما رووه عن المختار جدهم الطهر (١)

فلعل هذه القصيدة توضح ماكان عليه الناس فى أمر ادعاء الأئمة الغيب ، وتصور لنا تصويراً صادقاً اختلافهم فى ذلك . فلا شك أن الفاطميين كان لهم خصوم أقوياء ، وأن هؤلاء الخصوم تلقفوا الإشاعات فجعلوا منها رواية واقعية — إن صح هذا التعبير — وجاء المؤرخون فأخذوا هذه الرواية ودونوها فى كتبهم ولم يحققوا المسألة تحقيقاً علمياً ، فقصيدة الأمير تميم وأقوال علماء الدعوة تنفى ما جاء به المؤرخون وتبرىء الفاطميين من هذه التهمة التى وصموا بها طوال مدة حكمهم وبعد أن دالت دولتهم حتى يومنا هذا ، فلا نزال نرى المؤرخين والكتاب يأخذون عن القدماء مثل هذه الأقوال والروايات .

كما ادعى القدماء أن الفاطميين كانوا يذهبون مذهب أهل التناسخ ويقولون بالتلاشى ، بينما نرى فى كتب الدعاة وأشعارهم مايدفع عنهم هذا الادعاء ، فهاهو المؤيد فى الدين هبة الله الشيرازى داعى الدعاة يقول فى إحدى قصائده .

أيها المدعى التلاشى حمقاً ذا الذى تدعى عليك وكيل
أترى هذه الصنائع طرا عبثا ، ما اصانع محصول
حركات الاجرام قل لى لماذا ؟ ولماذا طلوعها والأفول ؟
ألها فى مجالها الفعل أم لا ؟ فبغير إذن بجوز تجول
إن تقل ذاك فعلها باختيار أنكرت منك ما ادعيت العقول
إن فيما دنا من الماء والنا ر على ما علا لنا التمثيل
ولئن قلت : ذاك غير اختيار قلت : كل مدبر محمول
فاذا كان هكذا ثبت الحا مل والفاعل اللطيف الجليل
فإذا كان فاعل متقن الفعل وما دونه له مفعول
فالتلاشى لفعله مستحيل جل عما به عليه تحيل
والذى قال إنه النسخ والفسخ وماذا بغير دنيا حلول

(١) ديوان الأمير تميم بن المعز ورقة ٩٣ ب (نسخة خطية بمكتبتى)

فهو عن جوهر النفوس البسيطا ت ومن حيث بدئها مسئول
فلئن كان يثبت الأصل منها فكذا نحوه يكون القفول
ولئن كان نافيا قيل مهلا فلهذى المشاهدات أصول
فثواب يكون بالأكل والشر ب فذاك العذاب والتنكيل
إنما التذ بالمآكل دفعا لمضراته الشروب الأكول
وثواب الإله أمر خفى ماله فى المشاهدات عديل [1]

وفى رد هذا الداعى على القائلين بالتلاشى والتناسخ دليل قوى على أن أئمته لاتدين بهاتين المقالتين ، فلا تتلاشى الأرواح ولاتتناسخ فى عقيدة الفاطميين ولاأدرى من أين استقى المؤرخون أقوالهم عن الفاطميين . ومن عجب أن يذهب المؤرخون إلى أن الفاطميين كانوا يدينون بالاباحة وتعطيل الشرائع ، فتاريخ الفاطميين لايدلنا على ذلك ، وماجاء عن المؤرخين أنفسهم يدل على أن الفاطميين كانوا يتخذون الدين الاسلامى الحنيف ونسبهم من رسول الله وسيلة لتوطيد حكمهم فى البلاد التى أخضعوها لسلطانهم ، وأنهم أكثروا من بناء المساجد ، وكانوا يحتفلون بالأعياد الإسلامية احتفالات لم نسمع لها مثيلا فى الدول الإسلامية الأخرى ، أضف إلى ذلك أن كتب الفاطميين السرية تدعو إلى التوحيد والايمان والعمل بالشريعة والسنة ويكفى أن نقرأ قول المؤيد فى الدين .

فكيف شرع الأنبياء ندفع ومالنا إلا النبى مرجع
بنوره فى الدرجات نرتقى وبالكرام الكاتبين نلتقى
يا رب فالعن جاحدى الشرائع ورمهم بأفجع الفجائع
والعن إلهى من يرى الإباحة بلعنة فاضحة مجتاحة
والعن إلهى غاليا وقاليا ولا تذر فى الأرض منهم باقيا
يا رب إنا منهم براء هم واليهود عندنا سواء
فاخزهم واخز من رمانا بريبة ولقه الهوانا [2]

ويقول الكرمانى فى كتابه راحة العقل « إن النفس بكونها فى عالم الطبيعة ظهور الرذائل فيها أسبق إليها من سبق النار إلى النفط ، وليس يدفع عنها تلك الرذائل إلا

---

(١) القصيدة الخامسة من ديوان المؤيد فى الدين داعى الدعاة
(٢) القصيدة الأولى « « « « « «

الشريعة وأحكامها فمن لزم الأمر ، وراض نفسه بالقيام تحت أثقاله فهو أخونا حقا يجد لذة فى نفسه عند كل مقام صدق ، ومن فسق عنه بأن يقوم بالبعض ويترك البعض ، أو يخل بالكل فما يضر إلا نفسه ، ويفعل الله به الواجب فى حكمه وهو سريع الحساب»[1] ويقول المؤيد فى مجالسه «استعيذوا بالله من قوم يقولون بأفواههم أنهم شيعة وهم من طلائع الكفر والالحاد شر طليعة يستوطئون مركب الإباحة ويميلون ميل الراحة ، ولا يزالون كذلك حتى يحلوا من تكاليف الشريعة كل عقد ويردوا من مهاوى الردى فى تحليل المحرمات شر ورد، وهؤلاء أضر بالدين وبالمؤمنين ممن شهر سيفه وشرع رمحه إلى أئمتهم بالبغضاء ، ولم يزل من مضى من أمير المؤمنين على بن أبى طالب والأئمة من ذريته إلى إمام الزمان براء إلى الله تعالى ممن هذه سبيله سرا وجهرا ينشرون فى صحف الخزى على من دان دينهم »[2] . وهكذا تدل أقوال الدعاة وشعرهم على محافظة الفاطميين على الشرائع والعمل بما أوجبته فرائض الدين وسننه ، شأنهم فى ذلك شأن جمهور أهل السنة وشأن أبناء عمومتهم الشيعة الاثنى عشرية والشيعة الزيدية ، فهذه الفرق الثلاث من فرق الشيعة لا تختلف عن جمهور أهل السنة إلا فى مسألة الإمامة ، والإمام عندهم جميعا من البشر يجرى عليه مايجرى على سائر بنى الانسان من موت وحياة ، وليس الإمام عندهم إله يعبدونه كما وهم خصومهم ، ولم أجد فى كتاب واحد من كتب الشيعة الاثنى عشرية أو الشيعة الاسماعيلية أو الزيدية أنهم نظروا إلى أئمتهم على أنهم آلهة ، فالله سبحانه وتعالى واحد لا شريك له بذلك دان المسلمون جميعا سنيهم وشيعتهم ، إلا إذا استثنينا الغلاة الذين ليسوا من الشيعة فى شىء وإن ظنوا أنفسهم شيعة ، فقد صدق فيهم قول المؤيد « استعيذوا بالله من قوم يقولون بأفواههم أنهم شيعة وهم من طلائع الكفر والالحاد شر طليعة » فهؤلاء الذين ألهوا الأئمة قد تبرأ منهم الفاطميون الاسماعيلية وتبرأ منهم الشيعة الاثنا عشرية كما تبرأ منهم أهل السنة .

ورب معترض يقول ، إذا صح ذلك كله وأن الفاطميين تبرأوا ممن أله الأئمة فما قولهم فى قضية الحاكم بأمر الله ؟ وما الرأى فى قول ابن هانىء الاندلسى .

---

(١) راحة العقل ص ١٧ (من مطبوعات الجمعية الاسماعيلية ببومباى)

(٢) المجالس المؤيدية .

ما شئت لا ما شاءت الأقدار فاحكم فأنت الواحد القهار

فجوابى على ذلك هو الرجوع الى أقوال دعاة الحاكم بأمر الله أى دعاة المذهب الاسماعيلى ، وقد وصلتنا من حسن الحظ « الرسالة الواعظة » للداعى أحمد حميد الدين الكرمانى ، وفيها يقول لمن كان يدعو الى تأليه الحاكم « وأما قول أصحابك إن المعبود تعالى هو أمير المؤمنين فقول كفر تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا ، إن دعوا للاله المعبود غيرا ، فيا الجسارة على الله حين جعلوا له تعالى شريكا ما أعظمها ، ويا الجرأة على الله تعالى حين جعلوا المعبود غيره تعالى ما أفظعها ، ولقد قالوا عظيما وافتروا اثما مبينا ، وان ذلك الا كفر محض فما أمير المؤمنين الا عبد لله خاضع وله طائع يسجد لوجهه الكريم ، ويعظمه غاية التعظيم ، وباسمه يستفتح ، وعليه فى أموره يتوكل ، وأمره اليه يفوض ، وهو سلام الله عليه يتبرأ الى الله تعالى ممن يعتقد ذلك فيه »(١) فهذا رأى دعاة الفاطميين فى الحاكم بأمر الله نستدل منه على أن الذين قالوا بألوهيته وغلوا فيه هذا الغلو خرجوا عن الإسلام لا عن المذهب الاسماعيلى فحسب ، شأنهم فى ذلك شأن الغلاة فى كل مذهب وكل دين ، ومن الحق على المؤرخين ألا يخلطوا بين الغلاة وبين فرق الشيعة ، فلا يرموا الفاطميين بما قاله الخارجون عن مذهبهم .

أما شعر ابن هانىء والمؤيد فى الدين وابن الاخفش وغيرهم من شعراء الفاطميين ، فهؤلاء الشعراء مدحوا أئمتهم مدحا يتفق مع عقائد الفاطميين فى التوحيد ، ذلك أن الفاطميين نزهوا الله تعالى عن كل الصفات ، ونفوا عنه تعالى كل ما يليق بمبدعاته لأن هذه الصفات موجبة للأنداد والأضداد ، والله سبحانه وتعالى ليس له مثيل ولا ضد ، فاتفق الفاطميون فى هذا الرأى مع المعتزلة ، أما أسماء الله الحسنى التى وردت فى القرآن الكريم فقد أولها الفاطميون على أنها أسماء وصفات « العقل الكلى » الذى هو أقرب الحدود الروحانية اليه تعالى وأسبق هذه الحدود الى معرفة الله عز وجل والى توحيده ، ففضله الله على سائر مبدعاته ، وفى العقل الكلى ورد الحديث القدسى « أول ما خلق الله العقل ، فقال له أقبل فأقبل ، وقال له أدبر فأدبر فقال بعزتى ما خلقت خلقا هو أعز منك بك أثيب وبك أعاقب(٢) .... الخ

---

(١) الرسالة الواعظة (ضمن مجموعة رسائل الكرمانى — نسخة خطية بمكتبتى)

(٢) ورد هذا الحديث فى صحيح البخارى ، وانكره عدد من العلماء وعلى رأسهم ابن تيمية الذى وضع رسالة فى هذا الحديث

وبناء على ذلك أول الفاطميون قوله تعالى « ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها » بأن المؤمن عليه أن يتقرب إلى الله ويعبده حق عبادته بمعرفة الحدود الروحانية — وهم الملائكة - المقربين اليه ، وبناء على نظرية المثل والممثول[١] نجد حدوداً جسمانية تقابل الحدود الروحانية ، والنبي فى عصره هو الذى يقابل العقل الكلى ، وصفات العقل الكلى تطلق على النبي ، ولما كان الإمام هو خليفة النبي (ص) والقائم مقامه فتنطبق عليه أيضا هذه الصفات التى هى صفات وأسماء العقل الأول (الكلى) . فاذا فهمنا الشعر الفاطمى على هذا النحو ، ووقفنا على هذا المعنى الذى قصده الشعراء لا نجد فى أشعارهم شيئاً من تأليه الأئمة ، وقد صرح المؤيد فى الدين بأنه لا يسمى إمامه ربا بقوله :

لست دون المسيح سماه ربا أهل شرك، ولا نسميك ربا [٢] .

فهو يرمى الذين ألهوا المسيح بالشرك وينفى عن أئمته أنهم آلهة ، فكيف نتبع القدماء بعد ذلك فى كل ما أذاعوه وادعوه عن الفاطميين .

* * *

ونرى فى هذا الكتاب الذى بين أيدينا الآن صورة عن مرتبة الإمامة تختلف تمام الاختلاف عما وهمه المؤرخون وذكروه فى كتبهم عن تأليه الأئمة الفاطميين ، فالمؤلف ذكر أكثر من مرة أن الفاطميين يفرقون بين مرتبة النبوة ومرتبة الإمامة فالأنبياء أفضل من الأئمة ، ومرتبة النبوة أعلى وأجل من مرتبة الإمامة [٣] ، بل أجد فى كتب فاطمية أخرى مثل كتاب المجالس المؤيدية أن الفاطميين جعلوا مرتبة الإمامة فى الدرجة الثالثة بعد مرتبة النبوة ومرتبة الوصاية . ولذلك قالوا إن على بن أبى طالب وصى النبي صلى الله عليه وسلم ، وليس بإمام من أئمتهم ، وأن

---

(١) راجع ما كتبناه عن هذه النظرية فى مقدمة ديوان المؤيد داعى الدعاة — وفى مقدمة كتاب المجالس المستنصرية

(٢) القصيدة الخامسة عشرة من ديوان المؤيد فى الدين

(٣) راجع ص ٣٩ ، ص ٤٥

أول إمام بعد الوصى هو الحسن بن على بن أبى طالب[١] ، فاذا كان هذا هو رأى الفاطميين فى أئمتهم فكيف نقبل قول المؤرخين عنهم .

وهكذا نستطيع أن نتخذ هذا الكتاب من مصادر عقائد الفاطميين، فالمؤلف يلم بآراء كثيرة هامة كانت غير واضحة عندنا فقد قرأنا عنها مشوهة فى كتب غير فاطمية ، وكدنا نساير القدماء فى آرائهم ، لولا أن قيض لنا الله الاطلاع على هذا الكتاب وعلى غيره من كتب الفاطميين فاضطررنا إلى البحث فى أقوال الفاطميين وأقوال خصومهم للوصول إلى الحق عن عقائد الفاطميين ، فمن المسائل الدقيقة التى عرض لها مؤلف هذا الكتاب ، مسألة السجود للأئمة (٢) ، وهذا الموضوع كان من الموضوعات التى أثارت حفيظة أهل السنة وجعلتهم يرمون الفاطميين بالشرك والكفر ، وجاء صاحب هذا الكتاب فدافع عن عقيدته بقوله « والرعاع وأوباش الناس والعوام ينكرون ذلك (السجود) ويرونه سجوداً من دون الله للأئمة ، تعالى الله عن قولهم ، ونزه أولياءه من افترائهم عليهم » وأخذ فى تفسير السجود لله تعالى الذى هو فريضة من فرائض الدين ، وبين شروطه وأحكامه ، وأظهر أن السجود للأئمة لا تتوافر فيه هذه الشروط ولا تلك الفرائض ، فليس هو بسجود إنما جعله أشبه شىء بتقبيل الأرض احتراما وإجلالا للأئمة كما هو الأمر عند خلفاء العباسيين وغير العباسيين من أمراء البلاد الإسلامية فقد كانت تحية الوافدين عليهم هى تقبيل الأرض بين أيديهم ، ولم يقل أحد إن هؤلاء الوافدين كانوا يسجدون لهؤلاء الأمراء ، وهكذا يمضى المؤلف فى حديثه ودفاعه عن أئمته . وربما كان هذا الدفاع مقبولا — إلى حد ما — من عالم فقيه مثل مؤلف هذا الكتاب ، لأن له من علمه وفقهه ما يجعله يعتقد هذا الاعتقاد ، ويقبل الأرض بين يدى إمامه عن عقيدة أنه لا يسجد له ، ولكن ما الرأى عند هؤلاء الذين حظوا بمقابلة الأئمة ولم يكن لهم علم هذا المؤلف ولا فقهه ، وهل قرأ هؤلاء الذين قابلوا الأئمة هذا الفصل من هذا

---

(١) المجالس المؤيدية فى مواضع متفرقة . ونلاحظ أن النزارية الأغاخانية اليوم يقولون بأن عليا هو أول إمام من أئمتهم وأن الحسن بن على كان مستودعا لأخيه الحسين ، فاختلفوا بذلك عن العقيدة الاسماعيلية القديمة وعن البهرة (الاسماعيلية المستعلية)

(٢) راجع ص ١٠٥

الكتاب حتى يستطيعوا أن يفرقوا بين السجود لله تعالى وتقبيل الأرض بين يدى الأئمة ، أليست هذه المسألة الدقيقة كانت سببا فى أن نجد بعض أتباع المذهب غالى فى دينه فجعل تقبيل الأرض سجودا . وتطورت به هذه الفكرة إلى تأليه الأئمة ، فابتعد عن حقيقة المذهب وخرج عن الدين كله !! . فلعل مثل هذه المسائل الدقيقة كانت مصدرا من مصادر غضب أهل السنة وسخطهم على أئمة الفاطميين وعلى كل من دان بعقيدتهم .

ومسألة أخرى نحب أن نوجه إليها الأنظار ، وهى التى عرض لها المؤلف فى الفصل الذى عقده بعنوان « ذكر مايجب للأئمة الصادقين أخذه من أموال المؤمنين والمؤمنات » [١] فكتب التاريخ أطنبت فى ذكر ثراء الفاطميين ، واسرافهم فى النفقات ، وإقامة الحفلات فى الأعياد والمواسم التى أكثروا من ابتداعها حتى خيل لنا أن أيام الفاطميين كانت كلها مواسم وحفلات ، وأن الفاطميين قد ورثوا مال قارون الذى لاينفد ، وحاول المؤرخون أن يعرفوا مصدر هذه الأموال والكنوز التى كانت تتدفق على الخزائن العديدة التى أنشأها الفاطميون ، وكاد يجمع المؤرخون على أنها أموال النجوى التى كان يأخذ الدعاة من المستجيبين فى كل مرتبة من مراتب الدعوة ، ولكن مؤلف كتاب الهمة لا يذكر شيئا عن هذه النجوى وانما ذكر لونا آخر من أنواع جباية الأموال ، وهو ما عرف بأموال الغنيمة ، والغنيمة فى الأصل ليست من ابتداع الفاطميين فقد وردت فى القرآن الكريم « واعلموا أن ما غنمتم من شىء فإن لله خمسة وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل[١] » ، وذهب جمهرة المفسرين والفقهاء على أن الغنائم هى ما يصيب المسلمون من عساكر أهل الشرك فى الجهاد فى سبيل الله وأفردت الدول الاسلامية « ديوان الجيش » لجمع الغنائم وتقسيمها على المجاهدين وغيرهم مما ورد ذكرهم فى الآية القرآنية ، وإن كان الفقهاء والمؤرخون قد اختلفوا فيما بينهم فى ما كان الأمر بعد وفاة الرسول فى نصيبه واختلفوا فى المقصود بذى القربى ، فذهب بعضهم إلى أن ذى القربى هم بنو هاشم وبنو عبد المطلب ، وقال آخرون ذو قربى الامام خليفة الرسول [٢] ، أما الشيعة عامة

(١) سورة الأنفال آية ٤١

(٢) راجع كتاب الخراج لأبى يوسف ص ٢١ ومابعدها . وكتاب الأحكام السلطانية للماوردى ص ١٢٥ وما بعدها وتفسير ابن كثير القرشى ج١ ص ٣١ (طبعة مصر سنة ١٩٣٧) ، وفتح =

فقالوا إن هذه اسهم أهل البيت دون غيرهم ؛ على أن مؤلف كتاب الهمة يذهب فى تفسير الغنيمة تفسيرا لغويا بأن المغنم هو المكسب ، فكل ما يكتسبه الإنسان فهو غنيمة وعليه أن يخرج خمس ما يكتسبه للامام ، وهو رأى غريب لا أكاد أجد له مثيلا بين آراء الفقهاء والمفسرين ، ومهمايكن من شىء فإن هذا الفصل يطلعنا على سر من أسرار الفاطميين فى ناحية من النواحى المالية .

فالكتاب على هذا النحو قيم لكل من شاء أن يدرس عقائد الفاطميين أو تاريخهم .

وهذا الكتاب الذى ننشره الآن هو من تلك الكتب التى تتحدث عن الإمامة وما يجب اتباعه نحو الأئمة ، وما يجب أن يتحلى به كل مؤمن بدعوة الفاطميين ، وسنرى فى هذا الكتاب ما يجب أن يتوافر فى الداعى من صلاح نفسه قبل أن يبدأ فى الدعوة . أضف إلى ذلك كله فهذا الكتاب يرينا بعض نواحى الآداب التى كانت تتبع فى العصر الفاطمى فى مجلس الإمام

هذه الآداب التى اشتمل عليها هذا الكتاب هى نفس الآداب التى فرضها الله تعالى وأوجبها على المسلمين كافة ، وأنزلها فى كتابه الكريم ، وأجراها على لسان نبيه عليه الصلاة والسلام ، فهى ليست آداب الفاطميين فقط ، وليست آداب الشيعة فحسب بل هى آداب الإسلام ، والمؤلف يقتبس من آى الذكر الحكيم ما يستشهد به على هذه الآداب التى يذكرها ، ويأخذ من الأحاديث النبوية الكريمة دليلا على صدق أقواله ، ومهما اختلف المسلمون فى هذه الأحاديث أموضوعة هى أم صحيحة ، فانها تتفق مع دعوة الإسلام ، فقد أريد بها الهداية قبل كل شىء ، ولعل المؤلف قد بلغ ما أراده فى قوله فى مقدمة هذا الكتاب « لو أردت أن أقتصر على لفظة واحدة كافية منه لاقتصرت فأمرت بتقوى الله ففيها جماع كل خير الدنيا والآخرة » [1] وكرر الحث على تقوى الله فى كل فصول هذا الكتاب ، ولا سيما فى الفصل الذى تحدث فيه عن الجهاد فقال إن حدود الجهاد تقوى الله وطاعة الأئمة وبذل النصيحة والاجتهاد فى اجتياح أعداء الله والعمل بطاعة الله وحفظ حدوده [2] .

= القدير للشوكانى ج ٢ ص ٢٩٧ ، والنهاية لابن الأثير مادة (غنم) ، وتفسير أبى السعود ج ٢ ص ٢٣٩ (طبع مصر سنة ١٩٨٨)

(١) راجع ص ٣٧

(٢) راجع ص ٦٢

وكتاب الهمة الذى ننشره اليوم هو أحد هذه الكتب العديدة التى صنفها القاضى النعمان بن محمد بن حيون المغربى فقد جاء ذكر هذا الكتاب فى كتاب المرشد إلى أدب الاسماعيلية على نحو ما ذكرناه من قبل ، وورد ذكره أيضا منسوبا للقاضى النعمان فى المجموعة الخطية التى بين يدى ، وليس لدينا سوى هذين النصين فى إثبات ذلك ، فالكتاب نفسه لا يذكر شيئا عن مؤلفه ولم يرد به إشارة نستعين بها على معرفة المؤلف أو تاريخ تأليفه ، ولم يذكر هذا الكتاب فى الكتب الفاطمية الأخرى التى حصلت عليها . وقد نشرنا هذا الكتاب عن نسخة خطية واحدة هى التى استطعنا الحصول عليها — ونحن نعلم أن فى مكتبة « مكتب الهند بلندن » نسخة منه ولكننا لم نستطع الحصول على صورتها ، ونعلم أن هناك نسخة ثالثة فى مكتبة طاهر سيف الدين المعروف بسلطان البهرة فاتصلنا به ليعيرناهذه النسخة فوعد مشكورا بارسالها ، وانتظرنا الوفاء بهذا الوعد عدة أشهر ، ويخيل لنا أننا سننتظر إلى ما يشاء الله . . فانه حفظه الله لا يزال يعتقد فى وجوب الستر وإخفاء الكتب عن الباحثين ، ونسى أننا نعيش فى القرن العشرين فى عصر تقدمت فيه الأبحاث العلمية فامتدت يد العلم إلى الكهوف المظلمة فأضاءتها وإلى كتب الفاطميين فاستخرجتها ، فما فائدة الستر الذى يدين به بعد أن تقدمت الدراسات الاسماعيلية واتسع مداها واستطاعت مكتبات الجامعات وغير الجامعات من الحصول على عدد كبير من الكتب التى يظن أنها لا تزال مستورة ، بل أخذت المطابع تخرج بعض هذه الكتب إلى جمهور الباحثين والقراء ، وها نحن نخرج سلسلة مخطوطات الفاطميين بعد أن حصلنا على أكثر من خمسين كتابا من كتبهم المستورة وسنعمل على طبعها ونشرها ، وليمعن هو ومن تبعه فى ستر ما عندهم فلن يثنينا ذلك عن مواصلة البحث واستخراج هذه الكتب من مخابئها .

وقد نشرنا هذا الكتاب عن نسخة خطية واحدة كما ذكرنا من قبل — وهذه النسخة — فى مائة واثنتين وتسعين صفحة من القطع الكبير وفى كل صفحة ثمانية عشر سطرا كتبت بخط بين الرقعة والنسخ وقد كثر بها الأخطاء النحوية والاملائية وقد ذكرنا على هامش هذه الطبعة رقم صفحات النسخة الخطية حتى يتسنى لمن يعثر على نسخة أخرى مقابلة هذه النسخة .

وجاء فى آخر النسخة « تم الكتاب بعون الله وتوفيقه فى وقت العشاء سنة

إحدى ومائة بعد الألف الهجرية . كاتبه فقير حقير ذليل حسن بن محمد على بن محمد سورتى . غفر الله ذنوب هذا الساطرى . وذنوب قاريه والناظر » .

(وبعد) أرجو أن تكون « سلسلة مخطوطات الفاطميين » أساسا جديداً لدراسة التشيع عامة وعقيدة الفاطميين خاصة على ضوء البحث العلمى الدقيق دون تعصب لفريق دون فريق أو لرأى دون رأى حتى يستطيع الباحثون أن يظهروا الحقيقة سافرة بعد أن سترت طوال هذه الأجيال . وأن نكون بنشر هذا الكتاب وغيره من سلسلة مخطوطات الفاطميين قد وفقنا إلى سد ثغرة كانت شاغرة فى تاريخنا الاسلامى وتاريخ الحركة الفكرية عند المسلمين .

محمد كامل حسين

مقدمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

[١ ب] الحمد لله حمداً يبلغ حق حمده وغاية مزيده ، وصلى الله على محمد رسوله وعبده ، وعلى الأئمة من ذريته الأبرار المصطفين الأخيار . قال الذى عنى بتأليف هذا الكتاب : كان السبب الذى دعانى إلى تأليفه ، أن بعض المنعمين علىّ أفادنى كتاباً فى غاية الاختصار يجمع ما فيه قدر خمس ورقات ، ألف فى آداب خدام الملوك وأتباعهم بلفظ موجز مجمل ، وكل أمر بليغ مختصر ، تجمع الكلمة فيه جماعاً من المقاصد ، وتعبر اللفظة منه عن فنون من الفوائد ، فوقفت منه على آداب جميلة رضية ، وألفاظ مشبعة جزيلة عذبة سنية ، ووددت أن لو كان مؤلفها قصد بها أهلها ، ووضعها مواضعها ، وأنه لو قد كان عرف الحق وأهله وجمع فضل ذلك إلى بلاغته وأدبه . فقلت ذلك للمنعم علىّ الذى لم أزل أغترف من بحره وأصدر ، وأورد عن نهيه وأمره ، فنبهنى على حرف فى ذلك الكتاب دل على أن مؤلفه كان من أهل الولاية ، وأنه كان مكرهاً مجبوراً على صحبة من صحبه من ملوك الأرض وأهل اغتصابها ، فسكنت إلى ذلك علماً || بأن الله لم يمنح مثل تلك الآداب الرضية ، [٢ ا] والبلاغة السنية ، إلا ولياً لأوليائه متديناً بإمامتهم عارفاً بحقهم ، وفتق لى ما حبانى به المنعم علىّ من ذلك ما أجريت ذكر ذلك فى هذا الكتاب ، فذكرت لذلك قول أمير المؤمنين على بن أبى طالب صلوات الله عليه : « علمنى

رسول الله صلى الله عليه وآله من العلم والحكمة ألف باب منها يفتح ألف باب »
وقول جابر الجعفى : « أرفدنى وصى الأوصياء — يعنى أبا جعفر محمد بن على
صلوات الله عليه — فعلمنى ألف كلمة كل كلمة منها تفتح ألف كلمة » . فهذه
من معجزات أولياء الله وبراهينهم ، وفضلهم على من أودعوه شيئاً من حكمتهم ،
إن القليل من ذلك يهديه ويفتح له كثيراً مما أشكل عليه ، فرأيت صنيع
ما كنت تمنيت لمؤلف ذلك الكتاب أن يصنعه ، وفصل ما كان أولى به عندى
أن يقصده لما اتسع لى ذلك وأمكن بظهور أمر أولياء الله واستحكام
سلطانهم ، وضاق ذلك عليه وتعذر لكونه تحت أمر المتغلبين فى أزمانهم ،
فبسطت هذا الكتاب فى آداب اتباع الأئمة (صلع) وسميته « كتاب الهمة » ‖ [٢ ب]
إذ كان القصد بما فيه إلى ما يهم بفعله ؛ والهمة فى اللغة ما هممت
به من أمر لتفعله ، ولذلك قيل رجل بعيد الهمة وقصير الهمة ، ومنه سمى
الملك هماماً لعظم همته وبعدها . وقد بسط كثير من المؤلفين كتباً كثيرة
فى آداب خدام الملوك ، وذكروا فيها من الأخبار المرفوعة الجارية والأبيات
من الشعر المروية السائرة ، ما رأيت ترك ذكره على الجملة فى هذا الكتاب
رغبة بالأئمة صلوات الله عليهم أن يذكروا بما ذكر به ملوك الدنيا وأهل
اغتصابها ، وسبق إليه من ألف لهم رغبة فيها وفى حطامها ، وإذ كان من ألف
فى هذا المعنى لأتباع ملوك الدنيا إما ليبتغى بذلك نيلهم أو ليذكر به فى أيامهم ،
وغرضى فيما أؤلفه من ابتغاء ثواب الله عز وجل فيما أدعوه إليه من أجل
الأئمة وتوقيرهم وتعظيمهم وتعزيزهم ورعاية حقوقهم وأداء أماناتهم ،
والتأدب بالآداب الصالحة لهم ، على اعتراف منى بالعجز ، وإقرار بالتقصير
عن بلوغ معرفة الواجب لهم ، بل لا أحيط علماً فى ذلك بجزء لا يتجزأ منه
ولا احتوى ‖ على مثل النقطة من البحر قياسا به ، وكيف أتعاطى علم [٣ ا]
واجب من لا أقدر على صفته ، بل لا يستطيع صفة من تولاه وتقرب إلى الله
به ونال ما نال بفضله . كما روينا عن أبى جعفر محمد بن على صلوات الله عليه

أنه قال لرجل من أوليائه ومواليه فى حديث طويل حدثه به فى فضل المؤمن حذفت صدره اختصاراً قال فيه : « أولا ترى يا أبا فلان أنك مفرط فى أمرنا ، واعلم أنه لا يقدر أحد على صفة الله جل وعظم عن ذلك تبارك وتعالى ، فكذلك لا يقدر على صفتنا ، وكما لا يقدر على صفتنا فكذلك لا يقدر على صفة المؤمن ، إن المؤمن ليلقى أخاه فيصافحه فلا يزال الله تبارك وتعالى ينظر إليهما والذنوب تتحات[1] عنهما حتى يفترقا ، فكيف يقدر على صفة من هو كذا » ثم ذكر باقى الحديث بطوله فى فضل المؤمن وقدره عند الله عز وجل .

فالأئمة صلوات الله عليهم فوق الخلق بما لا يدرك به علما ، والذى يجب لهم أعظم وأجل من أن يدرك بعلم وعقل ، وإن كان الله عز وجل ‖ لا يكلف العباد إلا ما عقلوه وعلموه ، فإنه لم يرض لهم بالجهل بل افترض على من لم يعلم التعلم والسؤال ليرتقوا فى الأسباب ، ويتنافسوا فى الأحوال ، وما عسى أنه ذكر وألف فى تعظيم ملوك الدنيا وآداب أهلها ، فأولياء الله أحق به وهو أقل ما يجب لهم ، وأتباعهم أجدر باستعماله فيهم وفى أنفسهم ، خلا ما جاوز الحق من ذلك وتعداه ، فإنه يرفض من قولهم ، وما كان من أدب صالح وسنة رضية فأهل الحق أحق به منهم وهى ضالتهم عندهم ، ينبغى أخذها منهم ولا يزرى بها عند أهل الحق كونها فى أيدى أهل الباطل ، فقد ذكر لى المنعم الذى فتق لى هذا المعنى وفتح لى هذا الباب يوما ، أن بعض ما أسر إليه سراً أفشاه وأذاعه عليه ، وفيه ما يخاف من أجله فأعظم ذلك وقال : لقد أنف أهل البطالة والخلاعة والمجانة من إفشاء السر ونقل النميمة حتى قال : لقد قيل عن بعضهم إنه كان مع جماعة منهم فى مجلس باطل ولهو وشراب فناوله أحدهم غصن نمّام حياه به فتنكر عليه وقال هذا فراق بينى وبينك وقام عن المجلس فقام إليه ‖ الآخر ، فقال : ولم هذا ياسيدى وجعل يترضاه ويعتذر إليه ، فقال : تحسبنى بالنمام كأنك رأيتنى من أهل النميمة ،

[٣ ب]

[٤ ا]

---

(١) فى الأصل : تتحلت .

ثم قال ومثل هذا يؤخذ وإن كان من مثل هؤلاء يعنى أن الذى يؤخذ منه عنهم استعظام هذا لأمر النميمة أن يشار إليه بهذه الإشارة الخفية فضلا عما سواها ، ويلغى ويعرض عن قوله عن سوء الظن بصاحبه إذ كان سوء الظن فى الدين منهياً عنه . فلما كنت لا أبلغ وإن بالغت فى الإطناب حقيقة ما كان ينبغى أن يشتمل عليه هذا الكتاب رجعت فيه إلى الاقتصار على التحقيق والاختصار . ثم رأيت طبقات اتباع الأئمة يكثر عددها كالأهل والدخلة والحشم وخاصة العبيد والإماء والخدم والأقارب وأهل الديانات من الأولياء والقضاة والكتاب وذوى الكفايات وأصحاب الدواوين وأهل الأمانات والعمال والجباة والسعاة ورجال الحرب من الأولياء والأنصار وطبقات العبيد والأجناد والصناع والباعة والتجار الذين يلون أمورهم ويعملون لهم ، والرعايا الذين يتصلون بأسبابهم ، وكل طبقة ممن ذكرت ومن لم أذكر تتفرع على ‖ [٤ ب] طبقات ، ويتصرف أمرها على وجوه وجهات ، فلو قصدت لتفريعها وذكر ما ينبغى أن يتأدب به كل طبقة منها لطال القول واتسع وتشعب [الموضوع] (١) وتفرع ، ولكن رأيت أن أجعله [أبواباً] (٢) ، يحتاج إلى أكثرها أهل كل طبقة لأداء فرضهم ، وبعضها مقصورة على آداب بعضهم ، والله استهدى وإياه أستعين وعليه أتوكل . ولم أختصر هذا الكتاب وإن كنت وصفته بالاختصار كاختصار الكتاب الذى قدمت ذكره ، ولا أطلته إطالة ما يمل قاريه ويتعب كاتبه ، ولكنى قربته من الاختصار وأعفيته من التطويل والإكثار لأن كل بائن عن شكل الاعتدال خارج عن حد الكمال ، فليس كل الناس يفهم الموجز من الكلام ، ولا كثير ممن يفهم ذلك يتعب ذهنه بالغوص فى تطلب معانى دقائق الكلام إن لم يجده بينا معروفاً وظاهراً مكشوفاً ، ولو استغنى بشىء من اللفظ عن البيان لاستغنى عنه القرآن ، فقد قال الله وهو أصدق

---

(١) فى الأصل : الموسوع

(٢) فى الأصل : بواب

القائلين « وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم[1] » فالبيان هو العبارة ، والحذف والاختصار كالرمز والإشارة ، وقل ما تكون الفائدة سيما لمن لم يتسع فى العلم فيما لم يوضحه البيان ، ولذلك قال بعض من يعنى بالكتب || [١٥] ما قرأت كتاباً كبيراً قط أو متوسطاً إلا أفدت منه فائدة وما أحصى ما قرأت من صغار الكتب فلم أفد منها شيئاً . ولا أشك أن فائدة هذا الكتاب المختصر الذى قدمت ذكره لم تكن إلا عن بركة من أفادنيه ، لا عن مؤلفه ولا ما ألف فيه ، ومن أحسن التطويل والإكثار أحسن لا محالة الحذف والاختصار ، ولو شئت أن أجعل هذا الكتاب فى كيفية الكتاب الذى وصفته أو فى مقدار نصفه أو فى أقل من ذلك لفعلت حتى لو أردت أن أقتصر على لفظة واحدة كافية منه لاقتصرت ، فأمرت بتقوى الله ففيها جماع كل خير الدنيا والآخرة ، وكذلك لو شئت أن أجعله فى الطول كأطول كتاب جمع لفعلت ، ولكنى توسطت به بين الأمرين ، وجعلت له حالا بين الحالين ، كما قال بعضهم لشاعر مدحه بشعر فيه مائة بيت شببه بتسعين بيتاً ومدحه بعشر أبيات « ما ألقيت معنى لطيفاً ولا قولا بديعاً إلا شغلت به تشباب شعرك عن مدحنا » فمدحه بعد ذلك بشعر شببه بتسميم بيت منه ومدحه بباقيه فقال « لا ذا ولا ذاك ولكن أمراً بين أمرين » فلهذه المعنى || [٥ ب] قصدت وعن الاكثار ومطلب الاختصار رغبت ، والله استهدى وإياه استعين وعليه أتوكل وهو حسبي ونعم الوكيل .

---

(١) سورة النحل ١٦/٤٤

(١)

ذكر ما ينبغى لأتباع الأئمة من اعتقاد ولايتهم والتدين بإمامتهم وطاعتهم صلوات الله عليهم

هذا باب ما يلزم جميع العباد ، ولو تقصيته لخرج عن حد هذا الكتاب ولاحتاج إلى إفراد كتاب ، ولكنى أذكر منه طرفاً ينبغى أن يذكر ، إذ كان اعتقاد ولاية الأئمة والتدين بإمامتهم وطاعتهم أصل ما يجب أن يبنى عليه هذا الكتاب وأسه ، وأول ما ينبغى أن يبتدأ بذكره فيه ويفتتح به . وإذا كان من عرف حقهم واعتقد إمامتهم رعى من واجبهم وامتثل من أمرهم ما يرى أنه فرض الله عز وجل عليه واجب وحق لازم ، كانت جلالتهم فى صدره أعظم ، وهيبتهم فى عينه أكبر من هيبة ملوك الدنيا وجلالتهم فى صدور أتباعهم وأعينهم ، إذ كان الله عز وجل تباركت وتقدست أسماؤه قد فرض طاعتهم على عباده فى كتابه ، وقرنها بطاعته وطاعة رسوله (صلعم) ، فقال وهو أصدق القائلين « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم »[1] فينبغى || لمن خصه الله ومنحه وأنعم عليه بالكون فى جملة من ذكرناه [٦ ا] من طبقات أتباع الأئمة صلوات الله عليهم أن يعتقد إمامتهم ، اعتقاد من يرى ويعلم أن رضاهم موصول برضاء ربه ، وسخطهم مقرون بسخطه ، فيتحرى من ذلك ما يرجو به رضاء الله الذى جعل الجنة ثوابه ، ويجتنب ما يوجب سخطه الذى جعل النار عقابه ، ويندب نفسه فيما يقربه منهم ويزلفه لديهم ، ويجهدها فيما وافقهم وطابق هواهم وأكسبهم رضاهم فيما أحبه وكرهه وسره وأسخطه ، وليرجع فيما أسخطه من ذلك إلى رياضة نفسه عليه وسياستها فيه ، حتى يؤول سخطه فى ذلك إلى الرضا وكراهيته إلى المحبوب ، ويستغفر الله

---

(١) سورة النساء ٤/٥٩

لما عرض له فى ذلك ويعلم أنه ذنب عظيم من الذنوب ، وأن التوبة لا تكون إلا بالإقلاع عنه حتى يرضى ما رضوه ويسخط ما سخطوه ، ويحب ما أحبوه ويكره ما كرهوه ، ويعتقد ذلك قولا وفعلا ونية وعملا ولو كان ذلك فيه حتف نفسه واستهلاك أهله وماله وولده ، ويسلم لهم فى كل الأمور تسليم مطيع لا تسليم مجبور ، يعلم أنه إن لم يفعل ذلك وخالفه أو شيئاً منه لم يكن مؤمناً لقول الله جل من قائل « فلا وربك لا يؤمنون حتى ‖ يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما [١] » فهذا فرض من الله جل ذكره على المؤمنين لرسوله الذى قرن طاعته بطاعته وطاعة الأئمة بطاعته ، وجعلهم الخلف للأمة من بعده صلى الله عليه وعلى الأئمة من ذريته الأبرار المصطفين الأخيار . فعلى هذا الوزن والترتيب يلزم فى الفرض الموجب من التعزيز والتوقير والطاعة والتسليم بالنية والقول والعمل والقبول لكل إمام على أهل عصره ما كان يجب منه لرسول الله صلى الله عليه وعلى آله على أهل زمانه ودهره ، وإن كانت درجة النبوة أعلى وأجل وفوق درجة الإمامة ، وفضل الأنبياء أعظم من فضل الأئمة فإن الطاعة واحدة موصولة قد قرنها الله تعالى بطاعته وهو أعلى وأجل من جميع خلقه ولا يقاس بشيء من عباده فلم يقبل من مطيع طاعته إلا بطاعة من افترض عليه طاعته من أوليائه ، ولم يدخل فى جملة المؤمنين به إلا من سلم لمن أمر بالتسليم إليه من أصفيائه . وفيما ذكرناه فى هذا الباب ما فيه كفاية لأولى النهى والألباب اذا تدبره من وفق لفهمه حق تدبره إن شاء الله ‖ .

[٦ ب]

[٧ ا]

---

(١) سورة النساء ٦٥/٤

(٢)

ذكر وجوب مودة الأئمة

قال الله جل ذكره لمحمد نبيه صلى الله عليه وعلى آله « قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة فى القربى[١] » فسئل رسول الله صلى الله عليه وعلى آله : من هم ؟ فقال : على وفاطمة والحسن والحسين . وقال صلى الله عليه وعلى آله « من أحبهم فقد أحبنى ، ومن أبغضهم فقد أبغضنى » وقال « لا يحب عليا إلا مؤمن ولا يبغضه الا منافق » . فكانوا يقولون ما كنا نعرف المؤمنين من المنافقين على عهد رسول الله (صلع) الا بمحبة علىّ ومودته وتفضيله ، فنص رسول الله صلى الله عليه وعلى آله على مودته من كان فى عصره ، وحض من بحضرته على ذلك اذ سألوه عنه ، وافترض الله عز وجل له ذلك على كافة الناس ، وذلك واجب للأئمة من ذريته فى كل عصر وزمان على أهله ، فقد سئل أبو جعفر محمد بن على صلوات الله عليه عن قول الله عز وجل : قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة فى القربى » فقال : والله هى فريضة من الله واجبة على جميع العباد لمحمد صلى الله عليه وعلى آله فينا أهل بيته » وقال عليه السلام « من أحبنا حشره الله معنا يوم القيامة » ثم قال وهل الدين إلا الحب . قال الله عز وجل « وحبب إليكم الإيمان وزينه فى قلوبكم » وقال: « إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم » وقال على عليه السلام لبعض شيعته « ألا أخبركم بالحسنة التى من جاء بها أمن من فزع يوم القيامة وبالسيئة التى من جاءبها أكب الله وجهه || فى النار . قالوا : بلى يا أمير المؤمنين قال : الحسنة حبنا والسيئة بغضنا . فينبغى لمن عرف الأئمة إخلاص المحبة لهم واعتقادها لله ولمكانهم منه لا لغرض دنيا ينالها منهم ، فإن

[٧ ب]

(١) سورة الشورى ٤٢/٢٢

من كانت مودته لشيء زالت وانقطعت مع زواله وانقطاعه ؛ فلتكن مودته لهم عند المنع كمودته لهم عند العطاء ، وفى الضراء بحسبها فى السراء ، لأن ما كان لله عز وجل خالصاً من الأعمال لا تغيره صروف الدنيا ولا تنقله من حال إلى حال ، وإنما تنقل وتغير حوادث الدنيا من الأعمال ما كان لها ، قال جعفر بن محمد صلوات الله عليه . « من أحبنا فليخلص لنا المحبة كما يخلص الذهب الإبريز » قال على صلوات الله عليه « لو ضربت المؤمن على أنفه ما أبغضنى أبداً ، ولو صببت الذهب والفضة على المنافق ما أحبنى أبداً » فمن أحب أولياء الله فليخلص لهم المحبة ، وليعطها حقها فإن حق المحبوب على محبه أن ينصحه ولا يغشه ، ويؤدى إليه الأمانة ولا يخونه ، وينصره ولا يخذله ، ويطيعه ولا يعصيه ، ويحب له ما يحب لنفسه ، ويكره له ما يكره لها ، ولا يخالف ظاهره باطنه ، ولا سره علانيته ، ولا غيابه مشهده ، هذه حقيقة محبة المتحابين فى الدنيا ، فكيف بمن أحب من أحبه الله ، وعلم أن الله يطلع ويعلم ما يسره ويبديه ويظهره ويخفيه ، فحقيق عليه ‖ أن يجعل من نفسه على نفسه فى محبته رقيباً عليه فى علانيته وظاهره ، وخلوانه وسرائره . فاخلصوا أيها المؤمنون لأوليائكم المحبة لتستنجزوا بها من فضل الله فضل ما عنده ، ففى ما ذكرت فى هذا الباب بلاغ لمن وفق للصواب .

[١٨ ا]

(٣)

ذكر أداء الأمانة للأئمة صلوات الله عليهم والنصيحة لهم والتحذير من خيانتهم وغشهم

قال الله عز وجل : « إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها [١] » : وقال « فإن أمن بعضكم بعضاً فليؤد الذى اؤتمن أمانته [٢] » وقال : « يا أيها الذين

(١) سورة النساء ٤/٥٨ (٢) سورة البقرة ٢/٢٨٣

آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون[١] » وقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله « لا تخونوا ولا تغلوا ولا تغدروا » وقال : « الأمانة مؤداة عليكم » وقال : « من غشنا فليس منا » وقال : « دماؤكم وأموالكم حرام ». وقال على (صلع) ، لبعض من أوصاه « أد أمانتك ولا تخن من خانك » . وقال جعفر بن محمد صلوات الله عليه « أدوا الأمانات إلى الأحمر والأسود وإن كان حروريا ، وإن كان شاميا وإن كان أمويا ، وإن كان عدوا ، أدوا الأمانة ولو إلى قاتل الحسين فأمر الله جل ذكره ورسوله والأئمة من أتباع أهل بيته (صلع) وعليهم أجمعين أمراً مجملا ومفسراً بأداء الأمانة إلى من كانت له من ولى أو عدو مؤالف أو مخالف . وذلك أن حق أداء الأمانة إنما || يلزم المؤمن فى نفسه ، وأمانته فيها يرعى ودينه بأدائها يحفظ ، ونفسه بحفظها ينزه ، وإن خانها فأمانته يوتغ ، وعرضه يشين ، ودينه يهتضم ، ومروته يضيع ، ليس لمن ائتمنه ولا عليه من ذلك شىء [من أن كان][٢] أكثر من ذهاب حطام عاجل إن خانه المؤتمن أو توفيره عليه إن هو أداه إليه . فحقيق على من خاف ربه ونزه نفسه أن يؤدى أمانته ، وإذ كانت[٣] الأمانة واجباً اداؤها إلى سائر الناس فحق أمانة الأئمة أوجب ، والأمر بأدائها آكد وخيانتهم أغلظ ، والاثم فى ذلك أشد ، ألا ترى قول الله جل من قائل : « يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول[٤] » فإن من خان رسول الله (صلع) فقد خان الله كما قال الله جل من قائل : « إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله[٥] » وقال « من يطع الرسول فقد أطاع الله » وقال : « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم[٦] » فطاعة أولياء الله الله ، ومعصيتهم معصية الله ، ومن خانهم فقد خان الله ، ومن وفى لهم فقد وفى

[٨ ب]

---

(١) الأنفال ٨/٢٧

(٢) هكذا فى الأصل ويستقيم الكلام لو حذف ما بين القوسين

(٣) فى الأصل : كان .

(٤) الأنفال ٨/٢٧

(٥) الفتح ٤٨/١٠

(٦) النساء ٤/٥٩

طاعة الله ، ومن أدى أماناتهم فقد أدى أمانة الله ، وإن كانت الخيانة منهيا عنها على العموم ، فخيانة أولياء الله أعظم جرماً ، وأغلظ إثما ، ومؤدى ‖ الأمانة [٩ ا] إليهم أجزل ثواباً وأجرا ، لأن الله جل ثناؤه لم يضاعف العقوبة لعاصى شيئاً كما ضاعف له الثواب فى الطاعة عليه ، قال وهو أصدق القائلين : « يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيراً ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحاً نؤتها أجرها مرتين وأعتدنا لها رزقا كريما [١] » . فأما خيانة الأئمة من الكبائر فلأن قتل النفس المؤمنة من الكبائر ، وقتل النبي أعظم من ذلك وأكبر ، والخيانة على الأنبياء والأئمة أغلظ وزرا ، كذلك صنيع الخير عندهم أكثر أجراً . وقد نهى رسول الله (صلع) عن ضرب البهائم فى غير حق ، وأن تحمل فوق طاقتها وقال : « رأيت صاحبة الكلب فى الجنة » وهى امرأة مرت بكلب يتلهظ على بئر فلم تجد ماتستقى له به ، فربطت خفها بخمارها واستقت له ، فسقته فغفر الله لها بذلك وقال : « رأيت صاحبة الهرة فى النار » وهى امرأة ربطت هرة لها وتركتها لا تطعمها ولا تدعها تأكل من [حشائش [٢]] الأرض حتى ماتت فعذبها الله بذلك . وقال « فى كل كبد حرى رطبة أجر » والأجر فى صنيع المعروف إلى الإنسان أفضل ، وهو فى المؤمن أجل . وكذلك صنيع السوء ‖ فى الوزر ، [٩ ب] وعلى هذا الوزن ما قدمناه من مقدار ذلك فى أولياء الله . فاحفظوا أيها الناس أماناتكم ، ما قل منها وما كثر وما صغر وما كبر ، فإن اسم الخيانة يقع على القليل والكثير منها ، والخيانة فى القليل إثم ونذالة ، وهى فى الكثير أعظم إثماً وتباعة . واعلموا أن الخيانة لاتكون فى المال خاصة فقط ، بل هى فى كل أمر من الأمور عامة ، وفى القول والعمل والنية . وهذا الباب يلزم أهل كل طبقة من طبقات أتباع الأئمة (صلع) وغيرهم للأئمة ولمن سواهم لأن أداء الأمانة والنصيحة لازم لكل مسلم . قال رسول الله . « الدين النصيحة لله

---

(١) الأحزاب ٣٣/٣٠و٣١ (٢) هكذا فى الأصل ولعلها حشاش

ولأوليائه وللمؤمنين » وليس فى ترك النصيحة لله ولأوليائه رخصة ولا عذر لتارك ذلك على حال من الأحوال . قال الله عز وجل . « ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا الله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً ألا يجدوا ما ينفقون »[١] فلم يجعل الله عز وجل لهم فى ترك النصيحة رخصة ، كما جعل لهم فيما لا يستطيعونه مما ذكره ، كما لم يجعل أيضاً فى اعتقاد المحبة بالقلب رخصة قال الحسين بن على (صلع) « من أحبنا بقلبه وجاهد معنا ‖ بلسانه ويده فهو معنا فى الرفيق الأعلى ، ومن أحبنا بقلبه وذب عنا بلسانه وضعف أن يجاهد معنا بيده فهو معنا فى الجنة دون ذلك منزلة ، ومن أحبنا بقلبه وضعف أن يجاهد معنا بلسانه ويده فهو معنا فى الجنة دون ذلك ، وليس دون ذلك شىء » فالنصيحة والأمانة لأولياء الله أقل واجبهم ، فمن خانهم وغشهم فقد انسلخ من ولايتهم ، فاحذروا عباد الله الغش والخيانة لهم ، فوالله لو لم يرغب الراغب فى الأمانة والنصيحة لهم إلا فى دوام عاجل نعمة الدنيا وشرف ذكرها وأمن عقوبتها ، لكان جديراً بذلك ، فكيف بثواب من الله لا عوض له منه يرجوه ، وعذاب لا عاصم له منه يخافه ، ولقد رأيت كثيراً من أوباش الناس وعوامهم ومن هو أقرب شبهاً بالبهائم منهم بالناس كالصناع والمضاربين والحمالين يؤدون ما ائتمنوا عليه ، مع فقر مدقع وحاجة شديدة ، لا لدين ولا لمعرفة ولا لاعتقاد ولكن خوفا من أن يخونوا أو ينكروا ما صار إليهم فيتناذرهم الناس ولا يستعملونهم ، فكيف بمن فيه حشاشة من دين أو أدب ، وله فى حظ نفسه حسن نظر ، لا يحذر إن خان سقوط المنزلة ، وانقطاع مادة الخير عنه ، إن لم يكن ممن يرجع ‖ إلى ثواب يرجوه أو عذاب يخافه .

[١٠ ا]
[١٠ ب]

(١) التوبة ٩/٩١ ، ٩٢

(٤)

ذكر توقير الأئمة وتعزيزهم وإجلالهم وتعظيمهم صلوات الله عليهم

تعظيم الأئمة صلوات الله عليهم وإجلالهم مما أوجبه الله عز وجل على العباد لهم، إذ قرن طاعتهم بطاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه، وحرس[1] عباده عليهم وأمرهم برد ما اختلفوا فيه إليهم، فما كان يجب لرسول الله صلع من التعظيم والتعزيز والتوقير على أهل عصره، يجب لكل إمام على أهل دهره إذ كانت طاعتهم مقرونة بطاعته وإن علت منزلة النبي (صلع) وارتفعت درجته لارتفاع درجة الرسالة على درجة الإمامة، فإن تعظيمهم من تعظيم الله جل وعز الذى أقامهم لخلقه، كما كانت طاعتهم موصولة بطاعته، ولأنه جعلهم القائمين بأمره والدعاة إليه وأهل الدلالة عليه، فينبغى لكافة الناس تعظيمهم وإجلالهم فى أعينهم وصدورهم والتذلل والتواضع لهم، ورفعهم فى القلوب والأبصار عن أقدار ملوك الدنيا وجبابرتها، وإحلال مهابتهم فى النفوس فوق محل سلاطين الدنيا فيها، وإعتقاد ذلك التعظيم والإجلال والهيبة والإكبار لله الواحد القهار ‖ لمكانتهم منه وجلالتهم لديه؛ [١١ ا] وإذا نظر أهل الدنيا إلى ملوكهم بعين تعظيم ما عندهم من حطامها، وهيبة مخافتهم من سطواتهم فيها، فلينظر أتباع الأئمة وأولياؤهم إليهم بعيون من يرى عظمة الإمامة فيهم، ويعرف سيماء الحكمة فى وجوههم، وينظر إلى هيبة سلطان الدين لديهم، وينزلوهم فى قلوبهم بمكانهم من الله، ويشعروا مخافتهم منه فى ترك ما أوجب من تعظيمهم، ويخافوا تضييع ذلك على أنفسهم، وليكن نظرهم إليهم نظر فكرة فى ذلك واعتبار، ورغبة فيه واستبصار، لا نظر

---

(١) هكذا فى الأصل ولعل الصواب حرض.

غفلة ولهو ونسيان وسهو ، فلمثل ذلك جاء فى الحديث المرفوع « إن النظر إلى الإمام عبادة ، والنظر إلى المصحف عبادة» ليس ذلك على نظر السهو والغفلة ولكنه فى نظر التدبر والتفكر، كما أن الناظر فى المصحف بلا تدبر لما فيه لا فائدة له فى النظر إليه ، قال الله تعالى : « أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها[1] ». وكما جاء فى الحديث المأثور « إن قراءة آية فى تدبر خير من قيام ليلة » يعنى بقراءة القرآن من غير تدبر . وكما فى الحديث فى صفة الخوارج « أنهم يقرؤون القرآن فلا يجاوز تراقيهم » يعنى أنهم يهذونه بألسنتهم ولا يتدبرونه ‖ [١١ ب] بقلوبهم ، وهو لا يصل إليها ولا يجاوز تراقيهم ؛ وعلى ذلك ينبغى لمن سمع كلام الأئمة أن يصغى إليه ، وينصت له حتى يستوفيه ثم يتدبره حق تدبره ، إذ كان كلامهم مأخوذاً من كلام النبى صلى الله عليه وآله ، وذلك لأن طاعتهم بطاعة الله عز وجل وطاعة رسوله صلى الله عليه وعلى آله موصونة ، فما كان من كلامهم من أمر تلقاه من يسمعه أو ينتهى إليه بالقبول ، وما كان منه من نهى تناهى عنه ذوو النهى والعقول ، وما كان منه من أخبار ميز وانتقد على التحصيل ، فإن تحت كل لفظة من ألفاظهم حكمة ، وفى كل كلمة من كلامهم فائدة ، يهدى الله لعلم ذلك من أحب ، ويمنعه من شاء ، وينبغى لمن غمض ذلك عليه أو لم يتأد حسه إليه ، أو لم يعرف معناه فمر صفحاً عليه أو أنكره أو شيئاً منه أو رأى أنه لا فائدة فيه ولا معنى له أن يعرف أن التقصير من قبله ، والعجز من ذات نفسه ، ويسأل عما جهله من هو فى العلم بذلك فوقه فإن لم يجد ذلك أنزله على أحسن المنازل ، واعتقد فيه أفضل الإعتقاد ، وسلك فيه خير السبل ، وسلم لهم فيه ووجهه إلى خير الوجوه عنده .

---

(١) سورة محمد ٤٧/٢٤

(٥)

ذكر الأمر بالوفاء بعهود الأئمة ورعايتها وتذكار ما أخذ لهم منها

[١٢ ا]

قال الله جل ذكره « يا أيها الذين آمنوا أوفوا ‖ بالعقود »[١] وقال تعالى « وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا[٢] » وقال تعالى « إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فيؤتيه أجراً عظيما[٣] » فعهد الائمة صلوات الله عليهم هو عهد النبيين وهو عهد الله ، كما كانت طاعتهم موصولة لا ينبغى قطعها ، فكذلك عهودهم إنما هى على الطاعة ولا ينبغى إلا الوفاء بها ، ولا ينبغى نقض شيء منها ، ولو أطاع الله فيما يرى مطيع ، وعصى رسوله أو كذبه لم يقبل الله طاعته وعذبه على تكذيب رسوله ومعصيته ، يشهد بذلك قوله جل ثناؤه واصفا لأكرم رسله عن الملحدين المستوجبين لعذابه « ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله » القائلين ما استوجبوا به غضب الله مع إقرارهم بربوبيته بجحدهم نبوة رسوله ، وكذلك يلزم من أقر بالله ورسوله ، ولم يعترف بإمامة أولياء الله وأوصياء رسوله ولو عبد الله على ذلك أيام حياته وطول مدته ، لكان ممن قال الله جل ذكره « وقدمنا إلى ما عملوا من عمل [ص ١٢ ب[٤]] ‖ فجعلناه هباء منثورا »[٥] وكذلك هو إن أطاع الله ورسوله بزعمه ، وعصى إمامه أو كذب به فهو آثم فى معصيته غير مقبولة منه طاعة الله وطاعة رسوله ولا عمله مع جحده إمامه ومعصيته ، إذ كان الله عز وجل جمع تلك الطاعات ، وافترضها ووصلها فلم يقطعها ، وجمعها فلم يفرق بينها ، فمن وفى لله بعهده ولرسوله وأوليائه فهو ممن قال الله تعالى « فسيؤتيه أجراً

[١٣ ا]

---

(١) سورة المائدة ١/٥ (٢) الاسراء ٣٤/١٧ (٣) الفتح ١٠/٤٨
(٤) فى الأصل بياض مقدار صفحة بأكملها (٥) سورة الفرقان ٢٣/٢٥

عظيما » فالأجر العظيم الجنة ؛ ومن نقض عهد الله من بعد ميثاقه وقطع ما أمر الله به أن يوصل فهو من الخاسرين الذين وصفهم الله عز وجل فى كتابه « وهم الذين خسروا الدنيا والآخرة ، خسروا رضاء الأئمة عنهم فى الدنيا ، ورضاء الله عنهم فى الآخرة ، وصاروا إلى عذابه ، لقطعهم هذه الطاعة التى أمر الله عز وجل بها أن توصل ؛ فبالوفاء بعهد الله وعهد أنبيائه وأوليائه وطاعتهم استحق المؤمنون اسم الإيمان ، واستوجبوا ثواب ربهم الذى وعدهم إياه فى كتابه ؛ وبنكث عهدهم ونقضه واطراحه استحق الناكثون عذاب الله وخسروا رحمته ، فالوفاء الوفاء أيها ‖ المؤمنون بعهودكم ، والحفظ الحفظ لأماناتكم ، فإنكم قد عاهدتم الله ربكم ، فأعطيتموه صفقة إيمانكم على الوفاء بما عاهدتموه ، وألزمتم أنفسكم من الشرائط والإيمان والمواثيق على ذلك ما قد عرفتموه ، والرغبة الرغبة فى ثواب رب العالمين ، والحذر الحذر أن تكونوا من الخاسرين ، وفكروا فيما عاهدتم الله عليه وفيما ألزمتم أنفسكم إياه وأعطيتم صفقة إيمانكم فيه ، وارعوه حق الرعاية ، وأدوا إلى الله وإلى أوليائه فيه الأمانة ، فإنه عز وجل يقول « قد أفلح المؤمنون » إلى قوله « والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون ، والذين هم على صلواتهم يحافظون ، أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون[١] ». فبالوفاء بالعهد وحفظ الأمانات نزل المؤمنون منازل الجنات ، وبنقضها والخيانة حل[٢] أهل الشقوة أسوأ المحلات ، ولو لم يكن ما تستخرجون[٣] له فى خلاف ما عاهدتم الله عليه إلا الحنث فيما ألزمتموه[٤] أنفسكم من الإيمان المحرجة المشددة والعهود المغلظة المؤكدة ، وقد ترون من الناس كثيراً ممن لا كثير ورع له ولا عظيم أمانة فيه يحفظون إيمانهم كما ‖ أمر الله عز وجل بحفظ الإيمان فى كتابه ، فإن حنث أحدهم فى الشيء منها كفر

[١٣ ب]

[١٤ ا]

---

(١) المؤمنون ٢٣/٨و٩ و١٠ و ١١ (٢) فى الأصل : محل

(٣) هكذا فى الأصل ونرجح أنها : تتحرجون (٤) فى الأصل : ألزلتموه

بما يجب ، ويلزم الكفارة فيه عنها ، وأمضى مالا كفارة فيه على ما قد كان حلف به عليه ، فقد طوقتم أعناقكم ما لا تطيقون إن حنثتم فيه ، وما لا كفارة له إلا الوفاء بما حلفتم به عليه مع تغليظ ذلك وتأكيده وتعظيمه وتشديده ، فاتقوا الله [إذ تلقوه] [1] بأيمانكم حانثين ولعهوده ومواثيقه ناقضين ، ولحدوده متعدين ، ولأمره مخالفين ، ولنهيه مرتكبين ، فقد حرم عليكم بنقضكم العهود وحنثكم فى الإيمان ماكان الله عز وجل أحله لكم من النكاح والمكاسب والمطاعم والملابس والمشارب ، ولزمتكم صدقات أموالكم ، وعتق رقيقكم ، وما أوجبتموه من النذور على أنفسكم ، فإن لم تفوا بذلك ارتكبتم الحرام ، وانغمستم وارتطمتم فى الخطايا والآثام ، أعاذنا الله وإياكم من ذلك أجمعين ، وأدخلنا فى جملة عباده المؤمنين ، الذين يوفون بعهده ولا ينقضون والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون .

واعلموا رحمكم الله أن رعاية الحدود والوفاء بأمانة المواثيق والعقود لا يكون إلا بعد علم بما أخذت عليه ‖ وعقدت فيه ، وحفظه والقيام بواجب فرضه ، فاعرفوا ما عاهدتم الله عليه وما ألزمتم أنفسكم إياه له ولأوليائه ، وما قيل لكم فى ذلك وما أخذ عليكم فيه ، ولا يكن مر بكم يومئذ صفحاً فنسيتموه ، أو تكونوا قد عرفتموه فتهاونتم وضيعتموه ، فمن يكن ضيع ذلك بعد أن أخذ عليه وعلم ما ضيع منه فليتلاف نفسه فيه بالتوبة مما ضيع والرجوع إلى حفظ ما استودع ، فمن نسى ذلك أو شيئاً منه ، فليستأنف أمره وليسأل تجديد الأخذ عليه ، ليرجع بالاعتراف والتوبة إلى الله ، وإلى وليه فيه ، ولا يتمادى على السهو والتغفل فيلقى الله ناسياً لآياته ، مضيعاً لعهده قد نبذه وراء ظهره ، فيكون عند الله أخزى وأشقى ممن لم يجد له عهداً ، إذ كان المضيع للأمانة أسوأ حالا ممن لا أمانة فى يديه ، والحجة على من علم آكد منها على من لا علم لديه ، وإن كان الفرض على من جهل السؤال وعلى من ضل

[١٤ ب]

(١) هكذا فى الأصل ولعل الصواب أن لا تلقوه

طلب الهداية عند الضلالة ، وقد جعل الله عز وجل المنافقين فى الدرك الأسفل من النار فهم فيها أشد عذابا وأسوأ حالا من الكفار لأنهم علموا ثم أنكروا والكفار أصروا على الكفر لما كفروا ، فكل فى عذاب الله [١٥ ا] || ووثاقه ، والمنافق أشد عذاباً لنفاقه ، وكذلك من نقض العهد أو نسيه هو أسوأ حالا ممن لم يؤخذ عليه وكلاهما لا خير فيه .

(٦)

ذكر ما ينبغى لأتباع الأئمة صلوات الله عليهم من أخبارهم بما قبلهم وسؤالهم والاستغفار لهم

قال الله عز وجل « ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيما » وقال فى المنافقين « وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رءوسهم ورأيتهم يصدون وهم مستكبرون (١) فأخبر جل ثناؤه أن مغفرته لمن ظلم نفسه لا تكون إلا من قبل أوليائه إذ هم أبواب رحمته لخلقه وأسباب مغفرته لعباده ، ومن استشفع بهم شفع ومن استرحم بهم رحم ومن توسل بهم وصل ، والذى جعل الله عز وجل من ذلك لرسوله صلى الله عليه وعلى آله فهو لمن وصل طاعته بطاعته من الأئمة من أهل بيته ، ولو لم يكن ذلك لانقطعت رحمة الله عز وجل عن عباده وارتفعت مغفرته لخلقه ، وسدت أبواب التوبة دونهم ، وعدموا عفوه عنهم ، كلا إن الله جل ثناؤه لم يخل أرضه من حجة على عباده ، ومفزع وملاذ لخلقه ، وباب لرحمته ودليل عليه لبريته [١٥ ب] || رأفة منه لعباده لئلا يكون عليه حجة لأحد من خلقه أن يقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير ولم نجد لما جهلناه من عليم به ولا خبير ولا مفزع نلجأ إليه

(١) المنافقون ٦٣/٥

فى استغفار ذنوبنا، كما ذكر الله عزوجل فى كتابه لما قبض الرسول فقد أخبرهم عز وجل فى التنزيل أنه وصل طاعته وطاعة رسوله بطاعة أولى الأمر من بعده وفى أمره[1] إياهم بطاعتهم وتسميته إياهم دليل على تعبدهم بطاعتهم ورد الأمور كلها إليهم والتسليم فيها لهم، فينبغى لاتباع الأئمة أن يعلموا أن الله عزوجل جعلهم لهم أبواباً لرحمته وأسباباً لمغفرته فمن خالف شيئاً مما عاهدهم عليه أو ضيع أمراً تقدموا إليه أو اقترف شيئا أشفق منه فعليه أن يأتيهم ويرفع ذلك من أمره إليهم تائباً متنصلا مما صار إليه، مستغفراً من ذنوبه فيه، مستشفعاً إلى الله بإمام دهره من ذنبه، كما أمر الله عز وجل فى كتابه ودعا إليه عباده، ولا يصر على ذنوبه وخطاياه ونسيانه، ويتمادى على اقترافه وموبقاته غير تائب منها ولا مقلع عنها فإن الله عز وجل قال فى كتابه «يحب التوابين ويحب المتطهرين» ويكره أن يؤتى من غير جهات أبوابه ‖ أو يتسبب إليه إلا من أسبابه. قال الصادق جعفر ابن محمد صلوات الله عليه: «نحن أبواب الله وأسبابه لعباده، ومن تقرب منا قرب، ومن استشفع بنا شفع، ومن استرحم بنا رحم، ومن أعرض عنا ضل» وقد جاء عن بعض أهل بيت رسول الله صلوات الله عليه وعلى آله قول رفعه إلى علىّ عليه السلام أنه قال: ينبغى لكل من عرف إمامه أن يخبره بما فيه ويطلعه على ما لديه، وعلى ما يحسنه ويقوم به ليستعمله فيما يرى استعماله له مما يرى أنه ينهض به ويستطيع به». وهذا عندى وجه حسن ينبغى لأتباع الأئمة أن يفعلوه، بعد أن يصدقوا فى قولهم ولا يكتموا شيئاً يعلمون من أنفسهم، ولا يكن مرادهم بذلك استشرافا بها للعمل، ولا طلباً للرياسة، بل يكون قصدهم بذلك وجه الله الكريم وابتغاء ثوابه العظيم فى أداء الأمانة إلى أئمتهم والوفاء بعهدهم، وانهاء ما يرون أنه من النصيحة لهم كما أخذ لهم فى ذلك عليهم، فإن من علم من نفسه ما يرى أن

[١٦ ا]

(١) فى الاصل أمرهم

إمامه إذا رأى استعماله فيه عاد ذلك بالصلاح فى أموره فكتم ذلك وطواه عنه فهى خيانة خانها ونصيحة لله ولرسوله ولوليه أخفاها ، وإذا أنهى ذلك ‖ على العدل والصدق وسلك فيه سبيل النصيحة والحق فالخيار بعد [١٦ ب] ذلك فيه إلى إمامه وعليه السمع والطاعة لما يأمر به ، والتصرف فيما صرفه فيه والمصير إلى ما أصاره إليه علم ذلك أو جهله ، أو كان عند نفسه مستضلعاً به أو ضعيفاً عليه ، فإن الله عز اسمه يؤيد من أقاموه ، ويوفق من نصبوه إذا تولى ما ولوه بنصيحة ونية وإخلاص ضمير وصفاء طوية ، فوالله أحلف صادقا لقد أمرت غير مرة بأمر ما أحسن[1] ولا أرى أنى أستطيع شيئاً منه ولا أقوم به ، فما هو إلا أن أخذت فيه فقويت ، فأعنت عليه وجئت به على ما أريد منه ، فعلمت أن الله جل ذكره يبلغ أولياءه ما أملوه ، ويتم لهم ما أرادوه ، فإنما الناس لهم بمنزلة الأدوات التى تعمل بذواتها فإذا استعملت عملت دقائق الأعمال وجلائلها ، ولقد عهدت بعض المؤمنين وقد ندبه بعض الأئمة إلى عمل فسارع اليه ، وهو عندى وعند من يعرفه لا يحسنه ولا يقوم بشىء منه ، وكنت خاصا به ، فذكر لى أمره بعض من أغتم بما أضيف إليه ، وخشى التضييع والتقصير عليه ، وحركنى على ذكر ما يخاف من ذلك عليه له ‖ أن يستعفى من ذلك ، فلقيته فيه فقال : والله إنى لعلى ما ذكرت ، ما أحسن [١٧ ا] ما ندبت إليه قبل هذا ، ولكنى أعلم إذ ندبنى إليه ولى الله أنى أقوم إليه وأحسنه ، والله لو دفع إلى ذهباً أو فضة وقال خذ هذا فصغ منه كذا وكذا لأخذت ما دفعه إلى وتناولت العمل على علم منى ويقين ونية أن الله تعالى يهدينى إلى ما أراده الإمام ويوفقنى إلى أن أعمل له من ذلك العمل ما أراده وانتهى فيه محبوبه ، وأبلغ منه أمله ، ورأيت يقينا عظيما ونية صادقة ، وعلمت أن تخلفه عما ندب إليه يقرب من تخلفه من عمل الصياغة التى ضرب المثل به ، ولم أر لمراجعته وجها ، فانصرفت عنه وغدوت من غد إليه فأصبته قد اعتل

(١) هكذا فى الأصل . ولعل الصواب بأمر ما لا أحسنه

بعلة ظاهرة ثقيلة أقامت عليه إلى أن بعث إلى المكان الذى ندب إليه غيره ،
ثم أفاق فعلمت أن الله صرف ما كنت خشيته عليه لجميل اعتقاده وحسن نيته ،
فأقل ما يسمع فى ذلك من ندب الإمام أو من قام بأمره وليا من أوليائه إلى
أمر من أموره ، أن يطلعه على مافيه ، ويخبره بلسان الصدق بما عنده ولديه من
كفاية فى ذلك أو عجز || أو تقصير عنه ، فما رآه بعد ذلك سلم إليه فيه وسارع [١٧ ب]
إلى ما يأمر به ، فإنا لا نقول ما قاله الغلاة الضالون المبطلون الصادون عن
أولياء الله الدافعون إمامتهم الزاعمون أنهم يعلمون غيب الله وما تخفى صدور
عباده تعالى الله الذى تفرد بعلم ذلك دون خلقه ، ولم يطلع على ماشاء منه
إلا من ارتضى من رسله ، قال جل ثناؤه : » « قل لا يعلم من فى السموات
والأرض الغيب إلا الله » وقال لنبيه صلى الله عليه وعلى آله : « قل لا أملك
لنفسى نفعاً ولا ضرا إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من
الخير وما مسنى السوء » وانما أراد هؤلاء الفسقة بما نسبوه إلى الأئمة صلوات
الله عليهم من ذلك دفع إمامتهم لأنهم لما زعموا أن الأئمة يعلمون الغيب
والناس يرونهم لا يعلمون ذلك بما يشاهدون منهم من سؤالهم واستخبارهم
عما غاب عنهم وأنهم لا يعلمون من أمور الناس إلا ما ظهر منها لهم ، لم يكونوا
أئمة عند أولئك الفسقة ، ولا عند من قبل منهم إذ لم تكن تلك الصفة التى
وصفوهم بها منهم . وأكثر ما نقول فى الأئمة صلوات الله عليهم فى مثل
هذا أنهم يعلمون || ماغاب عن الخلق سواهم من العلوم ، وينظرون بنور [١٨ ا]
الله جل ذكره ، وأنه يمدهم بتوفيقه ويهديهم بهدايته ، ويطلعهم على ماسألوه
أن يطلعهم عليه بلطيف تدبيره وحكمته وفضله عليهم ونعمته ، كما جاء عن
رسول الله صلى الله عليه وعلى آله « إن المؤمن ينظر بنور الله » وهو الإمام
صلوات الله عليه، فإن قال قائل إن ذلك لكل مؤمن ، فنظر الإمام بعد رسول
الله (صلعم) أفضل لأنه فوق جميع المؤمنين ، وقد جاء عن جعفر بن محمد
صلوات الله عليه أنه سئل عن قول الله عز وجل « إن فى ذلك لآيات

للمتوسمين » فقال : نحن المتوسمون ننظر بنور الله إلى عباده ، فاحذروا فراستنا فيكم » وأشباه هذا مما قد يجري مجراه ، يطول به الكتاب إن ذكرناه .

(٧)

ذكر ما ينبغي من اقتصار من شملته دعوة الإمام على ما قيل لهم وعرفوه دون أن يتعاطوا أو يتكلفوا ما لم يؤذن لهم فيه

[ب ٧]

هذا باب لو تقصيناه وذكرنا ما ينبغي أن يدخل فيه لطال القول به ، وخرج عن حد هذا الكتاب وفيما نذكر منه إن شاء الله كفاية لأولى الألباب . ينبغي لمن أخذ عليه || ميثاق الأئمة صلوات الله عليهم أن يفي به ويرعاه كما قدمنا ذكر ذلك ، ولا يخالف شيئا مما أمر به فيه ولا يتعداه ، ولا يغلو ولا يقصر ، ولا يتعدى شيئاً مما أمر به ، ولا يتأول فيما سمعه ويسمعه من أولياء الله برأيه ولا يقول فيه بهواه ، ولا يحدث نفسه بذلك ولا يميل إليه بخواطره ، وليكن كما قال مولانا جعفر صلوات الله عليه لبعض أوليائه « كونوا لنا دعاة صامتين » فقيل له : كيف ندعوا جعلنا الله فداك ونحن صموت ؟ فقال « بأعمالكم » وذكر كلاما طويلا يحض فيه على أعمال البر ثم قال : « فاذا رآكم الناس على مثل هذه الأحوال علموا إنما دعوناكم إلى خير ، فسارعوا إلينا فكنتم دعاتهم » فهكذا ينبغي لمن يقلد أمر أولياء الله أن يلزم الخير ويعمل به ، ويجتنب الشر ويحذره ، ويعمل بطاعة الله وبفروضه ويجتنب معاصيه وما أسخطه ، ويدع المراء والجدال فى الدين حتى يطلق له فى ذلك ويؤذن له ذلك من إليه الإطلاق من بعد أن يراه أهلا له ويرتضيه ، فرب مجادل لا يقوم بما يتقلده يكون فتنة لمن هو ألحن بالحجة منه إذا || جادله فقطعه ، ولذلك أمر أولياء الله بالصمت ، وتعبد الله به أولياءهم ، ولم يأذنوا فى الكلام إلا لمن ارتضوه ، وأطلقوا ذلك له ، وقال بعضهم لمن قد أذن

[١٨ ب]

[١٩ ا]

له فيه « متى ناظرك من تر أنه ألحن بالحجة منك فاستتر بالباطن » يعنى عليه السلام أن يقطع كلامه ، ويومىء إلى أن فى ذلك باطنا لا يتهيأ له ذكره ، ولا يتمادى فى الكلام إلى أن يظهر عليه مخاصمه ، فيكون ذلك فتنة له وداعيا إلى الإصرار على ما هو عليه ، ولكن يبقيه على شبهة من أمره إن كان قد وجل فى مناظرته ، وإن علم أنه ألحن منه قبل المناظرة لم يناظره واستتر كذلك بالباطن منه ما أمكنه ، لأن احتجاج المبطلين ربما شبهوا به وخيلوا للسامعين أنه الحق ، كما خيل السحرة لموسى بحبالهم وعصيهم ما خيلوه حتى أوجس فى نفسه منه خيفة موسى ، وإن كان الحق بعد ذلك يدمغ الباطل ويأتى عليه ، ولذلك أمر بالصمت والكتمان ، وقال جعفر بن محمد (صلعم) لبعض شيعته وقد عرضوا أنفسهم للقيام معه فقال : « سألناكم ما هو أيسر من هذا فلم تفعلوا » ‖ قالوا : وما هو يا ابن رسول الله (صلعم) ؟ قال : « قلنا لكم اسكتوا فإنكم إن سكتم رضينا فلم تفعلوا » ولتثبيت أمر أولياء الله حدود وشرائط وآداب ودرجات يرتقى فيها الداخل فى ذلك ، فإذا لم يقف على ذلك أولا فأولا ويرتقيه درجة درجة ووصل إليه منه الشىء قبل وصول ما يجب أن يصل إليه قبله هلك ، كما أن الطفل لو حمل عليه الطعام فى حين ولادته لهلك ، ولهذا نظائر وأمثال يطول بها الكتاب ، ولذلك كان علم أولياء الله غير مطلق إلا لمن أطلقوه له لأنه لو كان مطلقا لأهلك بعض الناس به بعضا كما يهلك الطفل لو حمل عليه الطعام فى حين ولادته ، والجنين لو استخرج قبل أن ينتهى إلى حد التمام ، فلهذا ولامتحان العباد أسر أولياء الله ذلك وأخفوه ، ولو نشروه وأظهروه على حقيقة الواجب فيه لما تخلف أحد عنه ، ولكن الله عز وجل تعبد‖ عباده بالإيمان بالغيب فقال جل من قائل : « الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب » [1] إلى قوله « أولئك هم المفلحون » . ولو شاء عز وجل ‖

[١٩ ب]

[٢٠ ا]

---

(١) البقرة ٢ .

لجبل العباد على الطاعة ، أو لأمر منادياً ينادى من سمائه بمراده ، ولم يبعث من رسله إلى عباده من بعث ، ولو فعل ذلك لبطل التفضيل وزالت المحنة ، ولم يكن ثواب ولا عقاب ولكان الناس كلهم أمة واحدة ، ولاستووا فى النعم والعلم والفضل والله أعلم بما أراده وأولياؤه الذين أطلعهم على ماشاء من غيبه ، لا إله إلا هو وحده لا شريك له .

(٨)

ذكر الصبر على نوائب الأئمة صلوات الله عليهم والشكر لما أولوه من جزيل النعمة

الصبر والشكر خلتان من خلال العبادة ، فمن صبر على طاعة الله وطاعة أوليائه التى افترضها لهم على عباده وعول فى السراء والضراء عليهم واحتمل الأذى لله ولهم كان من الصابرين الذين وصف الله عز وجل ثوابهم فى كتابه فقال « إنما يوفى الصابرين أجرهم بغير حساب [(٢)] » وقد ذكر الله تعالى ثواب الصابرين فى غير موضع من كتابه وأثنى عليهم فيه فوصف ما أعد لهم من ثوابه ، وبالصبر عن المعاصى والصبر على الطاعة نال الصابرون ثواب ربهم وأفضوا إلى كرامته وحلوا || قرار جنته (فاصبروا أيها المؤمنون ولا [٢٠ ب] أفضوا إلى كرامة إلى أنفسكم عن المعاصى [(٣)]) واصبروها على الطاعات وأدبوا أنفسكم بالصبر على نوائب أئمتكم ولا تسأموها وسارعوا إليها ولا تملوها فإنها عبادة تعبدكم الله بها فيجزى منكم العاملين ويثيب الصابرين . وبالصبر على نوائب أولياء الله قامت حدوده فى أرضه وظهر فيها حقه وأمره ودان من دان فيها بطاعته . فالصابرون لأمر أولياء الله القائمون بنوائبهم المسارعون

---

(١) سورة الزمر ٢٩/١٠

(٢) هكذا فى الأصل والنص مضطرب غير مفهوم .

إلى أمرهم فيما أرادوهم له وندبوهم إليه واستعملوهم له وصرفوهم فيه هم المطيعون لله القائمون بنوائب الله الحافظون لحدود الله المجاهدون فى سبيل الله والمقيمون لأحكام الله الظافرون بالرحمة والثواب وطوبى لهم وحسن مآب. ولو لم يصبر العباد على فرائض الله ويقوموا بنوائب أولياء الله وتواكلوا وتخاذلوا فى دين الله لحلوا محل شقواتهم وويلهم ولتخطفهم الناس من بين أيديهم ومن خلفهم ولأكل القوى الضعيف واضطهد الشريف عند نفسه المشروف، نعوذ بالله من البلاء والخذلان ‖ ومن الفشل فى الدين المحل بأهل البأس والهوان. [٢١ ا]

وأما الشكر فبه تدوم النعم، ويرجى المزيد للشاكرين، وبتركه دخل التاركون له فى جملة الكافرين. قال الله عز وجل وهو أصدق القائلين « لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابى لشديد »(١) وقال رسول الله (صلع) « من أسدى إليه معروف فليكافىء عليه، فإن لم يجد مكافأة فليشكر، فإن لم يفعل فقد كفر النعمة » ولم يرض الله عز وجل من عباده فيما أنعم به عليهم بشكر النعمة له وحده تعالى وتقدست أسماؤه لا شريك له حتى أوجب عليهم شكر من أجرى نعمته لهم على يديه من خلقه فقال « أن اشكر لى ولوالديك إلى المصير »(٢) وقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله « يقول الله جل ثناؤه يوم القيامة لبعض من لم يشكر المعروف لمن صنعه إليه، صنع بك عبدى فلان معروفاً فلم تشكر له وكفرته، فيقول يارب علمت أن ذلك منك فشكرتك، فيقول الله عز وجل: كلا لم تشكر لى إذ لم تشكر من سببت لك ذلك على يديه ». فإذا كان شكر تربية الوالدين، وشكر نعم الناس بعضهم على بعض فرضا وتركه كفرا، فكيف بشكر الأئمة صلوات الله عليهم ‖ على ما لا يحصى من نعمهم، أما وليهم فقد أحيوه من موت الجهل بالحكمة، وبصروه بعد عمى الجهل واستخرجوه إلى النور من الظلمة وهدوه من الضلالة وعلموه من بعد الجهالة واستنقذوه من النار، وأحلوه محل الأبرار، [٢١ ب]

---

(١) سورة ابراهيم ١٤/٧ (٢) سورة لقمان ٣١/١٣

وأنعموا عليه بنعم لا تحصى ، وجمعوا له من خير الآخرة وخير الدنيا . وأما من اتبعهم لطلب دنياه فقد بلغ من الخير فيما عندهم مداه ، ونال من فضلهم أضعاف ما يوجبه لهم ما تولاه هذا إن نصح لهم فيما استعملوه فيه وقام بواجب ما كلفوه وأخذ أجرهم عليه ؛ وإن غش واقتطع وخان وأكل وهو يسرح فى نعمهم ويرتع فى أموالهم ويتقلب فى معروفهم وأفضالهم آمناً من عقوبتهم ووادعا فى سلطانهم فالحجة له ألزم وعليه آكد نعوذ بالله من حال من هذه حاله ، والشكر أوجب عليه وتلا فى نفسه بالتوبة والإنابة إلى النصح والإصابة أولى به ؛ وأما من شمله سلطانهم من رعاياهم ، ومن حوته مملكتهم ممن قرب أو بعد منهم ، فقد غمرهم فضلهم وإحسانهم من حيث يرون ويبصرون ، ومن حيث يجهلون ولا يعلمون ، فمن ذلك أنهم يمسون ويصبحون فى أسرابهم وادعين ‖ آمنين قد كفوا عنهم أيدى المعتدين وحموهم من تطاول المفسدين ودافعوا عنهم الأعداء المتطاولين بمهج أنفسهم وما خولهم الله من أموالهم على تخلف أكثر الناس عن الجهاد معهم كما افترضه الله عز وجل عليهم بأموالهم وأنفسهم ، ومنعهم الواجب فى أموالهم أن يدفعوه كما افترض الله عليهم من أموالهم ، مع سؤال من جاهد معهم العطاء لهم وإقامتهم ذلك لهم ، فمن شاء أن يعرف قدر نعمتهم عليه فلينظر إلى ما هو فيه من نعمة الله عنده من أهل ومال ، ولينظر إلى من هو أشد منه قوة وأطول يداً وأحمى جانباً وأمنع منعة ليس فى يديه جزء مما خول الله تعالى هذا من نعمه ، ولا له ورع ولا دين يحجزانه عن اختطاف ذلك من يديه ، والتغلب بالقوة والقدرة فيه عليه ، وأنه لا يمنعه من ذلك إلا سلطان أولياء الله وخوف انتقامهم منه ، واجتياحه من جديد الأرض إن فعله ، فذلك ما غل أيدى مثل هؤلاء عمن لا يستطيع دفعهم عن نفسه فى الحاضر والبادى والسبيل وبكل موضع ، وهم أكثر الناس وأهل الشدة والبأس ؛ فلولا خوفهم أولياء الله على أنفسهم لاجتاحوا من قدروا عليه من أخذهم ولأكلوا أموالهم ‖ وارتكبوا حرمهم

[٢٢ ا]

[٢٢ ب]

ولاجتاح بعضهم بعضاً ولأهلك الضعيف القوى واستباح الفقير الغنى ؛ ثم [عاد] (١) كذلك بعضهم على بعض حتى يهلك الحرث والنسل ؛ ولكن الله عز وجل ذكره جعل أولياءه سببا لحياة خلقه وبقاء ما أنعم به عليهم من نعمته وأوجب شكره على ذلك وشكر من سببه على يديه كما تقدم ذكرنا له ؛ وبهذه النعمة التى أوجب الله عز وجل شكرها عمرت الأرض وعاش فيها أهلها ولولا ذلك لذهبت الأنفس والأموال وتغيرت الأمور واستحالت الأحوال ؛ وهذا باب لايتعاطى بلوغ حقيقة ما يوجبه إذكان ما ينبغى أن يدخل فيه وما يوجبه ويقتضيه هى نعم الله على خلقه التى أجراها على أيدى أوليائه وهو يقول جل ثناؤه وتقدست أسماؤه « وإن تعدوا نعمة الله لاتحصوها» (٢) وإنما شرطنا أن نذكر طرفا من كل فن فى هذا الكتاب وجملا وعيونا من كل باب ؛ وفيما ذكرناه بلاغ لذوى الألباب والله ولى التوفيق .

(٩)

ذكر ما يجب لأولياء الله على عباده من الجهاد معهم فى سبيله

[٢٣ ا]

قال الله عز وجل « إن ‖ الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً . . . إلى قوله : « وبشر المؤمنين (٣) » . وقوله تباركت أسماؤه « يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم (٤) » . إلى آخر السورة . وقال الله عز وجل : وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء إلى أمر الله » (٥) . وقال رسول الله صلى الله

---

(١) هكذا فى الأصل ولعل الأصوب « عدا » .

(٢) سورة ابراهيم ١٤/٣٤ ، (٣) سورة التوبة ٩/١١١ .

(٤) سورة الصف ٤١/١٠ . (٥) سورة الحجرات ٤٩/٥١ .

صلى الله عليه وعلى آله « أفضل الأعمال بعد الإيمان بالله الجهاد فى سبيله » ، وقال : « أجود الناس من جاد بنفسه فى سبيل الله » . فالجهاد فى سبيل الله مع أولياء الله ومن أقاموه من عباده على من عند عليهم من مسلم أو كافر فرض من الله فى أرضه بين عباده . فالجهاد الجهاد عباد الله مع أوليائه فى سبيله بأموالكم وأنفسكم كما افترض الله فى كتابه عليكم ، فأنتم حسنات المجاهدين من قبلكم ، فاجهدوا أنفسكم فى أن تكون لكم حسنات من المؤمنين من بعدكم . لأن من جاهد فى سبيل الله فاستخرج مشركا من شركه ‖ إلى الإسلام أو باغياً من بغيه إلى العدل والإيمان طائعاً بالإجابة أو كرهاً[1] بالأسر ثم من الله عليه أو على عقبه بالإيمان فهو ونسله وما تناسل منهم حسنات لمن كان سبب ذلك لهم ، وله مثل أجر أعمالهم من غير نقص من أجورهم ، وحقيق على الله ألا يدخل محسناً منهم الجنة ويقصر بمن كان سببه إليها دونها ما لم يأت من الذنوب ما تحرم به الجنة عليه ، وفى مثل هذا قال [أبو جعفر محمد بن على][2] صلوات الله عليه لرجل قد قال له : « يا بن رسول الله إن الناس يجدون فى أنفسهم من قولكم انكم مواليهم . فقال عليه السلام : الناس ثلاثة أصناف ، فصنف دعوناه إلى الله ورسوله فأجابنا فمنة الله ومنة رسوله ومنتنا عليه ؛ وصنف دافعنا فقتلنا ؛ وصنف من الله عليهم ورسوله عام الفتح ، فمن أى صنف من هذه الأصناف شاء أن يكون هذا القائل فليكن فمنتنا عليه ونحن مواليه . فالأئمة صلوات الله عليهم هم أسباب رحمة الله لخلقه ونعمته عليهم بدعوتهم إياهم إليه بالجهاد فى سبيل الله والدعاء إليه وهم الذين ‖ [3] استنقذوهم من الكفر إلى الإسلام ، ومن البغى والشرك إلى التوحيد والايمان ، فهم حسناتهم وعتقاؤهم ومن أعان أولياء الله فى ذلك وظاهرهم عليه وتولاهم واتبعهم فيه ، فهو منهم لقول الله عز وجل حكاية عن خليله ابراهيم « فمن تبعنى فانه منى

[٢٣ ب]

[٢٥ ا]

---

(١) فى الاصل — كروهها (٢) فى الاصل أبو جعفر بن محمد بن على

(٣) صفحة ٢٤ ا ونصف ٢٤ ب بياض فى الأصل

ومن عصانى فإنك غفور رحيم[١] » || وقوله تبارك وتعالى « ومن يتولاهم منكم فإنه منهم[٢] » فالمجاهدون كما أمرهم الله عز وجل بأموالهم وأنفسهم فى سبيل ربهم داخلون فى سعة هذا الفضل الذى لا يقصر عن أهل الدنيا لو دخلوا فيه بل يسعهم منه ما يقصر آمالهم دونه ؛ وقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله لعبد الله بن رواحة وقد تخلف عن بعث بعثه فغدوا متوجهين « لو أنفقت ما فى الأرض جميعاً ما أدركت فضل غدوتهم » فأى فضل يكون أعد أعظم من فضل لا يدرك بجميع ما فى الأرض ، لم يستثن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله من ذلك شيئا ، وكتاب الله يؤكد ذلك قال الله تعالى فيمن أوجب له النار « لو أن لهم ما فى الأرض جميعاً ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم » [٣] فإذا كان ما فى الأرض ومثله معه لا يوجب الجنة التى أوجبها الجهاد فى سبيل الله بقوله : « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله » الآية وقال : يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون || بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم » . فالجهاد فى سبيل الله أفضل من الدنيا وما عليها ومثله معه كما قال الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وذاك أن المجاهد فى سبيل الله يبذل مهجة نفسه فيه التى لو عرضت عليه الدنيا وما فيها ومثلها معها ببذلها لما قبلها ، فكذلك يكون ثوابه على الله الجنة التى أعدها لأوليائه ولأهل طاعته من عباده ؛ فاعرفوا عباد الله قدر الجهاد فى سبيل الله مع أئمتكم وثوابه ولا تغفلوا عنه ولا تجهلوا مقداره ولا تتهاونوا بأسبابه ولا تزهدوا فى ثوابه ، فإن المجاهدين فى سبيل الله سادات عباد الله وأهل المنزلة عند أولياء الله ، قد عظم الله فى أعين عباده وقلوبهم فى الدنيا مقدارهم ، وأجرى على ألسنتهم

[٢٥ ب]

(١) سورة ابراهيم ٣٦/١٤ — (٢) سورة المائدة ٥٤/٥
(٣) سورة التوبة ٤١/٩

ذكر فضلهم ، وأنطقهم بالدعاء لهم فى صلواتهم ومواضع رغباتهم وحين رجاء قبول دعائهم وعلى منابرهم فى جمعهم وأعيادهم ، وفضلهم فى الآخرة عليهم ورفع فيها منازلهم ، فقد جاء عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله ‖ [٢٦ ا] أنه قال : المجاهدون فى سبيل الله قواد أهل الجنة » . واعلموا أيها المؤمنون أن للجهاد فى سبيل الله مع أئمتكم حدوداً وشرائط وأدباً تخرج عن حد هذا الكتاب ، جماعها تقوى الله وطاعة الأئمة ومن نصبوه وبذل النصيحة والاجتهاد فى اجتياح أعداء الله والتسليم لأوليائه والعمل بطاعة الله وحفظ حدود الله ، فقد سئل مولاكم جعفر بن محمد صلوات الله عليه عن قول الله عز وجل « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله » فقيل له يابن رسول الله : هذا لكل من جاهد فى سبيل الله ؟ فقال : قد سئل رسول الله صلى الله عليه وعلى آله عن ذلك ، لما نزل عليه فلم يجب فيه ، فأنزل الله بعقبه عليه صفة هؤلاء المؤمنين الذين اشترى منهم أنفسهم فقال : « التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين » [١] ثم قال جعفر بن محمد صلوات الله عليه (للسائل) [٢] فمن أراد الجنة فليجاهد فى سبيل الله ‖ [٢٦ ب] على هذه الشرائط والا فهو فى جملة من قال رسول الله (صلع) وعلى آله : (ينصر الله هذا الدين بقوم لا خلاق لهم) [٣] . ففى هذا أيها المؤمنون بلاغ لكم ، فجاهدوا مع أئمتكم فى سبيل ربكم ، كما افترض عليكم ، وحافظوا على حدوده التى حد لكم ، وارغبوا بأنفسكم عن أن تكونوا ممن لا خلاق له ، كما قال نبيكم ، واقبلوا عن الله قوله الذى به أمركم حيث يقول : « انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وانفسكم فى سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون » [٤] وتذاكروا

---

(١) سورة التوبة ٩/١١٢ . (٢) فى الاصل : سائل .

(٣) سورة التوبة ٩/٤١ .

فضل الجهاد وذكروا به إخوانكم ، فقد جاء عن رسول الله (صلع) أنه قال :
جميع أعمال البر كلها فى عمل الجهاد كنقطة فى بحر لجى ، وان ذلك فى المشقة
والكلفة » . كذلك كم فرق بين ألم الصلاة والصيام وغير ذلك من أعمال البر
وبين ألم ضرب السيوف وطعن الرماح ، ومشقة السفر ومباشرة الحر والقر
والاغتراب عن الولد والأهل ، وكم بين بذل المال وبذل النفوس فى غير ذلك
من أعمال البر إذا قيس تعبه ومشقته إلى تعب الجهاد ومشقته ، كان كما قال
رسول الله (صلع) « كالنقطة فى بحر لجى » وكذلك قدر ثوابه ودرجات أهله
وفضل أصحابه || بقدر ما ينالهم من ذلك فيه ، وكذلك وجوهه ووجوه [٢٧ ا]
مشقته واختلاف أحواله كغرق البحر الذى اقتحم أهله الخطر فيه ، وركبوا
هول البحر له لم يغدوا فيه غدوة آمنين ، ولا أراحوا له روحة من الخوف
سالمين ، ولا ظلوا فيه ساعة مطمئنين ، فهم طول ما هم فيه من ثواب المكافحين
لعدوهم المناصبين لهم ، فإن عطبوا فيه فلهم أجر الشهداء بلا تغلب ولا قهر من
الاعداء ، وإن نجوا منه فلهم ثواب الخوف فيه وحمل أنفسهم على التلاف به
رجاء ثواب ربهم فى ركوبه ، ولغدوتهم فيه بلا شك أفضل من غدوة القوم
فى البر التى قال رسول الله (صلع) لابن رواحة « لو أنفقت ما فى الأرض
ما بلغت ثواب غدوتهم » ولقد شبه المائد منهم بالمتشحط فى دمه فى سبيل الله
فى البر ، وحبهم فى إقتحامه سلك الموت بركوبه البحر ، كالميت فى سبيل الله
فى البر لا حتف أنفه ، والسالم فيه كالظافر فى البر بعدوه ، وقد قال رسول
الله (صلع) « كل بَرٍّ حتى يقتل الرجل فى سبيل الله » فأخبر أنه لا ثواب
أعظم منه ، فاعرفوا رحمكم الله قدر ثواب الجهاد || ولا تغفلوه ولا تركنوا [٢٧ ب]
إلى الهوينا والدعة فيه ، فليس على الهوينا والدعة ثبت أصل دينكم الذى أنتم
عليه ، ولا بهما بسق فرعه الذى أنتم ثمرته ، ولو ركن إلى ذلك من كان قبلكم
لما كنتم أنتم ؛ فصلوا ما ابتدأه لكم إخوانكم الذين أمركم الله تعالى بالاستغفار
لهم ، ولا تهدموا ما بنوه لكم ، فقل بناء ترك لم يتعاهد فيرم إلا انهدام أو رث

أو انثلم ، والخفض والدعة من عدوكم هو كان سبب زوال ما بأيديهم إليكم ، مع فضل الله الذى قضاه لكم ، وعطائه الذى أعطاكم باجتهادكم واجتهاد من قبلكم ونصب أنفسكم فى جهاد عدوكم ، فإن أردتم الدنيا فاستديموا خيرها ووفروها بجهاد عدوكم ، وإن أردتم الآخرة ، فالله خير وأبقى لكم ؛ واحذروا وعيد الله جل ذكره لمن تخلف عن الجهاد والنفقة فى سبيله بأن يستبدل قوماً غيركم ، ثم لا يكونوا أمثالكم ، فويل لمن كره الله انبعاثه فى سبيله فثبطه واستبدل به غيره ، أعاذنا الله وإياكم من الحور بعد الكور ، ومن الإدبار بعد الإقبال ، ومن الذلة بعد العزة ‖ ومن النقص بعد الكمال ؛ قال على صلوات [٢٨ ا] الله عليه « لتصبرن على قتال عدوكم أو ليسلطن الله عليكم قوماً أنتم أولى بالحق منهم فيعذبونكم ثم يعذبهم الله بعد ذلك » واعلموا رحمكم الله أن أس الجهاد وقطبه ، وذروة سنامه وعرفه ، وأصله وفرعه ، فى الطاعة والصبر ، فاصبروا رحمكم الله واثبتوا إذا لقيتم عدوكم كما أمركم الله ربكم ، وطاولوهم الصبر ، فإنه إن زاد صبركم على صبرهم طرفة عين غلبتموهم بإذن الله فلا يكونوا على باطلهم أصبر منكم على حقكم ، وكذلك فاصبروا على البأساء والضراء فى مسيرتكم ومقامكم ، وأطيعوا أئمتكم ومن أقاموه لكم وأمروه عليكم ، فأطيعوه مادام على طاعة الله وطاعتهم ، فإن عصى الله وعصاهم فلا طاعة فى المعصية له عليكم ، ولا يهولنكم كثرة أعدائكم ، فإن الله عز وجل يقول وهو أصدق القائلين « كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين » فاصبروا يكن الله معكم ، فإنه من كان الله عز وجل معه فهو ناصره ومؤيده ، ‖ ومن [٢٨ ب] نصره كما قال الله فلا غالب له ، وقد نصر نوحا صلى الله عليه لما ناداه « إنى مغلوب فانتصر » وقد تمالى عليه أهل الأرض فاهلكهم الله ، ولو شاء عز وجل أن يجتاح أعداءه بعذابه لفعل ، ولكنه جل ثناؤه أراد أن يبلوكم بالأعمال ، ويفضل بعضكم على بعض بالطاعات والإقبال ، ولوشاء لجعلكم كما قال الله « أمة واحدة » ولكنه فضل بعضكم على بعض ، فتنافسوا

فى الفضائل ، وتوسلوا إليه بالأعمال الصالحة ، فإنها من أقرب الوسائل ، وسلموا إليه ما اشتراه منكم من أموالكم وأنفسكم بالجنة التى جعلها ثمناً لذلك لكم ، فإنها أموال إن لم تسمحوا بها فى ذلك سمحتم [١] بها فيما هو قليل النفع لكم ، وإن أمسكتموها تركتموها لغيركم وبقيت تبعاتها عليكم ؛ وأنفسكم إن لم تبذلوها فى رضاء ربكم وتبيعوها بالجنة التى اشتراها الله بها منكم انها ذاهبة من غير عوض واصل إليكم ، وأجلها مع ذلك مؤقت ولا يقربه اقتحامكم بها فى جهاد عدوكم ، ولا يباعده ضنكم عنه بها ولا شحكم دونه عليها ، فما أيسر ما تبذلونه فى ‖ ثمن الجنة وما هو إلا اختبار لكم ومحنة ، وما أنتم فى الجهاد إلا بمنزلتين ، كما أخبركم الله تعالى على إحدى الحسنيين إما السلامة التى إياها تؤثرون وإليها تركنون ، أو الشهادة فإلى الحياة الدائمة تصيرون . قال الله عز وجل « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين . . الآية [٢] » فلمثل هذا عباد الله فليعمل العاملون ، وفيه فليتنافس المتنافسون ، وفى الجنة ونعيمها فليرغب الراغبون ، إنها دار لا يحزن ساكنوها ولا يظعن عنها قاطنوها ، من الدر والجوهر قصورها ، وكاللؤلؤ والمرجان حورها ، ومن الماء الفرات والخمر والعسل واللبن أنهارها ، وبأصناف الثمار الدائمة تتهدل أشجارها ، ويحلون فيها من أساور من ذهب ، ولباسهم فيها حرير ، والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ، وعلى الأسرة والأرائك يتكئون ، ومن الحرير والسندس يفترشون ، ويطوف عليهم غلمان لهم كأنهم لؤلؤ مكنون بأكواب وأباريق وكأس من ‖ معين ، لا يصدعون عنها ولا ينزفون ، وفاكهة مما يتخيرون ، ولحم طير مما يشتهون ، وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون ، ولهم فيها ما تشتهى الأنفس ، ولهم فيها ما يدعون ، فهذه أيها المؤمنون بعض صفات الله ربكم للدار التى اشترى بها منكم أنفسكم

[٢٩ ا]

[٢٩ ب]

---

(١) فى الاصل سمتهم . (٢) آل عمران ٣ / ١٦٩ – ١٧٠

وأموالكم فى الجهاد فى سبيله فابتاعوها بأنفس عما قليل تفارقونها، وأموال فى غير طائل تنفقونها أو لغيركم تتركونها، فما صفقة أربح منها لكم، ولا بيعة أجدى منها عليكم؛ وفقنا الله وإياكم إلى ما يرضيه فيزلف به إليه إنه خير مسئول وأفضل مرجو ومأمول

(١٠)

ذكر ما يجب للأئمة الصادقين أخذه من أموال المؤمنين والمؤمنات

قال الله عز وجل ذكره لمحمد نبيه (صلعم) «خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها» فهذه الصدقة فيما اتفق عليه أهل القبلة هى صدقة الإبل والبقر والغنم، وما يجب فى الأموال وما أخرجت الأرض وصدقة الفطر، يؤخذ ذلك من أهله فى كل عام وسميت || أيضاً زكاة لقول الله عز وجل [١٣٠] «وتزكيهم بها» وقدر ما يؤخذ من ذلك معروف مفهوم فى كل ما يجب فيه لو ذكرناه لخرج عن حد هذا الكتاب، أمر الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وعلى آله بأخذه من أموال المسلمين وصرفه فى وجوهه التى سماها الله تعالى فى كتابه إذ يقول جل ثناؤه «إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم»[٢] ففرض الله عز وجل على المسلمين إخراج ذلك من أموالهم فى كل عام، ودفعه إلى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله، وفرض عليه صرفه فى وجوهه التى سماها الله فكان المسلمون يدفعون ذلك إلى عماله الذين استعملهم على قبض ذلك منهم، وهم العاملون عليها الذين ذكرهم الله تعالى فى كتابه، وكان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله يضع ذلك فى مواضعه التى أمره الله بوضعها فيها، فلما قبضه الله إليه لم يقل

---

(١) التوبة ٩/١٠٣ (٢) التوبة ٩/٦٠

أحد من المسلمين إن فرض ذلك قد زال عنهم بل كانوا يدفعون ذلك إلى عمال
من ولوه أمرهم بعد رسول الله صلى الله عليه وعلى آله واحداً بعد واحد إلى أن ‖ [٣٠ ب]
رأوا بنى أمية يستأثرون به ولا يضعونه مواضعه فسألوا من بقى منهم من أصحاب
رسول الله (صلعم) فأمروهم بدفع ذلك إليهم ، فراجعوهم فيه وذكروا لهم
ما يفعلون به فقال لهم بعضهم : ادفعوا ذلك إليهم ولو أكلوا به لحوم الحيات
وقال بعضهم : ادفعوه اليهم ولو شربوا الخمر وأكلوا به لحم الخنزير . وقال بعضهم :
ادفعوه إليهم فانما عليكم ما حملتم وعليهم ما حملوا أرأيتم لو أخذتم لصوصاً
فقطعتم أيدى بعضهم وتركتم بعضاً أكنتم مصابين فى ذلك قالوا : لا . قال : فلو
دفعتموهم إليهم فخلوهم أو قطعوا بعضاً وتركوا بعضا أكان عليكم أنتم من ذلك
شىء قالوا : لا . قال : فعلى هذا تجرى الأمور عليكم وأنتم تدفعون صدقاتكم
إليهم وعليهم وضعها فى مواضعها فمن تعدى فيما عليه باء بإثمه . ولهذا من
الواجب نظائر يطول ذكرها لو كان لرجل على رجل دين ولرجل آخر على
ذلك الذى له الدين دين فدفع الذى له عليه الدين ما كان له عليه إلى الذى له
الدين على الذى ‖ له دينه عليه بغير أمره لما برىء من ذلك ولكان عليه [٣١ ا]
أن يدفع ما عليه إلى الذى هو له . وكذلك الأمر فى الزكاة على من هى
عليه أن يدفعها إلى من أمر بدفعها إليه وعلى من يقبضها أن يصرفها فى الوجوه
التى أمر بصرفها فيها ، فمن تعدى ذلك من دافع أو قابض باء بإثمه ولزمته تباعته
قال عز وجل « وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه » فلو أن رجلا استخلف
رجلا على مال له وأمره بأن يدفع منه شيئاً معلوما إلى رجل سماه ، وأمر
ذلك الرجل بأن ينفق ما يدفع منه إليه على عياله أو فى وجوه أمره بأن ينفقه
فيها ففعل كل واحد منهما ما جعله إليه وأمره به جاز ذلك من فعله ولم يكن
عليه فيه تباعة لمن وكله وإن تعديا أو أحدهما شيئاً من ذلك وخالف أمر من
وكله أو دفع من أمر بالدفع إلى الرجل ما أمر بدفعه إلى غيره ممن أمر الرجل
بالنفقة عليه أو دفعه إليه أو دفع ذلك إلى غيره كان متعديا فى فعله ، وضامنا

[٣١ ب] لما استهلك منه وهذا إجماع المسلمين ‖ فمن خالف الله عز وجل فيما أمره به واستخلفه عليه أحرى بالظلم والتعدى وأجدر بالعقوبة . فافهموا رحمكم الله هذا المعنى أيها المؤمنون وتواصوا به واحتجوا به على من خالفكم فيه ، فإنهم لن يجدوا منه مخرجا ولا حجة إلا من ظلم منكم وكابر الحق فان الله عز وجل يقول « لئلا يكون للناس عليكم حجة إلا الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم » فمن دافع الحق واحتج بالباطل فهو ظالم فلا تخشوه .

وكذلك اجتمعوا على أن هذه الصدقات محرمة على رسول الله (صلعم) وعلى أهل بيته خاصة وحلال لسائر المسلمين غيرهم عامة ، إذا دخلوا فى جملة أهلها ، ولا تحل لأحد من أهل بيت رسول الله (صلعم) وإن دخل فى ذلك أو كان فقيراً أو مسكينا أو عاملا على الصدقة أو كان من المؤلفة قلوبهم أو غارما أو ابن السبيل أو مجاهدا ، لم يحل له من ذلك شىء وفى ذلك أبين البيان على أن الله عز وجل جعل نبيه والأئمة من أهل [٣٢ ا] بيته صلوات الله عليهم أمناءه على قبض الصدقات من أهلها ‖ ووضعها مواضعها وحرمها عليهم وعلى أهل بيوتاتهم ليعلم الناس أنه لا حظ لهم ولا لمن قرب منهم فيها ولا يكون فى أنفسهم عليهم شىء من أجلها ونزههم الله عز وجل عنها لما كانت غسالة ذنوب عباده وطهورهم . وكذلك قال رسول الله عليه وعلى آله « أدوا زكاة أموالكم فإنها طهور لكم » وعوض الله عز وجل رسوله (صلعم) والأئمة من أهل بيته مما حرمهم من ذلك الخمس فجعله لهم فى أموال عباده من المؤمنين مرة واحدة ليس على أنه يجرى فى الأموال كما تجرى الزكاة فى كل عام فقال جل ثناؤه « واعلموا أن ما غنمتم من شىء فان لله خمسه وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل » (١) . قال جعفر بن محمد صلوات الله عليه « الخمس لنا أهل البيت ليس للناس معنا فيه شىء ونحن شركاؤهم فى أربعة أخماس الغنائم فيما شهدناه معهم والخمس لنا دونهم نعطى منه يتامانا وفقرانا ومساكيننا وابن سبيلنا وليس لهم ولا لنا

(١) الأنفال ٨/٤١

في الصدقات شيء . وقول الله عز وجل « فإن لله خمسه » معناه ‖ أنه يراد به [٣٢ ب]
وجه الله وثوابه وللرسول إذا كان حيا ، فلما قبضه الله إليه عاد ذلك إلى الإمام
من أهل بيته من بعده يعطى منه قرابته وأهل بيته الذين يراهم لذلك أهلا
ويصنع فيه ما أحب . فعلى جميع المؤمنين أن يدفعوا خمس ما غنموه فى كل
عصر إلى إمام ذلك الزمان من أهل بيت رسول الله (صلعم) ، كما أمر الله
عز وجل بذلك مع زكاة أموالهم ، وليست الغنيمة ما أخذ من أيدى المشركين
خاصة بل ذلك كل كسب كسبه المرء فهو غنيمة . قال جعفر بن محمد صلوات
الله عليه « أوجب الله تعالى لنا الخمس فى أموال عباده المؤمنين وجعله لناحقا
عليهم فمن منعنا حقنا ونصيبنا فى ماله لم يكن له عند الله من حق ولا نصيب »
فافهموا أيها المؤمنون قول مولاكم واعلموا أن الخمس لأولياء الله عليكم
فى جميع ما أفدتموه ولا تظنوا أن ذلك فى الغنيمة التى تؤخذ من أيدى العدو
خاصة بل ذلك فى جميع ما أغنمكم الله إياه عامة ، والغنم فى لغة العرب ولسانها
الذى أنزل الله عز وجل به القرآن الكسب والغرم النفقة ‖ ومن ذلك قيل [٣٣ ا]
لمن يستأثر بالزكاة يرى فلان حبس الزكاة مغنما وإخراجها مغرما ، ومنه قال
رسول الله (صلعم) فى الرهن : لصاحبه غنمه وعليه غرمه . فاعلموا أيها
المؤمنون كما علمكم الله أن ما غنمتم من شيء أى كسبتموه أوفدتموه فإن لله
خمسه تتقربون به إليه وللرسول تدفعون إلى إمام عصركم ثم إليه الأمر فيه
وفيما يعطى منه فقراء أهل بيته ويتاماهم وأبناء سبيلهم فما كسب أحدكم من
كسب أو أفاد من فائدة فليخرج خمسه فى وقت وصوله إليه فيدفعه إلى إمامه
ثم ينظر الى ما يبقى فى يديه فيزكيه لكل عام على واجب الزكاة فيه وليس عليه
فيه بعد ذلك خمس . واعلموا أن ذلك الخمس وما يجب عليكم من الزكاة ليس
لكم ولا من أموالكم وإنما هو أمانة لله فى أيديكم ولرسوله كما قال تبارك
اسمه . وقد حذركم فى كتابه خيانته فقال « يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله
والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون » [١] ولذلك قال رسول الله (صلعم)

---

(١) الأنفال ٢٧/٨

[٣٣ ب] « لا ينقص مال من صدقة » فلو كان هذا القول محمولا على ظاهره || لكان عدد المال إذا أخرجت منه الصدقة نقص ولكنه أراد صلى الله عليه وعلى آله ان الصدقة المفروضة ليست من مال من هى فى يديه اذ كان الله تعالى قد أوجب إخراجها عليه وإنما ماله ما بقى له من بعد اخراجها وهى مال لقوم آخرين فى يديه بأمانة الله عنده تعبده عز وجل بحفظها عنده ، وامتحنه بدفعها الى من أمره بدفعها اليه . فأما الزكاة التى تسمى أيضا صدقة كما قدمنا ذكر ذلك حين ذكرنا أنها تجب فى كل عام على الناس فى صنوف أموالهم فان الائمة يقتضون الناس فيها ويجبرونهم على إخراج ما وجد فى أيديهم منها ويقبضونها ويجاهدون من منعها ، لقول الله عزوجل « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم » فأمره بأخذها وأمر الله واجب فعله على من امر به والائمة فى ذلك يقومون بعد رسول الله صلع بمثل ما كان يقوم به فى قبض الصدقات وكذلك استحل أبو بكر دماء بنى حنيفة اذ منعوه زكاة أموالهم ، وتأول ذلك لنفسه وليس ذلك || الا للأئمة ، فأما من منع زكاته غيرهم فهو مصيب فى منعه اياها ، [٣٤ ا] وأما الخمس فليس يكره الأئمة الناس عليه اذ كان حقهم وهم مخيرون بين تركه وأخذه ولم يتعبدهم الله عز وجل بأخذه من أيدى الناس كما تعبدهم بأخذ الزكاة ، ولكنه تبارك اسمه تعبد الناس بدفعه إليهم بقوله « واعلموا أن ما غنمتم من شىء فإن لله خمسه » فأوجب ذلك على الناس وأخبرهم أن الخمس مما رزقهم وأغنمهم له ولرسوله ولذى القربى ، ولم يأمر رسول الله بأخذه أمر إلزام كما أمره بأخذ الزكاة ، ولكنه جعل ذلك له وللأئمة من بعده وأوجب على الناس دفعه إليهم ، وأخبرهم أنه لهم دونهم ، فليس يحل لهم منه شىء إلا ما أحله للأئمة لهم ، ثم جعل عز وجل للأئمة صلوات الله عليهم عند استنقاذهم أولياءهم فى أموالهم وفيما أحبوه وما رأوا أن يمتحنهم به ما رأوه من ذلك ، وقد امتحن الله عزوجل أنبياءه بضروب من المحن يقصر عن ذكرها هذا الكتاب ، وامتحن رسول الله (صلع) وصيه على بن أبى طالب فى حياته

[٣٤ ب] في سبع مواطن ذكرها على صلوات الله ‖ عليه وذكرها يطول ، ويخرج عن حد هذا الكتاب ، وهى موجودة فى الكتب ، ذكرها لرأس اليهود إذ سأله من إمتحان الله الأوصياء فى حياة الأنبياء وبعد وفاتهم وامتحنه صلوات الله عليه فى ماله فأمره بالخروج منه كله ففعل ، ثم قاسمه إياه مرتين حتى أنه قاسمه خاتمه وجبرائيل شاهد لذلك ، وامتحن علىّ صلوات الله عليه الحسن أيضاً فى ماله فقاسمه إياه مرتين حتى نعله ، والناس يروون هذا عن الحسن أنه قاسم ماله مرتين حتى نعله فجعل فى كل مرة فرد نعله فيما أخرجه ، وامتحن الأئمة أوصياءهم بصنوف من هذه المحن ، وكذلك يمتحنون أولياءهم بما أحبوه عند تبليغهم درجة الفضل فى أموالهم وفيما رأوا من امتحانهم فيه غيرها ، فقد امتحن رسول الله صلى الله عليه عليا صلوات الله عليه بالقتل فرضى به واضطجع على فراشه ليقتل دون رسول الله صلع ، وكما امتحن الله عز وجل ابراهيم خليله بذبح اسماعيل وصيه ‖ ، ومن ذلك قول الله تعالى : « ولو انا [٣٥ ا] كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل منهم ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيراً لهم وأشد تثبيتا ، وإذاً لأتيناهم من لدنا أجراً عظيما ولهديناهم صراطاً مستقيما [١] » فمن امتحنه أولياء الله منكم أيها المؤمنون فليصبر للمحنة ، وأيسر ذلك المال ، وليس فيه توقيت على الأئمة عليهم السلام ولا فيما يمتحنون به أولياءهم عند ارتضائهم أحوالهم وإبلاغهم درجة الفضيلة عندهم . ثم المؤمنون بعد ذلك مندوبون إلى التطوع بالانفاق من أموالهم فى سبيل الله ورفع أعمالهم منها إلى أوليائهم ، أو من أقاموه لقبض ذلك منهم ، وذلك مفوض فيه إليهم وليس عليهم فيه توقيت ولا فرض معلوم وإنما هو تطوع كما قال الله عز وجل « فمن تطوع خيراً فهو خير له » وكذلك ما يفعلونه فى أموالهم من صلة أرحامهم وصلة إخوانهم والصدقة على الفقراء والمساكين منهم ومن غيرهم أيضاً مرغب فيه اليهم فيما أحبوا ‖ منه [٣٥ ب] وتقربوا إلى الله به فهذا هو الفرض أيها المؤمنون عليكم فى الذى خولكم

(١) النساء ٤/٦٦ — ٦٧ — ٦٨

[ب ٣٥]

الله وأنعم به عليكم ، وجعلكم مستخلفين فيه ، وصيره أمانة فى أيديكم ، ليبلوكم ايكم أحسن عملا كما قال الله عز وجل فى كتابه وأوجبه وافترضه عليكم فى ايجابه ، فالله الله عباد الله فى أمانة الله فى أيديكم فيما خولكم من أموالكم فإنها من أعظم المحن عليكم فى إيجابه . قال جعفر بن محمد صلوات الله عليه : ما فرض الله تعالى على هذه الأمة شيئا أشد عليهم مما فرض عليهم فى أموالهم ، وفى ذلك هلك عامتهم فأنزلوها المنزلة التى أنزلها الله تعالى فإنها أمانة عندكم وليست من أموالكم التى أباحها الله لكم فما أقبح بالرجل أن يأتمنه أحد من سائر الناس من ملى أو ذمى على أمانة أو يودعه وديعة فيخونه فيها أو يستأثر دونه بها أو يجحده إياها إن هذا لما يرغب عنه كثير من عوام الناس أنفة عنه وكيف بمن خان أمانة الله وأمانة رسوله وأكل حق أوليائه واستأثر دونهم به ، فإن أكل ذلك وأنفقه فقليل والله ما اعتاض منه ولو استغنى وعف عنه لوجد رزقا حلالا غيره لأن ‖ الله عز وجل قد تكفل بالرزق لعباده وإن أبقاه لورثته من بعده ، فيالها من حسرة عليه ونقص فى دينه . وقال جعفر بن محمد صلوات الله عليه فى قول الله تعالى «حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون لعلى أعمل صالحا فيما تركت كلا إنها كلمة هو قائلها »[1]. قال يعنى فيما ترك فى ماله أن يخرج منه ما افترض الله عز وجل فيه عليه هيهات والله قد حيل بينه وبين ذلك وقال : « ومن لم يؤد زكاته لم تقبل صلاته وقال الله تعالى « فاذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم » الى قوله « فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم »[2] فلم يوجب لهم أن يكونوا مسلمين حتى يقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة . وقال جعفر بن محمد ص.ع : ما خان الله زكاة ماله إلا مشرك . وقال الله عز وجل « فويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة » ومن أعطى من ذلك غير أهله فلم يؤته كما بينا فيما تقدم ذكره فى هذا الباب . فأدوا أيها المؤمنون ما افترضه الله عليكم فى أموالكم إلى أئمتكم واعلموا أن أنفسكم لا محالة أشد شىء مكابرة

[٣٦ ا]

(١) المؤمنون ٢٣/٩٩ - ١٠٠ (٢) التوبة ٩/٥

لكم وامتناعا فى ذلك عليكم فاغلبوها عليه ، فان الله يقول « ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه »(١) وقال : إن النفس لأمارة ‖ بالسوء » وقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله « الهوى إله معبود . وتلا قول الله « أفرأيت من اتخذ إلهه هواه » وقال إن الصدقة لا تخرج من يد المؤمن حتى يفك عنها لحيا(٢) سبعين شيطانا كلهم يثبط عنها ويأمر بحبسها ، وقال الله تعالى « ولا يسألكم أموالكم إن يسألكموها فيحفكم تبخلوا ويخرج أضغانكم »(٣) وقد ذكرنا فيما تقدم أن مال المرء هو الباقى له بعد إخراج الواجب مما فى يديه فلم يسأل الله عباده ذلك ، ولكنهم إن تطوعوا منه بشىء كان له ثوابه ، ولو قطع عز وجل هذا الذى ذكره فى كتابه لكان منه تقريع وتبكيت لعباده ، فكيف وقد قال بعده « ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا فى سبيل الله فمنكم من يبخل ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه والله الغنى وأنتم الفقراء وان تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم »(٤) فاغلبوا أنفسكم على ما افترض الله عليكم واملكوا فيه أهواءكم ولا تتخذوها إلهاً لكم ، واخسأوا عنكم شياطينكم ، وإنما تعطون جزءا مما أعطاكم الله قد ائتمنكم عليه ولم يجعل لكم سبيلا إليه . واعلموا أن قول الله عز وجل « واعلموا أن ما غنمتم من شىء فإن لله خمسه ‖ وللرسول » يقع على كل شىء اصبتموه واكتسبتموه وصار إليكم وغنمتموه من كسبكم أو عمل أيديكم أو ما ساقه إليكم ورزقكموه أو بما أنالكم أئمتكم واعطوكموه ، فعليكم إخراج خمس ذلك على ما ذكرناه مما قل أو كثر منه ودفعه إلى أئمتكم أو من أقاموه لقبضه منكم فريضة فرضها الله لهم عليكم ، أعاننا الله وإياكم على أداء فريضته وأعاذنا من خيانته وخيانة رسوله وأوليائه .

[٣٦ ب]

[٣٧ ا]

---

(١) البقرة ٢/٢٦٧

(٢) هكذا فى الاصل ولعلها لحا بمعنى الكلام الكثير فى الباطل .

(٣) محمد ٤٧/ ٣٧   (٤) محمد ٤٧/٣٨

(١١)

ذكر ما يجب على جميع العباد من التسليم في جميع الأمور إلى الأئمة

قال الله جل ذكره « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم » وقال تباركت أسماؤه « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما »[١] فالتسليم هو الطاعة ظاهرة وباطنة لمن أوجب الله طاعته ، وقرنها بطاعته جل ثناؤه وهو رسوله (صلع) والأئمة من أهل بيته ، فينبغى لجميع الأمة أن يسلموا لهم ويتلقوا بالقبول ما كان منهم بظاهر لفظهم ، واعتقاد قلوبهم وعلانيتهم وسرهم ، فيما أحبوه أو كرهوه أو رضوه أو سخطوه أو عرفوه أم أنكروه حتى || يعود عندهم المكروه لديهم من ذلك محبوباً ، والسخط رضاء ، والإنكار معرفة ، وإن لم تكن معرفة بتحقيق فلتكن معرفة بتسليم وإقرار منهم بالعجز والتخلف والجهل عن حقيقة تلك المعرفة ، وأن الذى كان من الأئمة صلوات الله عليهم حق وصواب وصدق ، وإن كان ذلك فى أنفسهم وهم يعلمون براءتهم مما عسى أن عوقبوا أو قرنوا به ، فليعلموا ويوقنوا عجزهم عن إدراك ما فى أنفسهم ؛ فإن الأئمة صلوات الله عليهم أعلم بذلك لأنهم بنور الله عز وجل ينظرون وبأحكامه يقضون ويحكمون ؛ وأكثر من ضل عن الهدى لايرى أنه ضل بل يحسب أنه على حق وصواب وهدى . قال الله عز وجل فى قوم هذه حالهم « ويحسبون أنهم على شىء إلا أنهم هم الكاذبون » . وقال تعالى « وإذا قيل لهم لاتفسدوا فى الأرض قالوا إنما نحن مصلحون ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون »[٢] . وهذا باب ثقيل محمله صعب مأخذه وبقدر ذلك تكون درجة حامليه ومعتقديه والآخذ

[٣٧ ب]

---

(١) النساء ٤/٦٥ (٢) البقرة ٢/١١ - ١٢

به وبمثله امتحن العالم موسى عليه السلام لما أراد صحبته ، وقد روى أن رجلا من أهل ‖ الشام أتى ابن عباس فسأله عن أفعال كانت لعلى عليه السلام فى حربه فقال له ابن عباس : سل عما يعنيك . فقال له الشامى : إنى لم آتك من حمص لحج ولا عمرة ، ولا أتيتك إلا لشرح ماسألتك عنه من أمر علىّ فقال له ابن عباس : إن علم العالم صعب لا يحتمل ولا تقر به قلوب أكثر الناس ، إن مثل علىّ فيكم كمثل العالم وموسى قال الله تعالى لموسى لما سأله النظر إليه يا موسى إنى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى فخذ ما أتيتك وكن من الشاكرين . وقال : وكتبنا له فى الألواح من كل شىء موعظة وتفصيلا » فظن موسى عليه السلام أنه بلغ غاية العلم كما ظننتم أنتم إن علماءكم قد بلغوا ذلك وأثبتوه لكم ، فأراه الله عجزه بامتحان العالم إياه وصحبته له ، فلما خرق العالم السفينة عن علم بذلك كان خرقه إياه برضى الله وسخط موسى عليه السلام وجهله ، وقتل العالم الغلام عن علم ، فكان قتله لله رضا وسخط موسى وأقام العالم الجدار بعلم وكانت إقامته إياه لله رضا وسخط موسى ذلك وجهله ، ثم بين له العالم ذلك وأوقفه عليه كما ذكر الله تعالى فى كتابه ، وبين ابن عباس للرجل أمر ماسأله عنه ، ولو سلم ذلك لعلى صلوات الله عليه ولم ‖ يتعقبه من أمره ولم ينكره من فعله لكان ذلك أفضل ، وهو كان الواجب عليه كما أن ذلك كان الواجب على موسى . وقد اجتمعت الأمة أنه لا يجوز ولا ينبغى لأحد أن يتعقب ولا ينكر ما جاء به الرسول (صلعم) بل الواجب على الخلق تلقى ماجاء عنه بالقبول لقول الله تعالى « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » . وقال تبارك أسماؤه « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما »[1] فأخبر عز وجل أنهم إن لم يسلموا له لم يكونوا مؤمنين وأن ذلك التسليم لا يكون باللسان الظاهر حتى يعتقد بالقلب ولا يكون فى النفس منه حرج . وكذلك ينبغى التسليم للأئمة ولا يجوز ولا يحل تعقب أفعالهم ولا

[٣٨ ا]

[٣٨ ب]

---

(١) النساء ٤/٦٥

إنكارها بل الذى يجب أن يتلقى ما يكون منهم بالقبول ظاهراً وباطناً ونية واعتقادا وقولا وفعلا لأن الله عز وجل قرن طاعتهم بطاعة رسوله وجعلهم خلفاء الأمة من بعده وهذا أصعب ما حمل المؤمنون ، وبقدر ما يحتملون منه تكون درجاتهم عند الله وعند أولياء الله ، ولذلك قال | جعفر [٣٩ ا] ابن محمد صلوات الله عليه « لا يحتمل أمرنا ويقوم به إلا ملك مقرب أو نبى مرسل أو نحن أو من ارتضى الله من عباده » فأما ماذكره صلوت الله عليه من احتمال الملائكة والنبيين فلما يكون من عند الله تعالى ، وأما ماذكره من احتمال الأئمة فلما يكون من الله تعالى ومن رسوله (صلعم) وأما ماذكره من احتمال العباد فلما يكون من الله عز وجل ومن رسوله ومنهم صلوات الله عليهم ، وقد فسر ذلك وبينه فى حديث آخر قال فيه « أمر الله ورسوله (صلع) بطاعته عزوجل وأمرنا بطاعته وطاعة رسوله وأمر الناس جميعاً بطاعته وطاعة رسوله وطاعتنا » فقال للنبى « اتق الله » وقال لنا « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول» وقال للناس « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم » فينبغى لاتباع الأئمة خاصة ولعامة الناس كافة أن يجهدوا أنفسهم ويدأبوها فى رضاء خالقهم وطاعته وطاعة رسوله والأئمة من ذريته وينصحوا لهم ويؤدوا لهم أماناتهم كما افترض الله عليهم ، ويلزموا الحذر والتحفظ من السقوط عندهم ، ويجتنبوا ما خالف محبتهم ووقع بغير الموافقة عندهم ، فإن رأوا أنهم قد قاموا بذلك ووفوا شرائطه ووقفوا على حدوده ، ولم يكن فيما بينهم وبين الله جل ذكره ما يتوقعون له أمرا يكرهونه منه ولا من || أوليائه (صلعم) ، فنزل بهم [٣٩ ب] أمر من الله تعالى أو من أوليائه صلوات الله عليهم فيه لهم عقوبة أو امتحان بأى وجه جرى ذلك ، وكان ذلك فى أمر ينكرونه أو يكرهونه من جميع الأمور لم ينكروا من ذلك شيئاً بظاهر أمورهم ولا باطنها ، ويسلموا لأمر الله ولأوليائه قولا وفعلا واعتقادا ونية ، وأيقنوا أن ذلك عدل من الله ومن أوليائه وصواب كله فإن الذى ينالهم منه هم أهله أو أكثرمنه ، وأن الذى

عفا الله لهم وأولياؤه أعظم مما نالهم منه . واعلموا أن الله سبحانه لا يجرى على أيدى أوليائه عقوبة إلا لمن استحقها ، ولا أمرا إلا مايرضاه ، فليحمد الله إذ عجل له بالعقوبة فى الدنيا ولم يؤخرها إلى الآخرة ، إذ كانت الآخرة أشد عذابا وأبقى ، وأن جعل عقوبتهم فى دار الدنيا التى جعل فيها عقوبة أوليائه وأصفيائه وثواب من رأى أن يثيبه من أعدائه لئلا يتلقاه ولى له وعليه تباعة ولا عدو وله حسنة ، وقد عاقب كثيرا من أنبيائه فى عاجل الدنيا بذنوب صغائر يعمل كثير من الناس أمثالها فلا يعاقبون فى الدنيا عليها ومن عوقب منهم ‖ بها فلعله لا يدرى بأى أسباب العقوبة كانت عنها . وقد [٤٠ ا] جاء عن الأئمة صلوات الله عليهم ذكر أسباب ما عاقب الله عز وجل عليه سليمان وأيوب ويعقوب ويونس وأن ذلك لصغائر كانت بينهم من الذنوب يخرج عن حد هذا الكتاب لو ذكرناه لطال الاخبار عنها لولا أن ذلك روى لما علم أن مثل تلك العقوبات العظيمة كانت من أجل تلك الذنوب وكذلك يعاقب المؤمن فى الدنيا بما لعله لا يعلم كثيرا من أسباب ما يعاقب به فيها ، وقد قال الله تعالى « وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير »[1] وقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله « ما توقون أكثر مماتلقون » وسئل عن قوله تعالى « ومن يعمل سوءا يجز به » فقيل له يا رسول الله لإن كنا نجزى فى الآخرة بكل سوء عملناه فى الدنيا لقد هلكنا . فقال : ليس الأمور كما تظنون ، أما تصابون فى الدنيا بمصائب ، أما تألمون أما تحزنون أما تصيبكم الآفات . قالوا : بلى يارسول الله . قال : فذلكم ما تجزون ‖ به ، وقد جاء فى بعض الأخبار أن رجلا حج فبينما هو يطوف [٤٠ ب] إذ نظر بامرأة فى الطواف بين يديه فأعجبه ما رأى من خلفها ، فوضع يده على عجيزتها فغمزها بها ، فقالت : من هذا الذى يمس منى فى هذا الموضع ماحرم الله قطع الله يده ، فانصرف الرجل من يومه إلى منى وبات فى رحله فبينما هو

(١) سورة الشورى ٣٩/٤٢

نائم إذ ثارت صيحة على سارق سرق متاعا لبعض الحجيج وذهب ليشد به وأصحابه فى الطلب له فى ظلمة الليل فانتبه الرجل فى الصيحة وقام قائما فوافى السارق فرمى بالمتاع فى وجهه وهرب ولحق القوم الرجل والمتاع فى يده فأخبرهم الخبر فلم يقبلوا منه ، وقالوا : ماالسارق غيرك!! ومضوا به إلى السلطان وشهد عليه من رأى المتاع فى يده فقطعها[١] ، فعلم الرجل أن ذلك عقوبة مافعله فى يومه ذلك ولو طال ذلك عليه لاشتبه عليه فيه ، وكذلك من نالته عقوبة من الله أو من أوليائه وهو عند نفسه برىء منها لعد ذلك كان لذنب غير الذنب الذى قرف به ورأى أنه برىء منه ، وقد يغفر الله عز وجل ويعفو عن ‖ [٤١ ا] عباده ماشاء من الذنوب فى عاجل الدنيا وآجل الآخرة ، ويعجل من ذلك عقوبة ماشاء ويؤخر عقوبة ماأراد ، فله الحجة على من عاقبه والفضل على من رحمه ، فمن غفر ذنبه فى الدنيا والآخرة ، فقد أكمل العفو عنه ، وأسبغ عليه النعمة ، ومن عجل عقوبته فى الدنيا فقد خفف عنه العقوبة ، ومن عاقبه فى الآخرة فقد عاقبه بما يستحقه وله جل ذكره الحجة البالغة .

(١٢)

ذكر الخوف من الأئمة صلوات الله عليهم والحذر من عقوبتهم وسقوط المنزلة عندهم

ينبغى لمن عرف الأئمة أن يخافهم كما يخاف ربه ، ويتقيهم كما يتقى الله ، إذ كان الله عز وجل قد قرن طاعتهم بطاعته وجعلهم الوسائط فيما بينه وبين خلقه والشهداء على عباده ، فرضاهم موصول برضاء[٢] الله ، وسخطهم معقود بسخطه ، وبهم يثيب وبهم يعاقب . قال جعفر بن محمد « والله ما هو إلا الله عز وجل » وأومأ بيده إلى السماء ، « ونحن » وأومأ بيده إلى نفسه ، وشيعتنا منا وسائر الناس فى النار ، بنا يعبد الله وبنا يطاع الله ‖ وبنا يعصى الله [٤١ ب]

(١) فى الأصل قطعه . (٢) فى الأصل رضوا .

من أطاعنا فقد أطاع الله ومن عصانا فقد عصى الله سبقت طاعتنا عزيمة من الله إلى خلقه أنه لا يقبل من أحد عملا إلا بنا ، فنحن باب الله وحجته وأمناؤه على خلقه ، وحفظة سره ومستودع علمه » فالواجب على جميع العباد التقرب بالطاعة إلى أولياء الله والتزين بالأعمال الصالحة عندهم ، واتباع ماأمروا به ،واجتناب مانهوا عنه ، والعمل بما يرضيهم ، ويزكو لديهم ويزلف به إليهم والخوف منهم ، إذ كان ذلك من القربات إلى الله جل ذكره ، وقد وعد الله الخائفين منه جنته . وجاء فى الحديث أنه « من لم يخف من الناس لم يخف من الله » فهم الناس ههنا . كما قال جعفر بن محمد صلوات الله عليه « نحن الناس المحسودون على ما أتانا الله من الإمامة وأحق الناس بالخوف من الأئمة من عرف مكانهم من الله » قال الله تعالى « إنما يخشى الله من عباده العلماء » وقال : « واتقون يا أولى الألباب » وأحقهم بذلك منهم من قرب مكانه ودنت منزلته من أولياء الله وعظم لديه فضلهم وإحسانهم || كما أن الملائكة [٤٢ ا] المقربين أعظم خوفا من الله وأشد اجتهادا وعبادة له من سائر الناس، وأكثر ما يجب الخوف على من فى يده شيء يخاف انتزاعه منه كما جاء عن المسيح عليه السلام أن بعض الحواريين صحبه فى السياحة فمرا فى مفازة فجعل ذلك الحوارى يكثر عليه ذكر الخوف من تلك المفازة ، فلما أكثر عليه من ذلك قال له المسيح عليه السلام أمعك شيء ؟ . قال : نعم . وأخرج قطعة من ذهب فقال : ارمها ، فرمى بها وسار فلم يقل شيئاً فلما تناسى ذلك قال عيسى إن هذا المكان يخاف فيه . قال الحوارى : وما معنا ياروح الله فنخاف .

فينبغى لمن زاده الإمام منه قربا أن يزداد له تعظيما ومنه خوفا ، ولا يرى من تحفظ عند نفسه من السقوط وتعفف عن المحارم وتنزه عن الشبهات ورعى أمانته وعهده وبذل مجهوده إنه قد أمن فيطرح الخوف ويدع المراقبة فإن التهاون من رأس الخطايا وأن الملائكة الذين هم أكثر العباد خوفا من الله واجتهادا فى طاعته لا ذنوب لهم ولكنهم يخافونها على أنفسهم

[٤٢ ب] ويتقونها ، ومن لم يخف شيئاً أمنه أو إذا أمنه تهاون ‖ به ، وفى الخوف من الأئمة تعظيم أمرهم وإجلال قدرهم ، وفى استشعار ذلك والمحافظة عليه وكونه نصب الأعين وفى سويداء القلوب وعين الفكرة وحديث الأنفس ما يؤمن معه الزلل المردى عندهم ، المسقط المنزلة لديهم ، المزيل نعمتهم عمن أنعموا بها عليه ، فلم يرعها حق رعايتها الموجب مقتهم نعوذ بالله من ذلك ومن دواعيه ومن كل عمل يوجبه ويدنى إليه ، وإنما يؤتى أكثر من يؤتى من الثقة بنفسه والإعجاب بعمله وقرب منزلته وما يختص به وبذريعة يرى أنه يتقرب بها ووسيلة يتوهم أنه يتوسل بسببها ومكان يقدر أنه يستحقه ، ودنو يخيل إليه أنه يوجب حقا وحرمة له ، وقد بينت فى غير موضع من هذا الكتاب بأنه ليس لأحد على أولياء الله حق ولا إيجاب وإنما نال العباد لما نالوه عندهم تفضلا من الله ومنة عليهم ، وإنما يقرب منهم ويدنى إليهم ويرضيهم ويزكى عندهم الأعمال الصالحة ، وأبعد الناس منهم أهل [٤٣ ا] المعاصى والعدوان وإن تقربوا إليهم بالأرحام والدنو والمنازل ‖ والمكان ، وكم من قريب منهم بعيد من قلوبهم ، ودان إليهم شاسع عن محبوبهم ، نعوذ بالله من حال من هذه حاله ، فإن من لا يعرفونه ولا يعرفهم وإن ساءت حاله عند الله وبعد من رحمته أحسن حالا على سوء حاله ممن هذه أحواله ، فتقربوا أيها المؤمنون إلى أئمتكم بصالح الأعمال ، وخافوهم واخشوهم فى جميع الأحوال ولا تغتروا منهم بالقرب والدنو والأعمال ، تقربوا إليهم بما يقربكم من قلوبهم ويدنيكم مما يرضيهم ولا تتكلوا على قرب الأبدان دون القلوب ، وتتهاونوا بارتكاب المعاصى وإتيان الذنوب ، وقد جاء عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله أنه ذكر سوابق الأعمال فقال فيها « وحب أهل بيتى حقاً من قبل القلوب لا الزحم بالمناكب ومفارقة القلوب » فلا يرى منكم من قرب إليهم ببدنه أنه قريب إذا باعده منهم عمله فإن من الواجب على ما جاء فى هذا الباب أن يكون أخوف الناس من الذنوب وأرجاهم للثواب من قرب منهم ولصق

بهم ودنا ‖ إليهم ، وإن كان ذلك محنة على الشاسع والدانى فإنه ينبغى أن [٤٣ ب]
يكون أخوف الناس من النار من قرب منها وأشوقهم إلى الجنة من دنا إليها ،
ثم لا تقنطوا مع الخوف منهم من رحمتهم ، ولا تيأسوا إن عملتم سوءا فتبتم
منه إليهم وانتصلتم من عفوهم وشفاعتهم فإنه لا ييأس من روح الله إلا القوم
الكافرون ولا يأمن منه ولا يخافه إلا الجاهلون ، وهم أبواب الله وأسبابه
والوسائط بينه وبين عباده .

(١٣)

ذكر ما ينبغى من تولى من والى الأئمة ومحبته
وعداوة من عاداهم وقطيعته وبغضه

قال الله عز وجل ووصف المؤمنين من عباده « أشداء على الكفار رحماء
بينهم » وقال : إنما المؤمنون إخوة ، وقال « لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم
الآخر يوادون من حاد الله ورسوله »[١] إلى آخر السورة وقال : يا أيها الذين
آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة » .. إلى قوله ..
« ومن يتولاهم منكم فأولئك هم الظالمون » . وقال رسول الله صلع فى علىّ
عليه السلام « اللهم وال من والاه وعاد من عاداه » فمن عاداه الله عز وجل
‖ وأمر بعداوته فى كتابه وعلى لسان رسوله ونهى عن ولايته ومحبته [٤٤ ا]
ولو كان من الآباء والأبناء والعشائر وكان من الأقرباء ، فحقيق على من
عرف الله عداوته بترك الميل إليه والمودة له فى ظاهر وفى باطن ، ولا على
قرب ولا على بعد ، ولا لرجاء ولا خوف ؛ وقد قال الصادق جعفر بن محمد

---

(١) سورة المجادلة ٥٧ / ٢٢

صلوات الله عليه « من أحب أن يعرف محبنا من مبغضنا فلينظر إلى أهل مودته فإنه لا يجتمع حبنا وحب عدونا فى قلب مؤمن » وقد قدمت فى هذا الكتاب مايجب على العباد من محبة أولياء الله ، وإخلاص القلوب واعتقاد الضمائر والنيات ؛ فعلى ذلك ينبغى أن يكونوا وعلى ماذكرناه فى هذا الباب من البراءة من أعدائهم واعتقاد عداوتهم ما داموا على النصب والعداوة لهم ، وترك مودتهم والميل والركون إليهم ، لقول الله جل ذكره « ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار[1] » ، وأظلم الظالمين من نصب لأولياء الله وعاداهم .

وقد ذكر أبو جعفر محمد بن على صلوات الله عليه شيعته فقال « شيعتنا من أدنى البعداء ووالاهم على مودتنا ، وفارق الأهل والأقرباء فى عداوتنا ، شيعتنا من إذا رضينا رضى وإذا سخطنا سخط وإذا خفنا ‖ خاف وإذا أمنا أمن ؛ شيعتنا من لا يوالى لنا عدوا ولا يعادى لنا وليا » وهكذا تكونون يا أتباع أولياء الله المتدينين بإمامتهم ، وميزوا الناس بقلوبكم وانتقدوهم واعلموا أن جميع الناس ثلاثة أصناف لا رابع لهم ، إلا أن أهل كل صنف منهم يتفاضلون ولا يدرك علم يميزهم حتى يكونوا أصنافا معروفين وعلى طبقات موصوفين ، لتفاوت الهمم والعقول والمعرفة والاعتقاد والأذهان عن هذا التحصيل ، فالطبقة الأولى أهل ولاية الأئمة على درجاتهم فى ذلك وطبقاتهم ومنازلهم ، والطبقة الثانية أهل عداوتهم على منازلهم فى العداوة وأحوالهم فى النصب ، والطبقة الثالثة قوم مستضعفون مذبذبون بين ذلك كما قال الله عز وجل « لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء » لا يعرفون حقاً ولا ينكرون باطلا فأولئك « كالأنعام بل هم أضل سبيلا[2] » على أنهم مع ذلك أحسن حالا وإن ساءت أحوالهم ممن نصب العداوة لأولياء الله . فينبغى لمن ميز الناس وانتقدهم هذا الانتقاد ، وعرفهم هذه المعرفة أن ينزل كل امرىء منهم

[٤٤ ب]

---

(١) سورة هود ١١ / ١١٣

(٢) الفرقان ٥١/٤٤

[٤٥ ا] عنده بحيث أنزل || نفسه وأنزله الله فيوالى من يوالى أولياء الله ويعادي من عاداهم ويرشد المستضعف ويهديه ويبصره ، وإن سمع الحق أقبل عليه وأصغى إليه بقلبه ، ويدعو عدوه ويحتج عليه بعمله ، ولا يجعل له حجة عليه ، فيكون فتنة له كما قدمنا ذكره قبل هذا الباب فى هذا الكتاب ، ويجرى فى ذلك ويمتثل فعل إمامه وأمره ، ويسير بسيرته فى المباينة والمداجاة والمكاشفة والمداراة ، لا يتعدى فى ذلك أمره ولا يتجاوز فيه نهيه ، ويكون اعتقاده على ما قدمنا ذكره. قال أبو جعفر محمد بن على صلوات الله عليه ووصف شيعته فقال « شيعتنا من لا يمدح لنا معيبا ، ولا يواصل لنا مبغضاً ولا يجالس لنا قالياً ، إن لقى مؤمناً أكرمه ، وإن لقى جاهلا هجره ؛ شيعتنا من قال قولنا ، وفارق أحبته فينا ، وأدنى البعداء فى حبنا ، وأبعد الأقرباء فى بغضنا ، شيعتنا المنذرون فى الأرض سرج وعلامات ونور لمن طلب ما طلبوا ، وقادة لأهل طاعة الله ، وشهداء على من خالفهم ؛ بمن ادعى دعواهم سكن لمن أتاهم لطفاء بمن والاهم سمحاء أعفاء رحماء ، هذه

[٤٥ ب] || صفتهم فى التوراة والإنجيل والقرآن العظيم ؛ إن الرجل العالم من شيعتنا إذا حفظ لسانه وطاب نفساً بطاعة الله وأظهر المكايدة لعدوه بقلبه ، ويغدو حين يغدو وهو عارف بعيوبهم ، ولا يبدى ما فى نفسه لهم ، ينظر بعينه إلى أعمالهم الردية ، ويسمع بأذنه مساويهم ويدعو بلسانه عليهم ، مبغضوهم أولياؤه ، ومحبوهم أعداؤه » فى كلام طويل ذكره صلوات الله عليه. فكونوا كما وصفكم الله وأولياؤه أيها المؤمنون عادوا فى الله ووالوا فى الله واقتدوا بأوليائكم واتبعوا أمر أئمتكم وأبدوا ما يبدونه واعتقدوا ما يعتقدون فإنما جعلهم الله عز وجل لكم أئمة لتأتموا بهم ، وتمتثلوا أمرهم وتعادوا من عاداهم ، وتوالوا من والاهم ، وتحبوا من أحبوه ، وتبغضوا من أبغضوه ، من ولى أو عدو أو قريب أو بعيد ، وتعتقدوا ذلك لله ولوجهه

فإن ما يكون لله لايشوبه الهوى ولايدخله المراء والرياء . وفقنا الله وإياكم لمحابه وجنبنا وإياكم سخطه .

[٤٦ ا] تم الجزء الأول من كتاب الهمة بحمد الله وفضله

ويتلوه الجزء الثانى من كتاب الهمة

الجزء الثانى

من كتاب الهمة

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

(١)

ذكر التسليم وترك الاعتراض على الأئمة فيما يولون من يتألفونه من الأمة

وقد ذكر الله عز وجل المؤلفة قلوبهم فى كتابه، وجعل لهم سهما فى الصدقات يتألفون به ذكره فى إيجابه، وجعل للنبى صلى الله عليه وعلى آله فى عصره ولكل إمام فى دهره، إعطاءهم من ذلك ما يتألفون على الإسلام به، وهم وجوه القبائل ورؤساء العشائر الذين يخشى جانبهم ويرجى باستمالتهم استمالة أتباعهم. وقد روى أن عليا صلوات عليه بعث إلى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله مالا من اليمن فقسمه رسول الله صلع بين الأقرع بن حابس[1] وعيينة بن حصن وزيد الخيل وعلقمة بن علاثة وعامر بن الطفيل وهؤلاء رؤساء عشائرهم، ومقدمو قبائلهم وهم من المؤلفة قلوبهم، فوجد من ذلك ناس من أصحاب رسول الله صلع وقالوا: نحن كنا أحق بهذا. فبلغ ذلك رسول الله (صلع) فوبخهم فيه وقال: ألا تأمنونى وأنا أمين ‖ [٤٦ ب] من فى السماء، يأتينى خبرها صباحا ومساء. فكسر ذلك منهم، واعتذروا إليه واستغفروا مما كان منهم، وأنه صلى الله عليه وعلى آله لما قسم غنائم حنين أعطى الأقرع بن حابس مائة من الإبل، وأعطى عيينة بن حصن مائة

---

(١) فى الأصل الأحزم بن كابس

أخرى ، فبلغ ذلك الأنصار فوجدوا منه فى أنفسهم وقالوا : آوينا ونصرنا وبذلنا أنفسنا وقتلنا ، فلما جاءت الدنيا يورثها رسول الله صلع أقواماً قريب عهدهم بالإسلام لم يدخلوا فيه بحقيقة ولا لهم فيه عناء ولاجهاد وكثر كلامهم فى ذلك ، فبلغ النبي صلع فأرسل إلى سعد بن عباده فقال : ما كلام بلغنى من قومك الأنصار ؟ فقال : قد كان الذى بلغك يارسول الله . قال : فما كان منك أنت فى ذلك ؟ فسكت وقال : لتقولن . فقال : يارسول الله ماأنا إلا رجل من قومى . فجمعهم النبي صلى الله عليه فلما اجتمعوا قال : ما هذا الذى بلغنى عنكم معشر الأنصار ؟ قالوا : قد كان ما بلغك يارسول الله .فقال : أما الذى قلتم انكم أويتم و نصرتم وجاهدتم فقد صدقتم وائن قلت إنى أصبتكم ضلالا فهدا كم الله بى ، وأذلة فأعزكم بمكانى ، وفقراء فأغناكم بأسبابي ‖ [٤٧ ا] لقد صدقت ؛ أفما ترضون أنى أعطيت قوما من الدنيا ووكلتكم إلى دينكم ، وأن الناس ينصرفون بالشاة والبعير وتنصرفون أنتم بى إلى منازلكم ورسول الله راض عنكم . فبكوا وقالوا : رضينا يارسول الله فاستغفر لنا ربك ما كان منا فقال : يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين . فهذا أمر قد اعترى قديماً أصحاب رسول الله صلى الله عليه ضرب الحسد فيه وأغراهم الشيطان به فغارت أنفسهم بما رأوه من فعل رسول الله صلى الله عليه وعلى آله بمن رأوا أنهم أحق منهم بما أنالهم منهم وأنهم أقدم جهادا وأكثر فى الإسلام عناء وأصلح إعتقاداً وإسلاما فمن أناله رسول الله صلع ما أناله ممن أراد أن يتألفه بذلك على الإسلام ويحببه إليه لما رأى صلع وعلى آله أن له فى ذلك للإسلام صلاحا والمسلمين ، ولم يفعل ذلك صلع إلا عن أمر ربه وبوحيه جل ذكره ، وبعد أن نطق الكتاب به ولذلك قال لهم صلع « ألا تأمنونى وأنا أمين من فى السماء يأتينى خبرها صباحاً ومساء » والمؤلفة قلوبهم اليوم أكثر عدداً والأئمة صلوات الله عليهم يمتثلون فى أمرهم ‖ [٤٧ ب] ما أمر الله عز وجل ومنة رسوله صلع ، ويعطونهم كمثل ما أعطاهم رسول

الله صلع ويقربونهم ويدنونهم كما أدنى رسول الله صلع من أدناه منهم ، حتى
أنه بسط لبعضهم رداءه فأجلسه عليه وقال : إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه .
ويعفون ويصفحون صلوات الله عليهم عن كثير ممن قدروا عليه ممن نصب
لهم وحاربهم وأعان عليهم ، إقتداء بسنة جدهم محمد صلع وعلى آله فقد ناله
من قريش ومن بمكة من الأذى ماقد علمه الله ، فلما أظفره الله بهم وأظهره .
عليهم عفا وصفح عنهم . وكثير من أتباع الأئمة إلا من عصمه الله ينكر قلبه
ذلك وتغار نفسه به ، ويعتريه فيه ما اعترى من ذكرناه من أصحاب رسول
الله صلى الله عليه وعلى آله سيما من وتروه ونالوا منه ، أو من كان له معهم
موقف فى الحرب أو نالته منهم محنة فهو يرى أنه أحق بما نالوه منهم
فيحدث بذلك نفسه ، ومن عسى أن يفشى إليه سره ، فيقولون فى ذلك
ويكثرون ويتعقبون على الأئمة وينكرون ، وهذا من أعظم وصمات[1] تدخل
عليهم فى الدين ، وقد ذكرت فيما تقدم ما يجب ‖ على الأمة لأولياء الله [٤٨ ا]
من التسليم وتلقى ما يكون منهم بالرضا والقبول فيما عرف وأنكر وساء وسر
ونفع وضر ، ولو تدبر هؤلاء المنكرون فعل الأئمة ما فعلوه من ذلك حق
تدبره ، ونظروا بعين الإنصاف إليه لعلموا أن الله تعالى أعزهم بأوليائه وأنعم
عليهم بهم وشرفهم بإمامتهم ، ورفعهم بسلطانهم ، وأعزهم بجانبهم كما قال
رسول الله للأنصار يوم خاطبهم بمثل ذلك . وإن الذى يحتمله أولياء الله من
تكلف مايتكلفونه لمن يتألفونه أشد محملا وأصعب مرتقى من تسليم هؤلاء
إن اسلموا ذلك إليهم لما فى ذلك من كظم غيظهم والصفح عمن جنى
عليهم ، وتعدى أمر الله فيهم وتقدم بالمكروه إليهم وإلى من قبلهم من
الأئمة ، وآنال أولياءهم المكروه بأسبابهم فيهم . والأئمة (صلع) أغم[2]
بأوليائهم وما ينالهم فى ذات الله من أعدائهم من أوليائهم بأنفسهم
وذراريهم وآبائهم ، وأن جناية من غمضوا عن جنايته وقبلوا رجوعه
وإنابته أشد عليهم من جنايتهم على هؤلاء المنكرين أمرهم ؛ ولنظرة

---

(١) فى الأصل وصمة (٢) فى الأصل أهم

بالمكروه إلى ولى من أولياء الله أعظم عند الله من قتل ملأ من الناس ؛
ولكن أولياء الله يرجعون فى ذلك ‖ إلى أمر ربهم ولا يتعدون ما به [٤٨ ب]
أمرهم ويقتفون سيرة جدهم وآبائهم ويرجعون إلى ماجبلهم الله عليه
من الصبر والعفو والإحسان والرحمة ؛ فينبغى لمن اعترض عليه ماقدمنا ذكره
من إنكار ما يكون منهم فى هذا الباب وغيره ، أن يستغفر الله منه ويرجع عنه
إلى التسليم لهم والرضاء بفعلهم وترك التعقب والإنكار عليهم ؛ واعتقاد ذلك
بقلبه وإخلاص نيته فيه ، ويعلم بأن كل ما يفعله الأئمة صلوات الله عليهم
صواب ورضا لله وحكمة من حكمه أودعهم إياها وأيدهم بها ووفقهم لها
فما يدرى متعقب ذلك ومنكره أن ذلك لو لم يفعله أولياء الله عليهم السلام
وأبقى ذلك المتألف على فتنته أن ذلك المتعقب المنكر يكون صريع تلك
الفتنة وقتيل حربها وماله غنيمة لها وأهله سباياها ، أعاذ الله أولياءه ومن
يتولاهم من غلبة عدوهم ، وأظهرهم على من ناوأهم وما أكثر مايريد أولياء
الله بما يتألفون الناس له إلا للبقيا على أوليائهم وأنصارهم ، وحقن دمائهم
وترك التعرض إلى المتألف بهم ‖ اشفاقا منهم عليهم وطلبا لسلامتهم ورغبة [٤٩ ا]
فى حفظهم ودعتهم ، إذ كانوا أرأف بهم من آبائهم وأمهاتهم ، وأشفق
عليهم منهم على أنفسهم ، فينبغى لهم معرفة حق ذلك وشكره بمنتهى طاقتهم ،
وأن يعلموا أن شكرهم لا يبلغ وإن أطنبوا فيه بعض حق إنعامهم عليهم
وإحسانهم إليهم ولا يفىء من ذلك بشىء عنهم ألا أن الله سبحانه قد تعبد خلقه
بالشكر فيه ، فليقضوا حق ما تعبدهم به . وقد ذكرنا ما يجب من شكر إنعام
الأئمة فيما قبل هذا ، فاحكموا أيها المؤمنون أمر هذا وما هو فى معناه وما
يجرى مجراه من أنفسكم وخذوها به وحاسبوها عليه ، وادفعوا عنها ما اعترض
عليها منه بالنظر فيما ذكرنا وتمثيل ما مثلناه ، واعلموا أن لأولياء الله فيما
استرعاهم الله عز وجل من أمور عباده نظرا يهديهم إلى الصواب فيه ،
وتدبيرا يوفقهم إلى الرشاد ، وفعلا يحسن العواقب لهم وللعباد من أجله ،

تنكره قلوب كثير من العباد كما أنكر موسى عليه السلام ماكان من العالم وهو صواب عندالله ، وقد قدمنا فى الباب الذى أجرينا ذكرذلك فيه مايدخل فى هذا المعنى وينبغى استعماله فيه ‖ والله الموفق للصواب برحمته والتوفيق بكرمه . [٤٩ ب]

(٢)

ذكر الأمر بتحرى ما وافق الأئمة صلوات الله عليهم والنهى عن إتيان ما خالفهم

ينبغى لأتباع الأئمة صلوات الله عليهم أن يؤدبوا أنفسهم ويأخذوها فى سرهم وعلانيتهم بما وافق أئمتهم ويحذروا خلافهم ، فقد قال الله عز وجل لمن قرن طاعتهم بطاعته وأوجب لهم من الحق من ذلك مثل ما أوجبه له ، « فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم[١] » وليعلموا أن احتمال الأئمة صلعم إياهم على خلاف الموافقة إن احتملوهم على ذلك احتمال مشقة واستثقال وفى ذلك سوء العاقبة فى عاجل الدنيا أو فى آجل الآخرة أو فيهما معا ، فمن ثقل وشق عليهم فقد استحق مقتهم وتعرض لعقوبتهم ومقت الله وعقوبته . وقد قيل إن الإنسان الثقيل أثقل من الحمل الثقيل ، لأن الحمل الثقيل يحمله البدن والإنسان الثقيل إنما يحمله الروح والروح أشرف من أن يحمل ثقلا سيما أرواح الأئمة التى طهرها الله وشرفها وعظمها وكرمها ؛ فالحذر الحذر عباد الله من الجناية عليها بغير ما وافقها ، فإن ذلك أعظم فى الإثم وأخوف من العقوبة ؛ وقل إنسان من سائر الناس يحتمل غيره على خلاف موافقته ‖ وإن احتمله لم يحتمله إلا عن مشقة وبغضة واستثقال له . [٥٠ ا] ولو علم أحدكم هذا من نفسه عند من يساويه من الناس ويشاكله ، أو من هو

(١) النور ٦٣/٢٤

دونه لكان مما ينبغى له أن يتلافى ذلك من نفسه ويحذر منه ولا يعرضها للبغض والثقل عند أحد من الناس ، فكيف بأن يعرضها لذلك عند من يرجون فى الدنيا ثوابه وفى الآخرة شفاعته، ويتوقعون خوفه ويجتنبون تبعاته،وكيف لا تعلمون أنفسكم فيما يقربكم منه ويزلفكم لديه ويحببكم إليه ويزكيكم عنده ، وفى ذلك لكم خير الدنيا والآخرة والأمن من عقابهما ؛ فأجهدوا أنفسكم فى التحفظ من هذا وما هو فى معناه غاية الجهد، وتحفظوا منه نهاية التحفظ ، وارعوه حق الرعاية تظفروا بخير الدنيا والآخرة ، واعلموا أن معرفة الإنسان نفسه فى هذه الأحوال إنما يدرك ما يدرك منها ويعرفه بمقدار ما فيه من العقل والحاسة والنباهة والأدب واليقظة ، والناس يتفاضلون فى ذلك بمقدار ما خول الله عز وجل كل امرىء منهم منه وخصه به وجعله فيه ، ولا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها || ولكن ينبغى لكل امرىء منهم بذل المجهود فى تحرى الصواب على كل الأحوال ، واستعمال مالا شبهة فيه وترك ما فيه الشبهة ، فقد قال رسول الله صلعم « الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتبهات فدع ما يريبك إلى مالا يريبك ألا إن لكل ملك حمى وحمى الله محارمه ويوشك من يرعى حول الحمى أن يقع فيه » وفى هذا وقبوله عن رسول الله (صلعم) أدب وصلاح فى أمور الدين والدنيا ، فينبغى للمؤمن أن يجرى أموره كلها على هذا المجرى ، فما علمه ولم يشك فيه من خير أتاه ومن سوء اجتنبه ، وما شك فيه فلم يدر أخير هو أم شر أو حلال أو حرام توقف عنه ولم يقدم فيه على شبهة ، فعلى هذا ينبغى لمن أراد التقدم فى أمر من أمور الأئمة صلوات الله عليهم ويعلم أنه يثقل عليهم أن يتأخر عنه ولا يتقدم فيه وإن علم أنه يخف عليهم ويقع بموافقتهم تقدم له ، وما شك فيه من ذلك توقف عنه إلا أن يضطر إليه ، ولا يقف على صحيح علم فيه ولا يجد بدا منه فيقدم المعذرة إلى إمامه ويسأله العفو عن خطأ إن كان فى ذلك منه فإن فى تقديم الاعذار فى ذلك مايوجب التخفيف || وقد قيل لبعض أهل الأدب

[٥٠ ب]

[٥١ ا]

متى يكون الإنسان خفيفا على القلب ؟ قال : إذا اعترف وأخبر أنه ثقيل . وهذا من باب الاعتراف ، والمعترف بالذنب يميل له القلب . وقد قيل إن المعترف بالذنب كمن لا ذنب له وقد قال الله عز وجل « وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم[1] » وقد قيل إن [عسى] من الله وعد ؟ والله كما قال لايخلف الميعاد . والإعتذار توبة ، وقد قال الله تعالى « إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين » ومن أحبه الله حببه لخلقه . وكذلك ترك التحفظ والهجوم على الشبهات كالإصرار على الذنوب ، على أن ماذكرناه من هذا الوجه لا ينبغى الاعتذار الا عند الاضطرار كما قدمنا الشرط فيه وليس ينبغى استعماله فى كل الأحوال ، فليس المعتذر ولا التائب من الذنب فى الحقيقة كمن لاذنب له ولـكن التوبة تمحيص وقد أحب الله التوبة ولم يحب أن يعصى ، فمن وجد مندوحة عما اشتبه عليه أو على ما أيقن بالخطأ فيه فينبغى له التخلف عنه والدخول فيما لا خطأ ولا شبهة فيه . ومما ينبغى ‖ الاحتراس منه والتيقظ [٥١ ب] له أن يحذر كل الحذر من قرب من الأئمة أو بعد أن يرى أن له ذماما عندهم أو حرمة توجب حقا عليهم أو عملا يستحق له الثواب منهم فانه بما توسوس به النفوس من هذا وتميل إليه الخواطر الردية هلك من هلك . وإنما جعل الله عز وجل الحق والحرمة وأوجب الذمام على جميع الأمة لأولياء الله الذين تعبد العباد بطاعتهم . وجعل الحق والواجب لهم وأثاب عباده على القيام بذلك وعاقبهم على تركه فمن أحسن فى أمرهم فلنفسه أحسن وبما أوجب الله عليه وافترضه قام وثواب ربه على ذلك يرجوه ؛ فينبغى لمن وفق لذلك حمد الله عليه والاعتراف بالعجز والتقصير . وإن بالغ فى الاجتهاد فيه فإن حق الله وحق أوليائه لاتدرك غايته . ولاتنتهى نهايته ، وحسب المجتهد فيه بلوغ مجهوده واستفراغ طاقته ولو بذل المؤمن فى طاعة أولياء الله

---

(١) التوبه ٩ / ١٠٢

وخدمتهم والسعى لهم منتهى جهده ووسع طاقته عمر الدنيا كله لم يف
بواجبهم ولم يتـه كنه حقهم وإنما يبلغ العباد رضاهم بفضلهم عليهم
وتطولهم برضاء عنهم ويقبلون ما يقبلونه من أعمالهم لعلمهم بإخلاص
النيات وبذل المجهود لهم ‖ لا ان ذلك منتهى حقوقهم ونهاية واجبهم وكل [٥٢ ا]
من قربت منهم عند نفسه وسيلته ومست رحمته ودنت فيما يرى ذريعته
فهو فى الواجب فى ذلك عليه والبعيد الذى لاسبب له بمنزلة واحدة لأن
فرض الله على عباده واحد لا فضل فيه لقريب على بعيد ولا لفاضل على
مفضول وأقرب الناس إلى الله وإليهم صلوات الله عليهم من قربته أعماله
الصالحة منهم فافهموا رحمكم الله هذا الباب وتدبروه ، وخذوا أنفسكم
بما فيه وبكل أدب صالح تسمعونه ، وفقنا الله وإياكم إلى مايرضيه .

(٣)

ذكر نهى أتباع الأئمة عن الحسد والبغى والشره
والحقد وسوء الظن

أما البغى فقد تكفل الله بالنصر على أهله ، ومن نصر الله تعالى عليه
فهو لا محالة مغلوب فى العاجلة وفى منتهى الأجل منكوب . قال الله تعالى :
« ومن بغى عليه لينصرنه الله » فإياكم والتهاون بوعيد الله والاستخفاف به
بأن لاتروه نزل عاجلا لمن تواعده الله به ، فإنما يعجل من يخاف الفوت ،
ويخشى أن يسبقه إلى من يريده الموت ، ومن أمهله الله عز وجل وأملى له
فى دنياه أخذه بالوعيد إن شاء بعد أمد أو فى أخراه ، وعذاب الله
أشق ‖ وأشد كما قال الله تعالى وأبقى ، وقد جاء أن رجلا قال للصادق [٥٢ ب]
جعفر بن محمد صلع : يابن رسول الله صلع ما معنى قول الله تعالى : « يمحق
الله الربا ويربى الصدقات » وقد نرى كثيرا ممن يعمل بالربا يربو ماله ولا تمحق ،

فقال صلع له : وأى محق يكون أمحق من مال ربا إن تاب منه صاحبه رده وأخرجه من يده فتمحق ، وإن لم يتب منه أدخله النار فأمحقه . فكذلك وعيد الله عز وجل للباغى بالنصر عليه إن بجل الله ذلك له غلب لأن الله عز وجل يقول « إن ينصركم الله فلا غالب لكم » ، وقد وعد بالنصر من بغى عليه ، [٢٥] وإن أخر النصر والانتقام إلى الآخرة فعذاب الآخرة أشد كما ذكر ، والمنصور فيها من نصر ونصر الله عز وجل قد يكون عاجلا أو آجلا لأنه لم يأت الوعد به مؤقتاً ، وهو جل ثناؤه لا يخاف فوت من أراده ، ولا يعجزه من قصده . فالحذر الحذر من البغى وأعظم البغى ذنباً ، وأشده عقوبة ما كان على الأئمة صلع فمن بغى عليهم وشاقهم فقد شاق الله ورسوله لأن البغى عصيان ، وقد قرن الله طاعتهم بطاعته وطاعة رسوله ، ومن عصيهم فقد عصى الله ورسوله ، ثم أشد البغى بعد ذلك على أوليائهم المؤمنين . وإن كان البغى كله منهياً عليه لخوف وعيد الله فيه ‖ وقد قال رسول [٥٣ ا] الله صلع « لو بغى جبل على جبل لجعل الله الباغى منهما دكا » . فهذا من قول الله تعالى : « ومن بغى عليه لينصرنه الله » . وقد أمر الله عز وجل بجهاد من بغى على الأئمة وعلى المؤمنين فى كتابه إذا نصبوا لهم ؛ والبغى يكون بالمناصبة والمحاربة والسعى والأذى ، وانما يلزم اسم البغى من ظلم والسعى بالباطل والكذب ، وأما المحق وقائل الصدق ومن كان من أهل العدل فليس ينسبون إلى البغى ولا يدخلون فى جملة أهله . ومن عظيم البغى وكبيره ما بغى به البراءة عند الأئمة وقذفوا به مما لم يفعلوه ، ونسب إليهم من المكروه مما لم يأتوه ، ووصفوا بما ليس هم عليه ، إن فى ذلك ذنب البغى وذنب الجرأة على الائمة بقول الباطل عندهم ورفع الشبهات إليهم . وكذلك الحسد أعظمه وزراً وأغلظه ذنباً ما حسد به الأئمة صلوات الله عليهم . قال [٢٥ ب] الله تعالى : « أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله ، فقد آتينا ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما » وقال جعفر بن محمد صلوات الله عليه

نحن الناس المحسودون الذين عنى الله بهذا ، حسدنا على ما آتانا الله من الإمامة وهى الملك العظيم الذى ذكر الله عز وجل » . وقال عليه السلام : الحسد رأس كل خطية ، وهو أول ذنب كان فى السماء وأول ذنب كان فى الأرض وأول ذنب كان فى الإنس وأول ذنب كان فى الجن ‖ وذلك أن [٥٣ ب] إبليس حسد آدم فكان ذلك سبب معصيته ، وحسد أحد ابنى آدم أخاه لما تقبل قربانه دونه فقتله ، وقال فى قول الله عز وجل حكاية عن أهل النار : « ربنا أرنا الذين أضلانا من الجن والإنس نجعلهما تحت أقدامنا ليكونا من الأسفلين [١] » قال أرادوا إبليس وقابيل لأنهما أول من سن المعصية وركب الخطيئة من الجن والإنس فكان سبب ذلك الحسد . وكذلك من أنكر نبوة الأنبياء وإمامة الأئمة ونصب لهم ، وتغلب دونهم فإنما سبب ذلك أنه حسدهم على ما أعطاهم الله ، وأحب أن يكون ذلك له دونهم ، وكذلك يجرى هذا المجرى من نافس غيره فى حظه فسعى فى إزالته عنه ، ومن سرق مال أحد وأفسد أهله أو ما يجرى هذا المجرى من الذنوب فإنما أصل ذلك أنه حسده فيما أتاه الله وأراد أن يكون له دونه ، وذلك قول الصادق جعفر بن محمد صلع « الحسد رأس كل خطية » وذلك مع ما فى الحسد من الغم والكمد ، ولذلك قال بعضهم : مارأيت ظالما أشبه بالمظلوم من الحاسد .

وكذلك من كبائر الحسد حسد من حسد أحدا فضلا من فضل الأئمة عليه ، لأنه يدخل فى ذلك مع ذنب الحسد ذنب الإنكار على الأئمة فعلهم ، لأن ذلك الحاسد يرى أن الذين أنعموا عليه ليس بأهل النعمة ، وأن فعلهم ذلك به غير صواب ، فهذا ذنب عظيم أيضاً مع ذنب الحسد . وكذلك الشره وهو مكروه ومنهى عنه ، وهو فى الحرام أغلظ إثماً وأكثر وزراً وهو فى أموال الأئمة صلوات الله عليهم أشد ‖ تغليظاً وإثماً على ما قدمنا ذكره فى خيانتهم [٥٤ ا] والتعدى عليهم ، وان إثم ذلك يفوق على الآثام وذنبه يجاوز الذنوب ،

---

(١) سورة فصلت ٤١ / ٢٩

وكذلك سوء الظن مكروه ومنهى عليه ، وأعظمه سوء الظن بالله جل ذكره وقال تباركت اسماؤه . « الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم وساءت مصيراً » ثم يتلو ذلك فى التغليظ سوء الظن بأنبياء الله وأوليائه الذين قرن طاعتهم بطاعته ، ثم بالمؤمنين من أوليائهم قال الصادق جعفر بن محمد صلع : حرم الله دم المؤمن وعرضه وماله وسوء الظن به . وكذلك الحقد منهى عنه ومذموم فعله بين المؤمنين ، فإن تعدى ذلك إلى الأئمة كان حوباً عظيما ، وإثما كبيرا يخرجه من حد الإيمان ويوجب النفاق . فالحذر الحذر عباد الله من هذه الخصال المذمومة والأفعال الردية وارتكابكم إياها بقول أو عمل أو نية ، أو تنظروا إليها وإلى أهلها بعيون الإعجاب ، أو تصغوا إليهم بآذان الإقبال ، فإن الله عز وجل يقول : « إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا » فأخلصوا || لله [٥٤ ب] ولرسوله ولأوليائه أعمالكم ، واصفوا لهم ولجميع المؤمنين ضمائركم ، واجعلوا عليكم فى ذلك رقيباً من أنفسكم فى علانيتكم وسرائركم ومشاهدكم وخلواتكم ، فقد قيل إن كمال الدين والآداب والمروة استحياء المؤمن من نفسه . وهذا إذا وجه على وجهه كان ذلك لأنه إذا استحيا من نفسه كما يستحي من الناس لم يأت محرماً ولا عيباً ولا مكروها يستحي من الناس فيه أن يأتيه عن علمهم ومشهدهم ، ومن لم يستحى من نفسه واستحى من الناس فقد هانت نفسه عليه فهو على الله وعلى عباده أهون . فحاسبوا أيها المؤمنون أنفسكم هذه المحاسبة وانتقدوا عليها هذا الانتقاد ، وانظروا فى عيوبها بمثل هذا النظر فإنه من لم ينظر فى عيب نفسه نظر الناس فى عيوبه . وفقنا الله وإياكم لما يرضيه ويحظى به لديه .

(٤)

ذكر الأمر لأتباع الأئمة بالتواضع لله تعالى ولهم واطراح الكبر والأنفة وإعطاء الحق الذى يلزمهم

التواضع لله ولأوليائه باب من أبواب العبادة ، والكبر والأنفة فى ذلك وغيره ـ إلا عن المكروه ـ من الدلائل على لؤم الطبائع وخساسة الأنفس وقدجاء عن رسول الله صلع أنه قال : من تواضع لله رفعه الله . وقال : مامن عبد || ـ أوقال آدمى ـ إلاورأسه بيد ملك ، فإن تواضع لله رفعه وقال ارتفع رفعك الله ، وإن تكبر خفضه وقال انخفض خفضك الله . والزهو والكبر [٥٥ ا] والإعجاب بالأنفس والأعمال من خطوات الشيطان ، وذلك مكروه قبيح فعله واستعماله مع سائر الناس ، وهو مع الأئمة أشد قبحا وأكثر نقيصة وإثما ، وكيف يعجب معجب بعمل يعمله لأولياء الله ، أوبعناء أوبجهاد يكون معهم فى سبيل الله أو ما كان من مثل ذلك مما دخله من أجله الزهو والإعجاب بنفسه وبعمله ذلك الذى أعجب به وهو إنما سعى فى ذلك لنفسه وعمل لحظه وقدم لمعاده ، وإن كان ممن فعل ذلك لوجه الله جل ذكره ، فلله ولأوليائه فى ذلك المنة عليه ، وقال تعالى : « يمنون عليك أن أسلموا قل لاتمنوا علىّ إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين »(١) وإن كان ما عمل من ذلك عن رزق أعطيه أو جراية أجريت عليه ، فإنما هو بمنزلة الأجير فيه إن وفى بأجرته فقد قضى ما عليه ، وإن زاد فثواب ذلك له وإن نقص فإثمة عليه ، وإن كان الذى فعله من ذلك تبرعا ليقرب حاله به ، ويذكر بما كان منه فيه فقد كان من ذلك ما كان ، وقد جاء عن رسول الله صلع أنه قال : يأمر الله عز وجل برجال يوم القيامة إلى النار ، فيقول قوم منهم || ربنا إننا كنا [٥٥ ب]

---

(١) الحجرات ٤٩ / ١٧

ممن يجاهد فى سبيلك ، ويقول آخرون : ربنا إنا كنا ممن يدمن حج بيتك ، ويقول آخرون ربنا إنا كنا ممن ينفق ويصلى ويتصدق لوجهك ، فيقول الله عز وجل : كذبتم إنما فعلتم ذلك ليقال ما أشجع فلانا ، وما أكثر حج فلان ، وما أسمح فلانا ، فقد قيل ذلك ، اذهبوا بهم إلى النار ، ثم يقول عز وجل : إنى خير شريك فمن أشرك معى فى عمل يعمله غيرى أسلمته لمن أشركه فيه معى . ففى أى حال كان هذا المعجب من هذه الأحوال فقد هلك بإعجابه إذ لم يعرف قدر نفسه ، ولذلك قيل ما هلك امرؤ عرف قدره . فأما من أنف من أتباع الأئمة صلوات الله عليهم عن الإنصاف فى الخصام ، ومساواة من خاصمه عند القضاة والحكام ، وفى السلم من عدو أو ولى أو ذمى يرى أنه له فضل فى ذلك عليه وأن قربه من أولياء الله يوجب له مالا يجب مثله عليه فتكبر لذلك وذهب بنفسه وعَنِـد عن الحق واستطال على خصمه فإنه لم يعرف فضل نعمة الله فى قرب أوليائه عليه ، ولا ما أوجب الله من الحق فيه إذ ظن أن ذلك يوجب الحيف له ، والميل اليه ولو عرف نفسه ، وعلم أن قربه من أولياء الله لو لم يكن له لكان عند خصمه أهون منه عنده فوجب أن يساويه ولا يستطيل بسلطان أولياء الله عليه ، وهم أهل العدل بين عباد الله والتسوية فى حقه بين خلقه ، كما أمرهم بذلك جل ثناؤه ، ولا ينسب الحيف عند الجهال بهم || اليهم ، ويقيم لهم الحجة بذلك عندهم عليهم ، [٥٦ ا] ويوهمهم أن ذلك من أمرهم ورأيهم ، وقد برأ الله الأئمة من الجور ونزههم عن الظلم ففاعل هذا فى الإثم كالناصب لهم والباغى عليهم ، اذ كان قد تعدى أمرهم وعدل عن حكمهم واستعمل سلطانهم فى خلاف ما أمروه به ، وسلك به غير السبيل الذى به سلكوه ، فعليكم عباد الله بالتواضع لله ولأوليائه واطراح الكبر والأنفة فى حقوقه ، والمساواة فى ذلك لمن نازعكم والعدل فيما بينكم وبين من طلبتم بحق أو طالبكم فان ذلك مما يرفع من أقداركم ، ويعظم ثوابكم به عند ربكم ، ويحسن فيه ثناء الناس عليكم ، ويشكرون له سير أئمتكم

ويعلمون أن ذلك عن أمرهم إياكم ، ومن عدلهم فيما بينهم وبينكم ومتى لم تفعلوا ذلك كنتم على ضد هذه الأحوال ، وبؤتم بالإثم وتعديتم فى الأفعال ، أعاذنا الله وإياكم مما يوجب سخطه ، ووفقنا الله معا لما يزكو لديه وعنده .

(٥)

ذكر الأمر لأتباع الأئمة بالحلم والعفو والوقار والسكينة

الحلم والسكينة والوقار والعفو سيماء المؤمنين الأبرار ، وقد وصف الله عزوجل نبيه بالحلم فى كتابه فقال : إن إبراهيم لحليم أواه منيب . فأثنى عليه وقال لنبيه محمد (صلع) : « خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم »[١] وقال : « هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم »[٢] وقال : « لتؤمنوا بالله ‖ ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلا »[٣] وقال تعالى : « وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم »[٤] وقال فى المؤمنين : « رحماء بينهم » . [٥٦ ب]

فينبغى لأتباع الأئمة أولياء الله أن يتأدبوا بآداب الله وأن يكونوا كما وصفهم الله فى كتابه حلماء رحماء أهل سكينة ووقار فى العلانية والأسرار . فذلك شرف وزين لهم فى العاجل ، وذخر وثواب فى الآجل ، وأوجب ماتزينوا بذلك واستعملوه واعتقدوه وأخلصوا فيه لأئمتهم وولاة أمرهم ، الذين تضاعف لهم الحسنات فيما أتوه من الخير عندهم كما تضاعف العذاب لمن أتى بالمنكر إليهم على ماقدمنا ذكره فى غير باب من هذا الكتاب . فأحق ما رغب فيه الراغبون وأوجب ماسعى له الطالبون ماضوعف أجره للعاملين

---

(١) الأعراف ٧ / ١٩٩ - ٢٠٠
(٢) الفتح ٤٨ / ٤
(٣) الفتح ٤٨ / ٩
(٤) النور ٢٤ / ٢٢

وحسن به الذكر وطاب به الخير فى الغابرين ، وكانت به النجاة والفوز فى يوم الدين ، وأحق ما اجتنبه من نظر لنفسه ، وعرف حق أئمته وسعى لآخرته أضداد هذه الخصال فى النيات والمقال والأعمال من السفه الذى هو ضد الحلم ، والبطش بالعقوبة فيما العفو فيه أجمل والحلم عنه أفضل ، والقسوة التى هى ضد الرحمة فيما يبتغى الرحمة فيه ولمن لا تجب القسوة عليه والبطش والنزق اللذين هما ضد الوقار والسكينة ، واجتناب هذه ‖ الأخلاق الدنية ، والأفعال المذمومة فى جميع الخلق فيه فضل وبر ، وارتكابها فيه إثم وعار وشين ونقص ، وذلك فيما يكون من أمور الأئمة وأوليائهم أعظم ثوبا وأغلظ إثماً .

[٥٧ ا]

(٦)

ذكر ما ينبغى لأتباع الأئمة فيما بينهم من التعاطف والتواصل والتوادد والتباذل

التواصل والمودة والتباذل بين الإخوان فى ذات الله عمل عظيم ، ثوابه جزيل أجره فى الآجله ، ويكسب أهله حسن الذكر والثناء وطيب الخير فى العاجلة ، وقد جاء عن رسول الله صلع أنه قال : ينادى منادى يوم القيامة أين أهل الصبر ؟ فيقوم طائفة من الناس فيأمر بهم إلى الجنة ، فتتلقاهم الملائكة فيقولون : ما صبركم هذا الذى أوجب لكم الجنة ؟ فيقولون : كنا نصبر أنفسنا على طاعة الله ونصبر عن معاصى الله . فيقولون لهم : ادخلوا الجنة فنعم أجر العاملين ثم ينادى منادى أين أهل المعروف ؟ فيقوم طائفة من الناس فيأمر بهم إلى الجنة فتستقبلهم الملائكة فيقولون : ماهذا المعروف الذى أوجب لكم الجنة فيقولون كنا نعفو عمن ظلمنا ونصل من قطعنا ونعطى من حرمنا . فيقولون لهم : ادخلوا الجنة فنعم أجر العاملين ، ثم ينادى منادى : أين جيران الله فى دار السلام ؟ فيقوم طائفة من الناس فيأمر بهم إلى الجنة ، فتتلقاهم الملائكة فيقولون :

ما فضلكم هذا الذى جاورتم الله به فى دار ‖ السلام ؟ فيقولون : كنا نتحاب [٥٧ ب]
فى الله ونتواصل فى الله ونتباذل فى الله . فيقال لهم : ادخلوا الجنة فنعم
أجر العاملين .

فهذا الثواب الذى لاثواب كمثله، وكذلك قليل من يفعل مثل هذا يحب أخاه
لايحبه إلا لله ، ويواصله لايواصله إلا لله ، ويبذل ماله لايبذله إلا لله ، وهؤلاء
من الذين قال الله عز وجل « إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم »
وما أكثر ما يتحاب الناس ويتواصلون ويتباذلون إلا تصنعاً ومكافاة بينهم
ورياء وسمعة ، وأفضل ذلك ما يشوبه شىء من طلب ثواب الله ، فأما أن
يكون ذلك محضاً يراد به وجه الله لا غيره فأهل ذلك قليل كما قال جل ثناؤه ،
وينبغى لمن نافس فى الفضائل أن يخلص هذا إذا كان همه وعمله كله لله وينويه
لوجهه ويخلصه لطلب ثوابه ، ويجعل أفضل ذلك فى اعتقاده ونيته وطويته
فيما يكون للأئمة صلوات الله عليهم ، إذ كانت الحسنات تضاعف فى ذلك ،
وإذا أوجب الله تعالى جواره فى دار السلام لمن أحب مؤمنا ووصله ، ففاعل
ذلك للإمام أحرى أن يكون ثوابه أكبر وأجره على الله أعظم أضعافاً
مضاعفة إذا نوى ذلك ـ كما ذكرنا ـ واعتقده لوجهه وأخلص نيته فيه ، وما
أيسر أمر الاعتقاد لمن وفقه الله للرشاد مثل أن يجعل من مشى إلى قصر
الإمام مرتباً كان فى ذلك أو متعاهداً إن ذلك السعى وصلة لإمامه
وزيارة يريد بها وجه الله وثوابه لا ينوى بذلك غيره ، وإن ‖ كانت له مع [٥٨ ا]
ذلك حاجة هناك لم يضره ذلك مع جميل اعتقاده ، كما لم يجعل الله جناحا على
من ابتغى الفضل من حجيج بيته القاصدين إليه لا بتغاء ثوابه وكذلك يجعل
ما يصلهم به ويدفعه من الواجب عليه فى أمواله ، وما تطوع به لله ولوجهه
لايريد رياء ولاسمعة ولا يجعله لأمر يرى أنه إن لم يفعله نقص عندهم ، وأخل
ذلك به لديهم ، وإن أحبهم لأمر ما كان ذلك الحب له جعله لله جل ذكره
وابتغاء ما عنده ، وكذلك يجعل جميع أفعاله لهم من جهاد أو خدمة أو نصيحة

أو قول أو فعل ينوى به وجه الله لايشوبه بغيره ؛ ولقد أفادنى بعض من
لا اعتقد مذهبه ولا أرضى قوله وحكمه ، وأنا حديث السن يومئذ وهو
شيخ ونظر إلىّ أجمع الكتب واكتبها واشتغل بها فقال لى : يابنى انى أفيدك
فائدة . قلت هات . قال : إن الإشتغال بهذه الكتب يحول دون كثير من
أعمال البر وهى شهوة لا يقدر من علق بها على تركها لغيرها ، فاجعل نيتك
إن عملك فيها واشتغالك بها لله وطلب ثوابه يكون ذلك لك عمل بر . ففتح
لى من هذا وجها إن لم يكن على الجملة كما قال فإنه يوجب أن يكون كما قال
فيما وافق الحق لأنه ليس من كتب ونظر واشتغل بعلم باطل ينوى به ما عند الله ،
وأن الله يقبل ذلك ويثيبه عليه بل يعذبه على الباطل ويؤثمه فى اشتغاله به ،
ولكن من فعل براً وخيراً فنوى به ثواب الله وقصد به وجه الله ‖ أثابه [٥٨ ب]
الله عليه ، وإن عمل ذلك رياء وسمعة لم يقبل منه ، وكان لما عمله له كما قال
رسول الله صلع : إنما الأعمال بالنيات إنما لكل امرىء ما نوى . فمن هاجر
إلى الله وإلى رسوله فهجرته إلى الله ورسوله فمن هاجر لدنيا يصيبها أو امرأة
يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه » فإنما أراد صلع بالأعمال ههنا أعمال البر
إذا كانت صحبتها النية الصالحة فأما من عمل سوء وأراد به الخير لم يقبل منه بل
يعاقب عليه . وقد قال رسول الله صلع « نية المؤمن خير من عمله » . وتفسير
ذلك والله ورسوله أعلم أن العمل بلا نية غير مقبول ، ولو أن رجلا أمسك
عن الطعام يوماً كله ولم ينو بذلك الإمساك الصوم لم يكن صائماً ، ولو خرج
إلى مكة وقت الحج وشهد المناسك كلها ولم ينو الحج لم يكن حاجا ، ولو قام
وركع وسجد ولم ينو الصلاة لم يكن مصلياً ، وكذلك كل عمل ، فالعمل بغير نية
لا ينفع ولا يقبل وإنما يكون عملا إذا كانت معه النية ، والنية وحدها تنفع
بلا عمل . قال رسول الله صلع « من نوى أن يعمل حسنة كتبت له فإن عملها
كتبت له عشر حسنات » فلذلك والله أعلم كانت نية المؤمن أفضل من عمله
لأنها تنفع دون العمل ، والعمل لا ينفع بغير نية ، ولذلك قال قائل لبعض

الأئمة فيما أحسب : أمن العدل أن يعصى الله عاصى أو يذنب إليه مذنب مدة قليلة فى دنياه فيعاقبه ‖ فى الآخرة عقوبة الأبد ، قال : نعم لأنه كان ينوى أنه لو عمر الأبد لكان على تلك المعصية إذا مات مصراً عليها غير تائب عنها . [٥٩ ا]

وهذا باب من العقوبة بالنية السوء . كما أن الثواب بالنية الصالحة . وقد قال الله تعالى « الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم وساءت مصيراً »(١) فالظن توهم بالقلب ونية واعتقاد لذلك الظن وقال عز وجل : « وتظنون بالله الظنونا هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديداً »(٢) فأعاب ذلك الظن عليهم . فينبغى على هذا أن لا يعتقد المرء ولا يظن ولا ينوى إلا خيراً فيما يكون من أمر الله وأمر أوليائه وأمور المؤمنين من عباده ، وأن ينوى كل عمل يعمله من أعمال الخير لله ولوجهه ، فعليكم أيها المؤمنون بهذا الأدب الصالح فاستعملوه ، واخلصوا المودة لأئمتكم وإخوانكم من أوليائه وتحابوا وتواصلوا على ولايتهم ومودتهم واحذروا التدابر والتقاطع والتباغض لأوليائكم وإخوانكم والبخل فيما أوجب الله عليكم فى أموالكم ، وفقنا الله وإياكم للخير وأعاننا [ولكم](٣) عليه ، وفتح لنا فى عمله وهدانا إليه [ولكم](٣) » .

(٧)

ذكر ما ينبغى لمن يراه الأئمة صلوات الله عليهم من أتباعهم من التجمل وإظهار النعمة بين أيديهم

قد أوجب الله فى كتابه وعلى لسان رسوله صلع اظهار نعمته سيما فى المواضع التى يتقرب بشهودها اليه فقال ‖ جل ثناؤه : يابنى آدم خذوا زينتكم [٥٩ ب]

---

(١) الفتح ٤٨ / ٦ (٢) الأحزاب ٣٣ / ١٠–١١

(٣) هكذا فى الأصل ، والصواب وإياكم .

عند كل مسجد[١]. وقال رسول الله صلوات الله عليه : من أنعم الله عليه بنعمة فلير أثرها عليه . وجاء فى اللباس والتنظف والتعطر المشاهد التى تشهد لابتغاء ثواب الله فيها أخبار يطول ذكرها، ومشاهد الائمة صلوات الله عليهم ومجالسهم فينبغى لمن أراد شهودها أن ينظف شعره وأطرافه ويلبس أفضل ماعنده من لباسه ، ويتطيب بأحسن طيب يجده ، ويظهر نعمة الله عليه ونعمة أوليائه لديه وعنده سيما إن كانت منهم وعلى أيديهم فحقهم التجمل بها فى مجالسهم ومقاماتهم ومحافلهم ومسايراتهم ، وذلك من تعظيمهم واجلال أمورهم كما أوجب الله على من قام إلى الصلاة أن يتوضأ لها ويأخذ زينته لها ، لأنه يأتى بيته ويقوم بين يديه تعالى ؛ وكذلك ينبغى لمن أتى أولياء الله متقربا بهم اليه لأنه فى اطراح ذلك والتهاون به وحضوره بلا استعداد لهم ولاتأهب للقائهم تهاون بأمورهم ، ومن تهاون بشىء من أمور أوليائه فقد تعرض لمقت الله وعقوبته ، ولما || فى التنظف من السنة ولأن النظافة من الفطرة قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله : إن الله يحب النظافة ويبغض العبد القاذورة[٢] فينبغى استعمال ما أحبه الله تعالى وترك ما كرهه على كل الأحوال ، واكد ذلك وأوجبه وأحسنه وأفضله وأجمله ما استعمل لاجلال أولياء الله الذين يتقرب بهم اليه ، ويرجا شفاعتهم لديه .

[٦٠ ا]

(٨)

ذكر الآداب فى السلام على الأئمة صلوات الله عليهم والكلام بين أيديهم

تعظيم الأئمة صلوات الله عليهم من تعظيم الله عز وجل،إنه إن ما يراد من تعظيمهم طاعته ويبتغى فيه مرضاته لاشريك له ، وقد رأينا أوصياءهم وولاة

(١) الأعراف ٣١/٧

(٢) يقال رجل قذور وقاذور وقاذورة وذو قاذورة لا يخالط الناس لسوء خلقه والقاذورة الشيء الخلق .

عهودهم يتبلون الأرض فى سلامهم عليهم بين أيديهم إجلالا لهم وعلما
بقدرهم ومعرفة بما أوجب الله لهم ، فأتباعهم أحق من اقتدى فى ذلك بهم
ويتقرب الى الله بتعظيم أوليائه غير مستنكفين ولا مستكبرين عنه ، والرعاع
وأوباش الناس والعوام ينكرون ذلك ويرونه سجودا من دون الله لهم تعالى
عن قولهم ونزه أولياءه عن افترائهم عليهم ، وللسجود حقيقة هى غير تقبيل
الأرض عند كل من نظر هم شيء من العلم من مؤالف ‖ أو مخالف ، لايرون [٦٠ ب]
من قبل الأرض فى صلواته ساجدا حتى يأتي بحقيقة السجود على جبهته وأنفه
وينويه نية سجوده على أنه لو سجد ساجد لولى من أولياء الله إعظاما لله لم
يكن ذلك بمنكر ، فقد ذكر الله عن أبوى يوسف واخوته أنهم خروا له
سجدا فلم يعب ذلك من فعلهم ، وأعاب الذين يسجدون للشمس من دون الله
وقال : لا تسجدوا إلا لله . فانما نهى عز وجل عن السجود لأحد من دونه
يتخذه إلها معبودا ، فاما السجود تعظيما له فهم ينه عنه ، فالذى نهى عنه رسول
الله صلع من السجود اليه من اقتدى فى ذلك بما رآه من الحبشة الذين يسجدون
لملوكهم فاولئك انما سجدوا لهم من دون الله لانهم مجوس لا يعرفون الله
تعالى ، فنهى النبي صلع عن الاقتداء بهم . على أنا لم نقل إنا نسجد للأئمة ولا
أنهم أمروا صلوات الله عليهم بالسجود لهم ، وانما هو تقبيل الارض التى
يطأونها إعظاما لهم عن تقبيل أيديهم ، وفى هذا احتجاج يطول ذكره ، وفيما
ذكرناه منه كفاية ، فينبغى لمن واجه الإمام ع . م أن يبدأ بالسلام عليه ،
ثم يقبل الأرض بين يديه ، ويعتقد ذلك تعظيما له وتقربا إلى الله ع . ج
به ويقول فى السلام ‖ عليه قبل انحطاطه لتقبيل الأرض : « السلام عليك [٦١ ا]
ياأمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته » ويكون ذلك بحيث يراه الإمام وإن كان
المسلم بحيث يسمع رد الإمام عليه السلام لم ينحط إلى الأرض لتقبيلها إلا بعد
فراغ رد الإمام عليه السلام ، ثم إذا قبل الأرض قام فإن حضر لأمر يريد
الكلام فيه بما يجب وينبغي لمثله أن يتكلم به ، وكان ممن ينبغي لمثله الكلام بين

يدى الأئمة تكلم وإلا استأذن فى الكلام ، فإن أذن له الإمام تكلم وإن لم يأذن له انصرف ، فقد قال بعض الملوك لبعض من وفد عليه من الأشراف وقد قام بين يديه يريد الكلام : إن كنت ممن يتكلم بين يدى الملوك فتكلم . هذا واجب لملوك الدنيا وواجب الأئمة فوق ذلك كما بينا فى أول الكتاب ، وأحسن ما يفتتح به الكلام من أراد الكلام بين يدى الأئمة إذا كان وافدا عليهم ، أو مريدا لكلام يطول ، أن يفتتح بحمد الله والصلاة على رسوله وعلى الأئمة ؛ فقد جاء فى الإستفتاح بذلك أثر ، وإن لم يمكن ذلك أو لم يحسنه المتكلم فليدع بما تهيأ من الدعاء إلى الإمام ، ففى الدعاء ذكر الله ع . ج || وهو يجزى فى الإستفتاح من الحمد ، [٦١ ب] ثم يتكلم بما أراد من الكلام ، ويستعمل من لفظه ما تعطيه قريحته وتنطاع له له طباعه ، وينطلق له به لسانه ، غير متكلف كلاما روى فيه قبل ذلك وأحكمه وألفه وألف له وحفظه ، فإنه لا يأمن أن يحتاج إلى كلام لم يتقدم فيه ، ويختصر الكلام ما استطاع وأمكنه الاختصار فى بيان ويجتنب التطويل والاطناب والتشدق والإسهاب فإن ذلك إنما كان يحتمل من المطبوعين عليه فى قديم الزمان على استثقال لهم ، وقد جاء فى الحديث أن رسول الله صلع قال لبعض من أغرب عنده فى كلامه وتشدق فيه بين يديه : عليك بما يفهمه الخاص والعام من الكلام ، فإنى لو شئت قلت مالا تعلمون ، بيد أنى من قريش ، وربيت فى هوازن وربتنى سبع عواتك ولكن لعن الله الثرثارين المتفيهقين » . فخاض أهل اللغة فى تخريج غريب هذا الكلام الذى تكلم به رسول الله صلع فلم يتفقهوا عليه ، وكان صلى الله عليه من أفصح العرب ومن عنصر منابت اللسن ، ومن معدن الفصاحة ، وقد أعاب من جاء منها بما || [٦٢ ا] يغمض ويغرب ولا يكاد أن يفهمه إلا الخاص ، فأما من تعاطى فى كلامه غير ماجرت به عادته وأتى منه مايدق وألفه أو تدبر وألف له ثم حفظه خليق أن يفتضح كما افتضح رجل مرة عند بعض من أدركناه من الامراء وقد كان

قدم إليه بكتاب ومكرمة ممن استعمله بعد انقطاع ذلك عنه مدة طويلة ، [لسكون بعض من كان قام على ذلك الذى استعمله ، فحال فيما بين هذا العامل وبينه] (١) ثم تلطف هذا الرسول وتلطف له فى الوصول إليه ، فلما بلغه قدومه وأنه قرب منه تأهب له وأحضر مجلسه وجوه رجاله وأظهر زيه وعدته ، وأذن للرسول فدخل إليه وسلم ، ثم افتتح كلاما وجيزا بليغا قد كان ألف وعمل له فحفظه ، فلما فرغ منه تهيبه ذلك الامير ومن حضر مجلسه ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال كيف خلفت أمير المؤمنين أطال الله بقاءه ، والخاص والعام فيما قبله ؟ فلم يدر ما يقول غير ماجرت به عادته الخسيسة فقال له : بخير جعلك الله بخير . فما تمالك ذلك الامير ومن حوله عن الضحك ثم خاطبه فجاء بمثل هذا من الكلام ، واقتحمته العيون ‖ وازدراه من سمعه ممن حضر . فينبغى [٦٢ ب] لمن خاطب الأئمة صلوات الله عليهم أو تكلم بين أيديهم ألا يتكلف كلاما لم تجر به عادته ، وكذلك لا ينبغى للعاقل أن يستعمل مثل ذلك فى شىء من كلامه ومخاطباته ، فإن أقل مايخاف من ذلك ما ذكرناه من هذا الجاهل المتعاطى ، مع ماينبغى لمن خاطب الأئمة صلوات الله عليهم من تعظيمهم [وإجلالهم ومقاماتهم عن الإنبساط فيها والتعمق فيها] (٢) والتنطع والتشدق فى الكلام بها واستشعار الهيبة لهم ، والحصر فى الكلام عندهم أزين من ذلك وأشبه بمن تكلم لديهم ، ولا بأس بذلك من كان فى شعر أو خبر يحكى فيه كلام متقدم بلفظه إذا كان الإمام قد أذن للمنشد والمتكلم فى ذلك ، فإنه لا ينبغى أن يُحيله ولا يلحنه . وكذلك إن قرأ كتابا بين يديه أو كتب به إليه فإن الاغراب فى ذلك . والبلاغة مالم تخرج من المعروف إلى وحشى الكلام وغريب الألفاظ أحسن ، فإن كان فى الكتاب من الغريب مايستعمل كثيرا ويعرف فلا بأس به ، وقصد المعروف من كلام العرب غير المجهول فى لغتها ‖ المدخول [٦٣ ا]

(١) هكذا فى الأصل . والجملة ظاهرة الاضطراب .
(٢) هكذا فى الأصل .

من كلام العامة والعجم أجود ، وما كان متوسطا من ذلك فهو أحسن ، فقد سأل بعض الأئمة عليهم السلام رجلا كان قلده أمر البحر يوما وقد دخل إليه ، عن الريح ماهي ؟ فكان يذهب إلى البلاغة ويستعمل الفصاحة فقال : نكباء بين الشمال والدبور ، ثم دخل أخ له كان ينظر أيضا فى البحر ولم يكن يتكلف ما كان يتكلف أخوه ولا يشتغل بما كان يشتغل به من علم العربية ، فقال له الإمام عليه السلام : ما الريح الآن ؟ قال : جرج . فتبسم الإمام وقال : ما أبعد ما بينك وبين أخيك ولو توسطتما بين هذين الكلامين بكلام بين لكان حسنا .

فأما من تعاطى ذكر الغريب فى الكتب وكثرة استعماله فيها فغير حسن ، وقد كان بعض الأمراء استعمل ذا قرابة له على بعض أعماله ، وكان فى الرجل الذى استعمله حمق وجهل ورقاعة ، فاستكتب كاتبا يشبهه فى الرقاعة وحضر وقت يهدى فيه عمال ذلك الأمير إليه وأهدى هدية وقال لكاتبه : اكتب كتابا بليغا بذكر الهدية ونعتها . فجعل الكاتب يكتب فى ذكر ذلك بغريب الكلام ويسميه له ويشرحه ، فكان فيما كتب به || وبعثتُ إلى الأمير بجرة — [٦٣ ب] والجرة القلة — وفيها كماة — والكماة الترقاس . فلما قرأ ذلك الأمير كتابه استضحك منه وعزله ، وبعث عاملا مكانه وكتب إليه فى كتاب تسليمه « وصلت إلينا هديتك وكتابك وفيه من الغريب ما يحتاج إلى شرحه عنك شفاها ، وقد بعثنا بفلان مكانك عاملا إلى أن تشرح لنا هذا الكتاب ونفيد عنك مافيه إن شاء الله تعالى » وهذا وإن كان من التجاوز فى الرقاعة فإن فى ذكره مايزع من القليل منها . وكذلك أنشد بعض الشعراء بعض الملوك شعرا مدحه به وأعجبه فاستعاده إنشاده وكان غريبه كثيرا ، فظن ذلك الشاعر أن ذلك الملك لم يعرف ذلك الغريب فقال له : نشرح لك غريبه أيدك الله عز وجل ؟ فغضب عليه وحرمه وأخرجه من بين يديه . فمثل هذه الأشياء ينبغى انتقادها ، وأخذ من يخاطب الأئمة صلوات الله عليهم ويتكلم عندهم ويكاتبهم نفسه فيها بالآداب الصالحة لهم || والتقرب بتعظيمهم وتبجيلهم إلى الله عز وجل وإليهم [٦٤ ا]

بظهور التخلف واعتراض الحصر ، وتعرف الدهشة فيمن خاطبهم وقام بين أيديهم ، وتولى شيئا من أمورهم بحضرتهم أحمد من الإقدام والجزالة والبراعة فى ذلك عندهم ، ولقد كان بعض الاطباء يفصد بعض الأئمة عليهم السلام فكان يعتريه عند ذلك بعض الروعة إعظاما له ، وكأن ذلك أخاف الإمام ع . م من خطأ يده فأحضر آخر يوما وقد احتاج إلى الفصد ، وقد بلغه ما اعترى الآخر ، وأن ذلك كره منه ، فأخفى المبضع فى يده ، وأخذ يدالإمام ليختبر العرق قبل أن يربطه ولا وضعت الطشت بين يديه ، ففصده ، ولم يعلم ووضع أصبعه على العرق ، فدعا بالطشت ، وظن أنه أبدر فى ذلك وجاء بما يستحب منه فأعظم الإمام جرأته عليه وإقدامه ، فكان ذلك سبب سقوطه عنده ، ورد الاول وأثنى خيرا عليه وبسطه إلى أن زال عنه ما كان يعتريه لجلالته عنده .

فعلى مثل هذا من التعظيم والإجلال يجب معاملة أولياء الله والتصرف فى أمورهم ‖ ومخاطبتهم ، واستقصاء ما يجب فى ذلك يخرج عن حد هذا الكتاب . وفيما ذكرناه من ذلك ما يستدل به على غيره ، وينتفع به من وفق لفهمه إن شاء الله تعالى . [٦٤ ب]

(١١)

ذكر القيام بين يدى الأئمة صلوات الله عليهم والجلوس فى مجالسهم والحديث لديهم

القيام بين يدى الأئمة أولياء الله لمن عرف حقهم واعتقد إمامتهم واعتقد قيامه ذلك تعظيما لهم وإجلالا لمكانهم عبادة يتقرب بها إلى الله الذى أوجب تعظيمهم وإجلالهم ، كما كان القيام فى الصلاة لله تعالى تعظيما له . قال جل ثناؤه : « وقوموا لله قانتين » فينبغى لمن قام ذلك القيام أن يجعله لله

تعالى قربة يتقرب بها إليه وينوى ذلك ويعتقده بقلبه ويحل مقامهم فى صدره ، ويرى أن ذلك القيام فيه حظ عظيم لنفسه إذ كان مما يتقرب به إلى ربه ، ويرجو لديه ثوابه ، ولا يرى أن الجلوس لديهم أفضل من القيام بين أيديهم ، ولا أن ذلك أدنى إليهم ، ولا أن أحداً يستحقه عندهم ، فإذا عرف ذلك واعتقده وأضمره وقصده ثم أمروه بالجلوس إكراما له أو لأمر ما رأوه ‖ فليجلس معترفا فى ذلك بفضل نعمتهم عليه ، ويشكر على ذلك بما أمكنه ولا يتهاون ولا يستصغر بقدر النعمة والمنة فيه فإنه قدر جليل الدرجة وفضل عظيم المنزلة ، ثم لا يعتقد ويرى أن ذلك قد صار له رسما جاريا لايزول عنه ، ورتبة واجبة له ، وأنه ليس لأحد من عباد الله على أحد من أوليائه بحق ولا إن أنالوه معروفا صار له عليهم ضربة لازب ، وإنما هم فى الإنعام على عباد الله كما قال جل ثناؤه : «هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب »[1] فإذا أحبوا أنعموا وتطولوا ، وإذا أمسكوا لم ينبغ أن يستعجزوا ولا يبخلوا . وكذلك ينبغى أن تراض النفوس لهم على المحنة والرضا وعند المنع والعطاء ، وعند أحوال الشدة وفى حالات الرخاء ، فإن صنعوا صنيع معروف إلى واحد وجب شكرهم عليه ، ولم ينبغ أن يرى المصنوع ذلك به أنه جدير به ولا مستحق إياه ، ولا أن يستشرف نفسه بعد ذلك إليه ، فإن عادوا به عليه ضاعف الشكر واعترف بالتقصير وعدم الاستحقاق ، وإذا لم تكن لهم عودة إلى ذلك أدأب نفسه فى شكر ما تقدم لهم عنده واعترف فيه بعجزه ، ورأى أنه لو زيد من ذلك لكان أثقل لحمله ‖ وأحرى أن لا يقوم بأعباء ما يجب فيه عليه .

[٦٥ ا]

[٦٥ ب]

فإذا قام القائم بين يدى الإمام فليقم قائما معتدلا كقيامه فى الصلاة وليرم ببصره إلى الأرض إجلالا وهيبة له ، ناظرا إلى الإمام من تحت طرفه ، ويخفض جناحه ، نظر من يرى أن نظره إليه عبادة ، فقد جاء ذلك فى الحديث المأثور ، ولا يلتفت ببصره ولا يقلق فى وقوفه ولا يعبث بيديه ، ولكن

---

(١) سورة ص ٣٨/٣٨

يرسلها إرسالا ، أو يضع يمينه على شماله تحت صدره ، ويلزم الصمت والوقار إلى أن يسأله الإمام ، أو يضطر إلى الكلام ، أو يكون ممن يريد الإمام كلامه ، أو فى حال من يرفع الأمور إليه ممن جعل ذلك له فيتكلم فيه ، أو فيما ينبغى له الكلام فيه ما استمع الإمام منه ، فإن أعرض عنه أو قطع كلامه لأمر عرض له أو لغير أمر ، فلينصت المتكلم حتى يأذن له الإمام فى الكلام بلفظ أو بإيماء أو باستفهام ، فحينئذ يعود إلى ما كان فيه ، وإلا سكت على ما قطع الكلام عليه ، ولا يرجع من غير إذن له فيه ، وليكن كلامه إذا خاطب الإمام كلاما متخافتا بلفظه بقدر ما يسمعه الإمام ، ولا يرفع صوته عنده ، فقد نهى الله عز وجل عن رفع الأصوات فوق صوت نبيه || والجهر بها لديه الذى قرن [٦٦ ا] طاعة الأئمة بطاعته ، وجعل تعظيمهم من التعظيم له ، فإن خاطبه الإمام أصغى إلى لفظه ، وكذلك إن كان حديث الإمام لجماعة من بحضرته ، فينبغى لكل واحد منهم الإنصات والإصغاء إليه ، وكذلك إن خاطب أحدهم خطابا علانية غير سر فينبغى لمن سمع خطابه الإصغاء إليه ، وطلب الفائد منه ، فإن فى كل لفظة يلفظ بها الإمام حكمة لمن تدبرها ووفق لفهمها ومعرفتها ، ولا يرى من سمع كلام الإمام أن لفظة من ألفاظه تخرج مخرج هزل أو تقع موقع عبث أو تجرى لغير فائدة وإن ظهر ذلك للسامع منه ، فينبغى له أن لا ينزله بهذه المنازل ، وأن يعلم أن الله سبحانه قد برأهم صلوات الله عليهم من ذلك ، وأن فهمه هو الذى قصر عن إدراك معرفة الفائدة من لفظه . فأما رموزهم عليهم السلام وأمثالهم وإشاراتهم بمعاريض الكلام فبحور لا يخاض تيارها ، ولا يدرك قعرها ، ولا يفهمها عنهم إلا من شرح الله عز وجل || [٦٦ ب] صدره لمعرفتها وفهمها ، وهى أكثر من أن يحاط بها ؛ ولو أخذت فى ذكر بعض ما تأدى إلىّ منها لانقطع القول عما أردته ، وخرج الكتاب عن حد ما عليه بنيته ؛ فإن جرى الحديث عند الإمام بذكر من تقدمه من أوليائه أو أحد من ملوك الأرض غيره فينبغى لمن حضر ذلك أن لا يذكر من حزمهم

وحسن سيرهم وأخلاقهم وجزالتهم شيئا يرى هو أو غيره أن ذلك الإمام قصر فيه أو أخله ، فإن لكل زمان تدبيرا ، ولكل قوم سياسة ، والأئمة صلوات الله عليهم أعلم بمصالح الخلق ، وأبصر بواجب الحق ، ولكن يذكر ما كان يذكر من شرف آبائه وفضلهم ومناقبهم مما ينبغى أن يكون مدحا له ، ولا بأس بذكره ، وإن سأل عن ذلك واستخبر من حضره عنه أدى الخبر إليه بحسبه غير مُطرٍ لذلك ولا معظم له ولا منتقص ، ولكن يذكر ذلك على جواب ما سئل عنه ، فإن كان الأمر فى الوقت على خلافه قال : الإمام أعلم بمصالح العباد ، وتدبير الأمور فى كل عصر وزمان . أو نحو هذا من الكلام مما لا ترى فيه أنه توهم على إمامه تقصيرا عن ذلك أو تخلفا ‖ فيه ، [٦٧ ا] ولا يقطع القول فى ذلك بأنه ينبغى أن يكون ذلك فى وقته أو لا ينبغى ، ولا أن ما كان من ذلك كان يجب أو لا يجب ، ولكن حسبه إذا سأله الإمام عن ذلك الجواب أجاب عنه على ما ذكرناه ؛ وإن سأله غيره عن ذلك بحضرة الإمام أمسك عن الجواب فيه وسكت عنه ، إلا أن يأذن له الإمام فيه ، أو يسأله عنه ، فإن جرى فى المجلس من الكلام ما تبسم أو يفتر ضاحكا عنده الإمام فإنه لا ينبغى لأحد من جلسائه والقائمين بين يديه أن يضحكوا لذلك، ولكن ينبغى لهم أن يطرقوا بأبصارهم مبتسمين ، ويظهروا الوقار والسكينة ، ويعظموا مجلس الإمام من الضحك فيه ، فليس ذلك فيه إلا له عليه السلام . وإن خاطب أحدا منهم أو من غيرهم سرا ، فينبغى لمن قرب منه أن يباعد عنه ، ولجميعهم ألا يصغوا إليه ولا يلتفتوا نحوه ، حتى يقضى نجواه ، ولا ينبغى لهم أن يتناجوا فى مجلسه ، ولا أن يتحدثوا بينهم حديثا دونه ، وينبغى أن يكون جميع ما يجرى فى مجلسه منه ومن جلسائه سرا لديهم وأمانة عندهم ، فقد جاء فى الحديث : أن المجالس أمانات وإن لم تؤتمن ‖ من فيها . ولكن ينبغى أن [٦٧ ب] يذكر ذلك وينشر ما كان فيه من حسن أحدوثة الإمام يوصف بها ، أو مكرمة يجب نشرها ، ويذكر فخرها ، وإن كان ذلك من المباح دون المحظور ،

ومن الظاهر دون المستور ، وينبغى لمن شهد مجلس الإمام أن لا ينازع ولا يمارى فيه ، ولا ينتصف ممن جنى بالقول عليه ، بل ينبغى له أن يتغمد الإساءة ، ويعرض عن قائل إن قال له سوءا وعرّض بذلك له ، وإن تهيأ الجواب له وحضرته الحجة عليه ، إلا أن يأذن الإمام له فى الجواب ويطلق له المناظرة والخطاب ، وإن كان ذلك اقتصر على الحجة ولفظ بالصواب غير طائش فى المقال ولا متثبط فى الجواب والسؤال ولا قائل هجرا ولا معرض له ولا منتصف من قائل إن قال ذلك له ، ويتقى التمطى والتثاؤب وتنقيض الأصابع وحركة الأطراف والجوارح ، وإن عرض له سعال أو عطاس أخفى من ذلك ما استطاع كما يخفيه فى الصلاة ، فإن جاءته نخامة أخفاها كذلك جهده وسترها ، وتناول ذلك فى ثوبه من غير أن يظهر ذلك ولا يستدعيه ولا يفعله إلا بعد أن ‖ يغلب عليه ولا يقدر على حبسه . وليكن جلوس [٦٨ ا] من أمره الإمام بالجلوس فى مجلسه مستوفزا فيه غير متمكن فى الجلوس ولا متربع ، ولا بأس أن يقيم رجلا ويضجع أخرى ، ويحتبى بيديه يمسكهما على ركبتيه أو على أحديهما ، ولا يقلق فى جلوسه ولا يكثر الحركة فيه . وإنما نهينا عن هذا وأشباهه مما ذكرناه لما فى الانتهاء عنه من تعظيم مجلس الإمام وتوقيره ، لا على أنه حرام فعله ولكنه مكروه وينبغى فى الآداب ترك استعماله . ولا يرى من لم يؤذن له فى الجلوس أنه قصر به ، ولا يحسد من أذن له فيه ، بل يغتبط بثواب قيامه بين يدى إمامه ، ويعلم أن ذلك أعظم لثوابه عند ربه . وينبغى لمن تكلم عند الإمام بكلام أن لا يطرى فيه نفسه ، ولا يظهر الإعجاب بما فيه ولا ما كان منه ، وإن استحسن الإمام شيئا منه وأطراه فيه أو أثنى بخير عليه فينبغى أن يتعاظم ذلك ويكبره ويكثر الشكر عليه بما قدر على ذلك وأمكنه ويتواضع لذلك ويقلل نفسه ويضع ما رفعه الإمام منه تواضعا لله وله ويشعر ذلك نفسه ، ولا يزهيه ولا يبطره إطراء الإمام له ، ويرى ‖ ويعتقد أن ذلك القول فيه من فضله ونعمه عليه ، [٦٨ ب]

ولا على أنه استحق ذلك منه ، فقد ذكرنا فى غير موضع من هذا الكتاب أنه ليس لأحد على أولياء الله حق ولا إيجاب ، ويتقى الغيبة عنده وسوء القول فى غيره وذكر معايب الناس له لينقصهم بها عنده ، فإن للناس معايب وأولياء الله أحق من سترها ، وزلات وذنوباً هم أولى من اغتفرها وتغمدها ، ولولا ستر أولياء الله لبدت عوارات عباده ، وقد جاء عن رسول الله صلع أنه قال : « لو تكاشفتم ما تدافنتم » يعنى صلع أنه لو كشف لبعضكم عن عيوب بعض ما استحسن من كُشف له عن عيب صاحبه أن يحضر جنازته ، ولقوله صلع وعلى آله : إن الله على كل عبد مؤمن سبعين ستراً فإذا أذنب ذنباً انتهك عنه ستر منها فإذا تاب منه واستغفر منه أعاد الله عز وجل عليه ذلك الستر ومعه سبعون ستراً ، وإن أبى إلا قدما فى المعاصى تهتكت أستاره ، وأمر الله عز وجل الملائكة فسترته بأجنحتها فإن استغفر الله وتاب من ذنوبه أعاد الله عليه أستاره ومع كل ستر منها سبعين ستراً ، وإن أبى إلا قدما فى المعاصى شكت الملائكة إلى الله عز وجل ما تلقى منه ، فيأمر الله عز [٦٩ ا] وجل الملائكة برفع أجنحتها عنه ، فلو عمل ذنباً فى قعر البحر أو تخوم || الأرض لأبدأه الله عليه ، فلما كان الله تعالى لا يعجل على المذنبين من عباده فيكشف عيوبهم إلى خلقه ويحب سترها عليهم كان كذلك أولياء الله يحبون ما أحبه ولذلك قال على صلوات الله عليه: لو رأيت مؤمناً على فاحشة لسترته بثوبى . وقال على بن الحسين عليه السلام : لم يعش مع الناس من عرفهم . وقال جعفر بن محمد صلى الله عليه وسلم : أجرأ الناس على ذكر معائب الناس هم أهل العيوب .

وكذلك لا ينبغى له أن يبدأ بمدح أحد لم يكن من الإمام قول جميل فيه فإنه لا يدرى لعل الممدوح عنده على خلاف ذلك عند الإمام ، ولكن إن ذكره الإمام بخير وكان عنده علم منه بذلك وحسن ذكر ذكره بالخير الذى يعلمه منه ، وإن ذكر الإمام أحداً من غير أعدائه بسوء أمسك من سمع ذلك

من القول فيه ، وعاذ بالله ورغب إليه من سخطه وسخط أوليائه ، فإن الأئمة صلوات الله عليهم رحماء بعباد الله [وقد لعل][١] من يذكره أحدهم بالسوء يتعطف عليه بعد ذلك بالعفو والرحمة ، [وقد لعل][١] من يعين عليه يقع مثل ذلك له به فما يأمن على نفسه من السقطة من له || فضل وعقل [٦٩ ب] وبصيرة وإنما معول من يميز ويعقل على فضل أولياء الله وتغمدهم وسترهم ورحمتهم . فأما سوء القول فى العدو باللسان واعتقاد ذلك بالقلب فذلك من الدين ولا تصح ولاية أولياء الله إلا بعداوة أعدائهم ، وكما لا تنفع الولاية إلا بالاعتقاد فكذلك لا تكون العداوة إلا كذلك ، ولم يقل رسول الله صلع فى على عليه السلام « اللهم وال من والاه » فقط ، ولكنه قال « اللهم وال من والاه وعاد من عاداه » . وقال الله عز وجل « هذا من شيعته وهذا من عدوه » . وإن استفهم الإمام أحداً عن حال من يستفهم عن حاله ، وسأله عن علم ما يعلمه منه ، أو أمره بتقديم من يختاره فذكر من يعلم أو يتأدى إليه فيه قول لم يسعه إلا ذكره للإمام لأن هذا كالكشف والامتحان ولكن ينبغى للقائل فى ذلك قول الحق وتحرى الصدق ، فيمن كان القول وعمن كان السؤال من قريب أو بعيد أو ولى أو عدو . وإن ذكر الإمام أحداً بخير وأثنى عليه بجميل شكر ذلك من يسمعه ويسأل الله أن يهب له ذلك منه فإن فضل || أولياء الله على عباده ورحمته لخلقه ينبغى شكرها على [١٧٠] كل من بلغته لأنها رحمة من الله لخلقه وكرامة وفضيلة لأوليائه ، ينبغى شكرها ونشرها عنهم إذ كان ذلك — كما قدمنا فى غير موضع — لا يدرك منهم باستحقاق ولا ينال عنهم بواجب ، وإنما هو تفضلهم ، فينبغى نشره وذكره وشكره لهم ، وإن رفع الإمام من قدر أحد وقربه وخصه وأدناه وألطفه ، لم ينبغ لمن يرى ذلك أو تأدى إليه أن يحسده عليه ، وقد ذكرنا ذم الحسد والنهى عنه فى موضعه . فإن كانت عادة الإمام تقدمت بدليل منه على وقت

---

(١) هكذا فى الأصل وسيستعمل هذا التعبير بعد ذلك راجع ص ١٢٦ . س ١٧

القيام فرأى ذلك الدليل قام من بحضرته فقبلوا الأرض مسلمين وانصرفوا من غير إذن ، وإن لم يكن ذلك نظروا إليه فإن سكت عن الحديث ، أو رأوا منه ما يدل على إرادة القيام نهضوا ، فإن أمرهم بالجلوس جلسوا ، يفعلون ذلك حتى يمسك الإمام عنهم فينصرفوا ، وينبغى لهم التخفيف وترك التثقيل على كل حال ، فإن أحب الإمام مقامهم فهو يأمرهم بذلك ومن أحب مقامه منهم ، فإذا انصرفوا من بين يديه فلا يولوه ظهورهم ، ولكن يمشون القهقرى أو || العرضية لا يستدبرون حتى يغيبوا عنه . [٧٠ ب]

(١٠)

ذكر الأدب فى مساير الأئمة صلوات الله عليهم وما ينبغى أن يفعل من سايرهم

ينبغى لمن ساير الأئمة فى سفر أو حضر ، أن يلزم الموضع الذى فيه رتبته ، فإن كان فيمن رتب أن يسير بين يدى الإمام سار كذلك ولزم ما أمر به ، وجعل همته وشغله التحفظ لمكان الامام من غير أن يكثر التلفت إليه ولا يثنى عطفه نحوه ، ولكنه يتفقد ذلك باختلاس من نظره ، ومشى عرضية فى خفية يرى منها الامام خلفه فيعرف أين هو منه ، ومكانه من القدر الذى رتب له أن يكون فيما بينه وبينه ، فإن بعد عن حد ذلك وقف حتى ينتهى الإمام إلى الموضع الذى يرى أن ما بينه وبينه هو القدر الذى رتب له وإن رأى الإمام قد قرب منه [حرك] [1] حتى يكون الحد الذى ينبغى له أن يكون فيه ، وإن كان على قصد اعتدال فوقف الإمام وقف حتى إذا سار سار بسيره ، لا يشغله عن محافظة ذلك شاغل ، ولا يتهاون به ولا يصرف همته عنه ، ولا يدع اشتغاله بشىء غيره من حديث ولا نظر إلى ما يمر به ، ولا بغير

(١) هكذا فى الأصل ولعل الصوب تحرك .

ذلك على الوجوه والاسباب كلها ،وإن كان ممن رسمه المشى بين يديه على القرب منه || فينبغى له كذلك أن يلزم رتبته ويتحفظ على ما قدمنا ذكره ويلزم الوقار والسكينة وترك الحديث والكلام إلا فيما سأله عنه الامام أو أمره به ، ويكون أهل هذه الطبقة من التحفظ والاصغاء إلى الامام والنظر إليه بحال من ذكرناه أنه يقوم بين يديه ، فإن دعا أحدا منهم سارع إليه ، وأقبل بوجهه عليه مطرقا ببصره إلى الارض حتى يسمع ما يأمره وينفذه بحسبه ثم يعود إلى مكانه ، ومن خصه الامام بمسايراته راكبا فى موكبه والدنو من ركابه فينبغى له أن يعرف قدر هذه الرتبة ومكان هذه المنزلة ولا يرى نفسه أهلا لنظره إليه فضلا عن الدنو منه ومسايراته ، ثم يكون سيره خلف الإمام فإن استدعاه دنا قليلا يجاذبه[1] غير مساويه فى السير ولا مقارب له ومال بوجهه وشقه إلى الإمام ، وأقبل بفهمه وسمعه عليه وأطرق ببصره إعظاما له ، وفعل فى مخاطبته ما قدمنا ذكره فى المخاطبة فى المجلس ولا يسايره من حيث تأخذ الريح عليه فتثير دابته الغبار إليه وتسقط الريح لعابها عليه ، ولكن يجعل الإمام مما يلى الريح ويكون هو أسفل من ذلك ولا يدخل تحت || ظله ولا يتقدمه ولا يساويه ويكون دونه شيئاً ، ويلزم فى حديثه واستماعه ما ذكرناه فى مثل ذلك فى المجلس ثم لا يرى أن هذه الرتبة تكون له ما عاش ، ولكن ينظر فإن كان الإمام قد تقدم إليه وأمره أن يسايره كلما ركب من دون أن يدعى إلى ذلك امتثل أمره ، غير جاعل ذلك لنفسه حقا واجباً ولا أمرا لازما ، بل يعتقد أن ذلك من فضل الإمام عليه ، فإن أخره عن ذلك لم ينكر ما تقدم من فضله ، ولم ير تأخيره نقصا عليه ولا سوء من الامام أتاه اليه بل يذكر فضله أولا وآخراً ويعلم أن حال الامام فى ذلك حال يقرب منه من أراده لارادته ويؤخر من شاء كرأيه ومشيئته لعلة فى ذلك أو لغير علة ليس عليه فى ذلك تعقيب لمن فعل ذلك فى انتقاد مذهب ، وإن كان ممن دعاه الإمام إلى ذلك مرة أو مراراً أو مدة طويلة أو لم يأمره بمسايرته متى

[٧١ ا]

[٧١ ب]

---

(١) هكذا فى الأصل ولعلها يحاذيه

ركب ، لم يأته إلا أن يدعى به فإذا دعى لذلك أتى الى ما دعى اليه ، وان دعى لغيره أتى لما دعى له بحسب ما يجب أن يأتى اليه ، ثم انصرف غير جاعل فى نفسه لمسايرة الإمام همة يتعلق بها قلبه ، وأن يرى انه قصر به رتبة كانت جعلت له فقد ذكرت فى غير موضع من هذا الكتاب أن فضل أولياء الله لمن أفضلوا عليه وعطاءهم ممن أعطوه ليس عليهم فيه واجب ولا هو لمن أولوه ‖ ضربة لازب ، انما هو فضلهم يؤتونه من أحبوه ويحبسونه اذا أرادوا ، ومن كانت رتبته المشى وراء الإمام فى موكب العامة مشى فيه على رتبته غير مشتغل بما ينسيه نفسه ويخرجه عن حده ويلزم كل واحد من أهل هذا الموكب مكانه ويسير فيه بين أصحابه ، فإن كانت الريح من ورائهم تثير عجاج سنابك خيلهم الى نحو الامام ، عدلوا عنه أو تباعدوا منه الى حيث لا يناله ذلك منهم ويلزموا السكينة وما فيه من توقير الامام ، وليحذروا اللجب والخصوم ورفع الأصوات ويفعل كذلك كل من ساير الإمام ممن معه وممن بين يديه وممن خلفه .

[٧٢ ا]

وأفضل ذلك أن يكون معهم السلاح والعدة ، ويجعلوا سيرهم مع إمامهم رباطاً عليه وحرساً له ومحافظة عليه ، ويعتقدوا ذلك ويضمروه وينووه ليؤجروا فيه . وكذلك ينوون ويعتقدون نظرهم إليه عبادة لله الذى جعل ذلك لمن نواه وأضمره كذلك . وإن مشى الإمام فينبغى لكل من سايره أن يمشى خلفه ، وإن دعاه الأمر دنا منه دنوا يسيراً غير ملاصق له ، وأقبل عليه بوجهه وشقه ومشى على جانب معه إلى أن يقضى الإمام ما أراده ، ثم ينصرف من دعاه فيمشى ‖ خلفه وإذا نزل الإمام عن دابته لحاجة ، فينبغى لمن كان معه أن ينزلوا عن دوابهم ، ولا يقيموا ركباناً وهو قائم على الأرض ، فإذا ركب ركبوا ، وإن نزل فصلى فصلوا بصلاته إن أمهم ، وإن أمر أن يصلى بهم أحدهم صلى بهم أو وحداناً صلوا كذلك بحسب ما يأمرهم ، فإن نزل لحاجة تنحوا عنه حتى يقضى حاجته ، فإن تناول ماء يشربه أو شيئاً ما كان

[٧٢ ب]

مما تناوله مالوا عنه وصرفوا أبصارهم حتى ينتهى الى مراده من ذلك وحاجته وما قد [....] [١] راكبه وسايره فى مركبه على أن لا يفعل ذلك فليصبر عنه ، فإن لم يكن له من ذلك بد فعل ما لا بد له منه فى خفية من الإمام ولا يفعلونه معاً ، ولـكن واحد بعد واحد ، فإذا انصرفوا ودنا من قصره أو سرادقه إن كان سلموا عليه ، ووقفوا حتى يدخل ثم انصرف كل واحد منهم الى موضعه .

(١١)

ذكر حضور طعام الأئمة صلوات الله عليهم

قال الله جل ذكره « يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه ، ولـكن إذا دعيتم فادخلوا ، فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث || إن ذلكم كان يؤذى النبي فيستحى منكم والله لايستحى من الحق » [٢] فهذا ما فرض الله على المؤمنين لنبيهم صلى الله عليه الذى قرن طاعة الأئمة بطاعته وكذلك ينبغى لهم لزوم هذا الأدب الصالح لأئمتهم فلا يأتى طعامهم ويدخل اليهم فى بيوتهم إلا من دعى إلى أكله إلا أن يكون ذلك من الطعام الذى أباحوه لساير الناس أو لمثل من يريد أكله ، فإذا كان ذلك فله أكله بالاباحة ، وإن لم يدع باسمه إليه ويباح له بعينه .

[٧٣ ا]

وينبغى لكل من أكل طعام الأئمة أن يعلم قدره ويعظمه حق تعظيمه ، فقد جاء عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال : إذا وضعت موائد آل محمد حفت بها الملائكة يستغفرون الله لهم ولمن أكل من طعامهم . وكان بعض الأئمة صلوات الله عليهم إذا قرب طعامه إلى من يحضره إليه يقول لهم :

(١) كلمة لاتقرأ لعلها « نهى »   (٢) سورة الاحزاب ٤٣ / ٥٣

كلوا وتبركوا به . وينبغى لمن أراد حضور طعامهم أن ينظف أطرافه وشعره
[٧٣ ب] وبشره وثيابه وجوارحه وأظفاره ، ولا يرى عليه ما || يقذر من أجله، ثم إذا
جلس إلى الطعام ينتظره فليجلس بسكينة ووقار ، فإذا أتى بالغسل غسل يده
غسلا نظيفا موجزا وينشفها بالمنديل ، فإذا قرب الطعام جلس له مستوفزا
غير متربع ولا متكىء ، ولـكن يقيم رجله اليمنى ويثنى الأخرى تحته ، وقد جاء
عن رسول الله صلى الله عليه أنه كان كذلك يأكل ويقول : آكل كما يأكل
العبد ، ونهى أن يأكل أحد متكيا ، وخالفته بنو أمية فهم إلى اليوم وأتباعهم
متكئون إذا أكلوا . فإذا مد يده إلى الطعام سمى الله تعالى ، وإذا فرغ من لون
حمد الله تعالى ، وإذا تناول لونا آخر سمى الله تعالى عند ما يبتدىء ، فقد روى
عن على (ص) أنه قال : من سمى الله تعالى على طعامه لم يضره . فقال له
ابن الـكوافانى : أكلت البارحة طعاماً سميت عليه وقد ضرنى قال : لعلك يالـكع
أكلت ألواناً سميت على بعضها دون البعض. فقال : أما ذلك فقد كان. فقال : من
هاهنا أوتيت . وإذا تناول الطعام فليتناوله بالخمس الأصابع فإنها سنة رسول الله
صلع وسنة الائمة صلوات الله عليهم خلاف سنة الجبارين الذين يتناولون
بثلاث أصابع وبالسكاكين وكلاليب وتلقمه الجبارون أنفة منهم عن تناوله
بأيديهم ، والطعام رزق الله تعالى وتعظيمه من تعظيم الله تعالى ، فينبغى أن
[٧٤ ا] لا يأنف الآكل || عنه ولا يرفع نفسه فيه ، ويستعمل من ذلك سنة نبيه
صلع وسنة الأئمة من أهل بيته صلوات الله عليهم أجمعين ، ويتناول الأكل
مما يليه من الطعام ، ولا يجيل يده إلى كل ناحية فى المائدة ولا فى الصحفة ،
وكان كذلك رسول الله صلع لا يفعل الا فى التمر ، فإنه كان يجيل يده فى الطبق
ويختار مايتناول منه ، فيجب اتباع سنته ، ولا يتناول الأكل من ذروة الثريد ،
ولا من وسط الصحفة ، فقد نهى عن ذلك ، ولـكن يتناول مما بين يديه منها ،
ولا يتجاوز فى الأكل كما يتجاوز أهل النهمة ، ولا يقصر فيه تقصير أهل
الأنفة والبذخ ، ولـكن يأكل أكل الحاجة إلى الطعام ، ويجيد أكله . ولا

يقصر فيه ، فقد رأى بعض الأئمة (صلع) رجلا يأكل من طعامه أكل تقصير فقال : من مودة الرجل لأخيه جودة أكله لطعامه . وإنما نهينا عن الاسراف فى الأكل للشره والرغبة كأكل المنهومين المستأكلين ، فأما من أكل كعادته ومنتهى حاجته فذلك حسن جميل ، فأما الأخذ من الطعام وحمله فذلك ما لا أحسب أن أحدا بجهل عاره وإثمه . فينبغى لمن أكل من طعام أولياء الله أن لا يفعله ‖ أكان مباحاً أو مدعوا إليه ، وينبغى لزوم [٧٤ ا] الصمت عند الطعام وترك الكلام الا فيما لا بد منه ، وان يحذر الأكل ويتقى سيلان أنفه ودموعه وريقه ، فإن غلب شيء من ذلك عليه أو بدر منه تناوله تناولا خفيفا بالمنديل دون يده ، ويستر ذلك ماقدر عليه ، وإن اعترضته سعالة أمسكها ما استطاع فإن لم يقدر على حبسها مال بوجهه عن المائدة ، وصوب رأسه وستر فاه بالمنديل حتى يقضى سعاله ، وكذلك يفعل فى العطاس وما اعتراه من أثر وهو يأكل ، ولا ينظر فى وجوه الآكلين ولا إلى ما يتناولون ، ولا ينبغى أن يناول بعضهم بعضاً من الطعام ، ولا أن يحث بعضهم بعضا على الأكل ، فإن ذلك من فعل بعض العوام ، ويتقى تلطيخ يديه بالطعام ، ولا بأس أن يلعق أصابعه عند فراغه من الطعام ، فقد كان رسول الله صلع يفعل ذلك تعظيما للطعام عن مسحه فى المنديل وإذا رأى أنه انتهى إلى حاجته من الطعام ومن معه يأكلون فلا يرفع يده دونهم ، ويتناول الشيء بعد الشيء حتى يرفعوا أيديهم أو أكثرهم فحينئذ يرفع يده ، وينبغى أن لا يشرب الماء قبل كفايته من الطعام ثم يعود إليه ، ‖ ولكن إذا رفع رأسه ولعق يده [٧٥ ا] فليشرب ، فإن اضطر إلى ذلك قبل فراغه فليمسح يده ثم ليشرب إن شاء ويعود إلى الطعام إن لم يكن قد اكتفى منه وكان أصحابه يأكلون ، وإذا شرب فليسم الله حين يبدأ ويحمده حين يفرغ ، وكذلك يفعل كلما تنفس فى الشرب ، وإذا عاد إلى الأكل سمى الله ، وإذا فرغ من الأكل حمد الله ودعا للإمام بخير ، وتناول بقية مالصق بيده من الطعام ثم مسحها بالمنديل وغسل

يده إن أتى بالغسل فإن كان أكله بحضرة الإمام لم يغسل يده بحيث يراه ، ويتنحى ناحية فيغسلها ، لأن ذلك من التعظيم له إلا أن يأمره بذلك فليمتثل أمره ، فإن بقى فى فيه طعام فلا يلفظه وليبتلع منه ما كان فيه ، وما أدار لسانه عليه ، وما اكرهه بالخلال لفظه ولم يبتلعه ، فإذا قضى ذلك قام كما أمر الله من أكل طعام نبيه إلا أن يكون للإمام أمر فى الجلوس فليمتثل أمره صلوات الله عليه .

(١٢)

ذكر آداب أهل بيوتات الأئمة وما ينبغى أن يأخذوا به أنفسهم لهم

[٧٥ ب]

قال الله جل ذكره لمحمد نبيه صلع « وأنذر عشيرتك الأقربين » || كما قال الله تعالى له « وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب » فالأقارب والأباعد من الأئمة ص.ع. بوعد الله عز وجل منذرون ، وبفرائضه يتعبدون ، وبالطاعة لأوليائه مأمورون ، وفى جملة من أمرهم الله بطاعته وطاعة رسوله وطاعة أولى الأمر داخلون ، ولذلك قال رسول الله صلع لبنى عبد المطلب « يا بنى عبد المطلب لا يأتى الناس بأعمالهم وتأتون بأنسابكم ، فإنى لا أغنى عنكم من الله شيئا إلا بعمل صالح تعملونه وإنما يقربكم من الله أعمالكم ويبعدكم عنه ما اقترفتم » . وسأل رجل جعفر بن محمد صلوات الله عليه عن قول رسول الله صلع « من مات لا يعرف إمام دهره مات ميتة جاهلية » فقال عليه السلام قد قال ذلك رسول الله صلع . قال السائل : فكذلك من مات منكم أهل البيت لا يعرف إمام دهره ؟ قال: نعم ، من مات منا أهل البيت لا يعرف إمام دهره مات ميتة جاهلية ، هم والله والناس فى هذا بمنزلة واحدة . وأهل بيوتات الأئمة أحق الناس وأولاهم بمعرفتهم والتسليم لهم وامتثال أمر الله فيهم ، والحجة عليهم فى انكارهم آكد منها على غيرهم ، وإن كانت الحجة فى ذلك لازمة للقريب والبعيد ، فإن من قرب من الحق كان الحق ألزم له فينبغى لأهل

بيوتات ‖ الأئمة ، ومن قرب منهم أن يكونوا أعلم الناس بواجبهم ، وأقومهم بحقهم وأطوعهم لهم ، ولا تذهب بهم الأنفة عنهم والحسد لهم والكبر عن التذلل اليهم والوقوع دونهم إلى الكفر بالله ربهم والانسلاخ والخروج من دينهم ، فإن الله هو اختارهم منهم واصطفاهم عليهم وأمرهم كما أمر جميع العباد بطاعتهم، فإياه يشاقون بمشاقتهم ، وعليه يتكبرون إن تكبروا عليهم ، وعنه يعدلون إن عدلوا عنهم ، وهو عز وجل مذل من شاقه ومهين من تكبر عليه ، ومهلك من عدل عنه ، ولم يهلك من أهل بيوتات الأئمة إلا بظنهم أن لهم فضلا فيما افترض الله على العباد دونهم ، كما قال طلحة والزبير لعلى صلوات الله عليه لما أعطيا مثل ما أعطى الناس : فأين قرابتنا وسابقتنا يا أمير المؤمنين . قال : قرابتكما وسابقتكما أسبق وأقرب أم قرابتى وسابقتى ! قالا : بل قرابتك وسابقتك . قال : أفكان رسول الله صلع يقسم بالسوية أو يفضل أحدا على أحد ! قالا : بل كان يقسم بالسوية ولكن الذين بعده فضلونا . قال: أفهم أعلم أم رسول الله ؟ قالا : بل رسول الله صلع . . فى كلام طويل احتج فيه عليهما فاتفقا بذلك وما ‖ كان هلا كهما إلا بسبب ما ظناه من أن لهما فضلا على غيرهما ، فنكثا بيعته وخرجا عليه فكان من أمرهما ما يطول .

[٧٦ أ] [٧٦ ب]

وسأل رجل من ولد الحسن بعض أولياء الأئمة ودعاتهم ممن كان قد استحكم أمره وظهر سلطان أولياء الله على يديه أن يعطيه مما أفاء الله عليه ، فلم يفعل ، فقال له : تمنعنى على قرابتى ممن تدعو إليه وتعطى هؤلاء. فقال له : أخبرنى من كان أولى بالناس بعد رسول الله صلع ! قال : على بن أبى طالب . قال : ثم من كان أحق الناس بعد على؟ قال : الحسن . وعدد كذلك جماعة من الأئمة عليهم السلام . ثم قال له : فهل كان أحد من هؤلاء الذين كانت لهم الإمامة فى حياة من قبله قد سقط عنه بذلك فرض الإمام الذى كان قبله ووجب على غيره ، أو كان له حق عليه ليس هو لمن سواه فى مال الله فى يديه قال : لا . قال : فإذا كان هذا لا يكون للأئمة فى ذات أنفسهم ، فكيف يكون

لمن يتوسل وتقرب بقرابتهم ، فإن كانت يدك مع أيدى هؤلاء الذين أعطيتهم أعطيتك بواجب ذلك ، وإلا فأنت وهم وسائر الناس بمنزلة واحدة فى ذلك .
ولو كانت القرابة || توجب حقاً فى ذلك لأوجبته لأبناء الانبياء وأبنائهم [١٧٧ أ] ونسائهم ، فقد قال الله عز وجل وما كان استغفار ابراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو الله تبرأ منه » . وقال لنوح فى ابنه « انه ليس من أهلك انه عمل غير صالح »قال « وضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين ، فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقيل ادخلا النار مع الداخلين » وقال : « يا نساء النبى من يأتى منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين » . وانما تنفع القرابة مع الأعمال الصالحة كما قال تع : « والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان الحقنا بهم ذريتهم » . وقال تعالى لنساء النبى « ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها أجرها مرتين ، واعتدنا لها رزقا كريما » فينبغى لأهل بيوتات الأئمة أن يعرفوا هذا ويتدبروه من كتاب الله وقول رسوله وسنةالله فى الذين خلوا من قبلهم ، فإن ابن آدم انما أهلكه حسده لأخيه ، إذ قبل الله قربانه دونه وقدمه عليه ، وقد ذكرنا الحسد وما يدعو إليه والنهى عنه وما || جاء فيه فليحذروه على انفسهم ، ويقدموا من قدمه الله منهم واصطفاه [٧٧ ب] عليهم من أئمتهم ، ويقوموا بشرائطهم وما أوجب الله عليهم لهم ، ويطيعوهم كما أمر الله حق طاعتهم ، ولايروا أن لهم فى ذلك فضلا على أحد من الناس غيرهم ، ولا واجبا يسقط عنهم دونهم ، بل الحق فى ذلك عليهم آكد ، والغرض أوجب . كما أن فضل العالم على الناس واجب من وجه علمه وفضله وواجبه على أهله وولده من وجهين ، من وجه علمه ووجه أبوته وقرابته ، وكذلك فضل الإمام وحقه على أهل بيته يجب لإمامته ويجب لرحمه وقرابته ، وتصل قرابتهم به طاعتهم إياه ، وتقطعها معصيتهم له ، كما برأ الله ابراهيم من أبيه ، ونفى ابن نوح لمعصية منه ، فمن لم يعرف الإمام من أهل بيته ، ويقر

بإمامته ، فهو جاهل كما قال رسول الله صلع ، ومقطوع النسب كما قطع الله نسب ابن نوح منه ، وقد زال فضل القرابة عنه ولحق اسم الجاهلية به ، ووجب أن يكون من أخس خلق الله عند من عرفه وأهونهم عليه وأقلهم قدرا عنده .

(١٣)

ذكر الآداب فى طلب الحوائج من الأئمة

قد جعل الله عز وجل عند أوليائه لمن عرفهم وسلم لأمرهم ودان بطاعتهم وامامتهم خير ‖ الدنيا والآخرة ، فمن أراد الآخرة محضا عندهم وجدها ، ومن أحب الدنيا لديهم أصابها ، ومن طلبهما معا وجدهما . فينبغى لمن أراد سؤالهم لنفسه أو لغيره أمراً من أمور دنياه أو من أمور آخرته أن يتلطف فى السؤال ، ويتحرى به مواطن الاقبال ، ويجعل لكل وجه من سؤاله حدا فيقدم فيه لنفسه روية وأدبا فان سأل أمر الدين ألحف واجتهد ، وإن سأل فى أمر الدنيا خفف واقتصد ، ولا يتعدى فى كلا الأمرين حده ولا يتجاوز قدره ، فان سأل من أمر الدين لم يسأل مالا ينبغى له ، وإن سأل من أمر الدنيا لم يسأل ماجاوز حده فقد جاء عن جعفر بن محمد صلوات الله عليه انه سمع رجلا يقول : اللهم اجعلنى من الذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما فقال : لقد سألت ربك شططا ، سألته أن يجعلك إماما مفترض الطاعة وهذا مالا يكون لك . وجاء عن على صلى الله عليه أن عقيلا أخاه سأله أن يعطيه مالا لا يستطيعه ‖ ولا يمكنه فقال له : ياعقيل إذا كان من الليل فأتنى لنخرج فننزل على فلان اليهودى وكان ذا مال فنقتله ونأخذ ماله فنعطيكه ففيه فوق ماسألت . فقال سبحان الله تعالى يا أمير المؤمنين وتفعل هذا ؟ فقال : لا والله ما كنت بالذى أفعله وان الذى لله من ماله فى يدى لأعظم حرمة منه ولكن إن صبرت حتى يخرج عطائى قاسمتك إياه فتركه ولحق معاوية ، فكانت

[٧٨ ا]

[٧٨ ب]

له مع معاويه أخبار يطول ذكرها ، بكت فيها معاويه وأخزاه وفضحه ، وذلك أنه رام منه نقص علىّ (ص) فلم يعطه الدنية من نفسه فى ذلك فكان منه إليه ماخلد ذكره عنه من القول فيه . وكذلك ينبغى لمن سأل أولياء الله أمرا من أمور الدنيا أوالدين أن لا يسألهم من ذلك شططا وإن سأل أمرا من أمور الدين لم يسأل لطلب رياسة ولا لرياء[1] ولا لينال به أمرا من أمور الدنيا فقد جاء عن رسول الله (صلعم) أنه قال : من طلب أمراً من أمور الآخرة ليبتغى به أمراً من أمور الدنيا يجد ريح الجنة وأن ريحها ليوجد من مسيرة مائة خريف . وأن طلب أمرا من أمور الدنيا لم يطلبه شرها ولا إلحافا ولا على ظهر || غنى الائمة ، فقد بلغنى عن بعض أولياء الله ممن مكن له وظهر سلطان [٧٩ ا] أولياء الله على يديه انه قال لقوم من المؤمنين وقد ذكروا السؤال فقال : حرام على من سألنى منكم دينارا وعنده دينار ، أو دابة وعنده دابة ، أو شيئا ما كان وعنده مثله ، فيكون قد سأل ماعنده العوض منه ، وسأل عن ظهر غنى ، وقد جاء عن رسول الله صلعم وعلى آله أنه قال: لاتحل المسألة عن ظهر غنى ، ومن سأل وعنده مايغنيه جاء ذلك خدوشا وكدوحا فى وجهه يوم القيامة . ومما ينبغى لمن سأل الائمة أن يجعل سؤاله تعريضا ولا يجعله إلحافا وتصريحا ، فإن حسن سؤاله عندهم منحوه ماسأله متطولين ، وإن لم يحسن لديهم أمسكوا عنه غير متكلفين لأنه [قد لعل][2] السائل يسأل مايجهله ويعظم الرد على أولياء الله لما جبلهم الله عليه من الكرم فان أعطوه ذلك أعطوه عن استكراه وإن منعوه منعوه كذلك . وإذا كان السؤال تعريضا ، ولم يكن تصريحا كانوا مخيرين فى الإعطاء وفى مندوحة من الفضل ، فان أعطى الطالب أعطى من غير استثقال ، وإن أمسك عنه عوفى || عن نقص الرد بعد السؤال . ففى ذلك [٧٩ ب] توقير جاهه والتخفيف عن أئمته . وينبغى للمؤمن اذا احتاج أن لا يبذل ماء وجهه إلا لإمامه فان لم يمكنه ذلك فلا يمكنه إلا لأوثق من يراه من المؤمنين

(١) هكذا فى الأصل ولعل الصواب لجاه .
(٢) هكذا فى الاصل . وقد كرر ذلك فيما قبل راجع ص ١١٥ . س ٢ ، ٣

إخوانه ولا يتعرض المسألة لأعدائه ، ولا يقبل منهم وإن جادوا عليه وابتدأوه فإن ذلك عز الإيمان والمؤمنين . وقد قال الصادق جعفر بن محمد صلوات الله عليه ووصف شيعته فقال : شيعتنا من لا [يتوالى عنا عدوا] [١] ولا يسأله ولا يقبل منه وإن هلك ضياعا . ونهى صلى الله عليه وسلم عن قبول هدايا المشركين والمخالفين وتحفهم وصلاتهم لئلا يستميل ذلك القلوب ، وقال بعض أولياء الائمة لأصحابه: حرام على من احتاج فسأل غيرى أو الثقة من إخوانه . وقد قيل اعط من شئت فأنت أميره وخذ ممن شئت فأنت أسيره . ولا ينبغى للمؤمن أن يأسر نفسه لعدوه ، ولكن إن وجد شيئا من وجهه وإلا فليصبر حتى يجعل الله له فرجا ومخرجا من أموره ويرزقه من حيث لا يحتسب كما وعد من ارتضاه من أهل دينه .

(١٥)

ذكر النهى عن انتظار افعال الائمة || والامر بتأبيها عنهم بالقبول [٨٠ ا]

قال الله عز وجل « وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » وقال : لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم . فطاعة رسول الله صلع فيما أمر به والانتهاء عما نهى عنه وترك الخلاف عليه فرض من الله تعالى على عباده وذلك من وجوه الطاعات له ، وقد قرن الله تعالى طاعة الأئمة بطاعته والطاعة لا تكون باللسان حتى تصحبها النية والاعتقاد ، ولم يجعل الله لأحد من عباده أن ينتقد على رسول الله صلع ولا أن يتعقب شيئا من فعله ولا أن ينكره بلسانه ولا بقلبه بل أوجب عز وجل التسليم له فى كتابه ولم يوجب الإيمان إلا به . وكذلك

(١) ـ هكذا الاصل ولعلها يوالى لنا عدوا

يجب ذلك لمن وصل الله طاعته بطاعته وجعله للأمة خلفا منه وهم الأئمة
من أهل بيته صلع ؛ فالواجب لكل إمام على أهل زمانه طاعتهم له وتسليمهم
لأمره وتركهم الاعتراض عليه ومخالفة أمره والانتقاد عليه والتعقب لأفعاله
لأن الله عز وجل ‖ قد قلد الإمام أمور عباده وتكفل بتوفيقه وتسديده ، [٨٠ ب]
وأورثه عمن تقدم من آبائه ، وزاده من فضله ومده بمعونته ، والإمام ينظر
بنور ربه ويعمل بتأييده اياه وعونه له ، وارشاده لما يحسن به العواقب ويصلح
العمل به فى كل عصر وزمان ومع كل قرن وفى كل وقت وأوان . ويجرى
فى كل يوم تدبيره ويستعمل لكل زمان ما يصلحه ، ويحدث فى كل عصر
ما يشبهه ويقابل كل قوم بما ينبغى أن يقابلهم به ويظهر فى كل حين ما يصلح
اظهاره فيه من أمر يأمر به ونهى ينهى عنه وحادث يحدثه وأمر يظهره وحالة
يستعملها ، وسيرة يجريها والناس عن تدبيره ذلك كله بمعزل وعن علم الصلاح
فيه بجانب غير أنهم قد اغروا بالانكار على الائمة وتكلفوا ما قد حمل من
فعلهم وما لم يجعل الله تعقبه وانكاره اليهم ، بل قد أوجب الاذعان والتسليم
فيه عليهم فان نظروا إلى زى الأئمة صلع ولباسهم وما يظهرونه من الإعداد
والقوة لمباهات أعدائهم ويصنعونه ويتيمونه لردعهم وارهابهم أوهموا لمن
وهم بذلك ‖ وطعنوا فيه عليهم وتكلموا فيه وأنكروه من فعلهم ، وقالوا لم [٨١ ا]
يكن رسول الله والخلفاء من بعده يتبعون مثل هذا كأنهم لم يسمعوا ما ذكره
الله عز وجل فى القرآن بما وهب من الملك ليوسف وداود وسليمان وما جاء
عنهم فى الأخبار مما كان لهم من النعم فى الدنيا والآثار ولغيرهم من النبيين
والصديقين والصالحين وما جاء فى ذلك من الأئمة الراشدين . فقد روى عن
جعفر بن محمد أنه قال : كان نبى بن نبى بن نبى بن نبى يجلس مجلس آل فرعون
فى أقبية الديباج مزررة بأزرة الذهب على الأسرة المرصعة بالجوهر يقضى
بين الناس بحكم الله تعالى وبكتابه ، وجاء عنه عليه السلام أنه قال كان لسليمان
ابن داود قصر فيه ألف حجرة فى كل حجرة منها امرأة كانت له ألف طروقة

منهن ثلثمائة مهرية وسبعمائة سرية . وحج صلوات الله عليه فى ثوبين [قوهيين][1]
فبينما هو فى الطواف إذ أخذ طرف ثوبه عباد البصرى فقال : يا أبا عبد الله
تلبس مثل هذا وقد علمت كيف كان لباس جدك على بن أبي طالب
صلع ‖ .....[2] [٨١ ب]

ذلك اللباس ولو لبست أنا اليوم مثله لقال الناس إن جعفر بن محمد لمراء
كعباد البصرى ، فأسكت عباد ، ولم يحر جوابا ، وتغامز الناس به ولقد كان
يوصف بالرياء ، والأخبار فى مثل هذا تخرج عن حد هذا الكتاب ،وقد قال
الله تعالى « قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل
هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة »[3] والدنيا عند أولياء الله
أهون من الذر ومقداره ، ومن الهباء المنبث وغباره ، ولهم فيها نظر وتدبير
فيما يأتونه ويدبرونه فى كل دهر وزمان بما يرون بأنهم يصلحون ، فالحذر عباد
الله الحذر من إنكار ما ترونه وتشاهدونه من أمرهم وفعلهم ، واغضائهم
وإنكارهم وتصرف الأحوال بهم وعن أمرهم بألسنتكم أو بقلوبكم أو
بخواطر أنفسكم ،وعليكم ما حملتم،وسلموا لهم ماحملوا تغبطوا وتسعدوا وتسلموا
فكفى بالمرء جهلا أن يتكلف أمرا لم يكلفه ، واعلموا أن سعى الأئمة صلع
وما يفعلونه وإظهارهم ما يظهرونه جهادا لأعداء الله ، واستعدادا فى سبيل
الله فإن ظفرتم ‖ أنتم من حلال الدنيا دون حرامها ، وطيب كسبها دون [٨٢ ا]
خبيث حطامها ، فقصدتم به ذلك فيها وأخرجتم من واجب الله إليهم فيها ،
فأنتم السعداء بما اكتسبتم ، والفائزون بما علمتم ، وإن تريدوا بذلك فخرها
ومضاهاة أولياء الله بما يظهرون منها فأنتم الخاسرون والمعتدون من فعل ذلك
فيها أعاذكم الله من الخسران والزيغ والعدوان . فقد جاء : أن من تزيى بزى الإمام

---

(١) هكذا فى الأصل ولعلها مفوبين أى مصبوغين بالفوة .

(٢) الـكلام لا يستقيم فى هذا الموضع مما يدل على سقطات فى الأصل .

(٣) سورة الأعراف ٧ / ٣٢

فقد كفر. وقال جعفر بن محمد «صلع»: أشرك من ترأس علينا إن الرياسة لا تكون إلا لنا. ورأى بعض الأئمة صلع بعض رجاله وقد تزيى بمثل زيه، فأمر به فأدب أدباً نكل فيه، إذ علم صلوات الله عليهم منه أنه أراد بذلك أن يضاهيه. وكذلك ينكر الجهال على الأئمة صلوات الله عليه ما فعله الناس فى أزمانهم، ويأتيه من خالف أمرهم من عمالهم والمتسببين بأسبابهم، كأنهم لم يسمعوا قول الله تعالى فى كتابه، وذمه من اتبع من اتبعوه من عباده على أنبيائه وأصفيائه إذ يقول جل ثناؤه «واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ‖ [٨٢ ب] ولكن الشياطين كفروا»[١] وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى خالد بن الوليد لما خالف أمره وفعل مالا يجب فعله فيما وجهه له واستعمله عليه، «اللهم إنى أبرأ إليك مما فعل خالد» فليس من خالف الله ورسوله وأولياءه فيما أمروا به حجة عليهم، وإنما الحجة فى ذلك على من خالف الحق فيه، وليس على أنبيائه وخلفائه فى أرضه حجة فيما خالفهم فيه من تعدى فظلم نفسه بمخالفتهم، فمن أنكر هذا على أولياء الله فإنما أنكره على الله تعالى لأن أمر الله تعالى فى ذلك قد خولف، كما خولف أمر أولياء الله الذين أمرهم من أمره ونهيهم من نهيه. ومما ينكره من أمور الأئمة من لا دين له يرجع إليه، ولا تمييز له يقتصر عليه، ولا عقل له من ذلك يردعه لو ذكرناه لطال به الشرح، وخرج عن مقدار هذا الكتاب حده والوصايا فيه والتحذير منه، وقد جاء عن بعض الدعاة إلى الأئمة صلوات الله عليهم قول يعبر عن جميع ذلك ويأتى على جملته، وذلك أن بعض الأولياء من خراسان سأل داعيه الإذن له فى المصير إلى بعض الأئمة صلع فلم ‖ [٨٣ ا] يأذن له فى ذلك فألح عليه فقال له: ويحك مقامك ها هنا أسلم لك وأعفى. قال وكيف ذلك قال: أنت ها هنا على يقين ومعرفة بامامك والأئمة صلع لما ظهروا لظهور أمر الله لم تقم أمورهم إلا بمعاملة أهل الدنيا بالدنيا وأخشى عليك إن أنت صرت إلى دار الإمام أن

---

(١) سورة البقرة ٢ / ١٠٢

ترى بعض ذلك فتنكره بلسانك أو بقلبك فتهلك ويحبط عملك ، قال : ما كنت بالذى أنكر شيئاً من ذلك ماكان . فألح عليه فى الإذن فقال : إن لم يكن فى ذلك بد فآخذ عليك العهد كما أخذته أولا أنك إن رأيت الإمام بعينيك يزنى ويشرب الخمر ويأتى الفواحش — وقد أعاذ الله الأئمة من ذلك — أنك لا تنكر ذلك بقلبك ولا بلسانك ولا يخالجك الشك فيه أنه صواب وحق قال : نعم فخذ علىّ ، فأخذ فى ذلك عليه . قال الرجل : فو الله لولا ما كان منه إلىّ فى ذلك لهلكت كما قال ، ولكن إذا رأيت أمراً أنكره ذكرت ما كان منه . وهذا ومايدخل فى معناه ، أشبه شىء بما قدمنا ذكره من قصة موسى ع م والعالم فيما أنكره موسى وهو صواب وحق من فعل العالم فى السفينة والغلام ‖ [٨٣ ب] والجدار ، على ما ذكره الله عز وجل فى كتابه . أدبوا أنفسكم أيها المؤمنون وانهوها عما تنكره من أفعال الأئمة ، واغضائها عما تنكره من أفعال أهل زمانها ، وسلموا كما أمركم الله تعالى بالتسليم لهم وأطيعوهم كما افترض الله عليكم طاعتهم واحذروا خلافهم والاعتراض عليهم والله ولى التوفيق .

(١٤)

ذكر ما ينبغى لمن استرعى أمر رعايا الأئمة

من السيرة بالعدل فيمن ولوا أمره من الأئمة

هذا باب يدخل فى جملته كل عامل للأئمة صلع على ما استعملوه عليه من رعية أو مال أو أمانة أو عمل ما كان ذلك العمل ، ويجب على جميعهم ما يجرى ذكره فيه وما يجرى فى هذا الكتاب مما جرى مجرى العموم ويدخل فى هذا الباب جميع العباد على ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله

أنه قال[١] : كلكم أمير وكل مسئول عن رعيته فالأمير مسئول عمن أمر عليه ، والرجل أمير على عياله ومسئول عنهم ، والمرأة أميرة على بيت زوجها وعلى [ما استحفظه عليها فيها] [٢] وفى نفسها ومسئولة عن ذلك ، والعبد أمير على ما أقامه له مولاه من مال ‖ ومسئول عنه فليتق الله كل امرىء منكم فيما أمر عليه وليعلم أنه مسئول عنه . وهذا قول جرى مجرى العموم عن رسول الله صلع فينبغى لمن دخل فى جملة هذا القول أن يحافظ على ما استحفظه رسول الله صلى الله عليه إياه ويحاسب فيه نفسه ويعلم أنه كما أخبره نبيه مسئول عنه . وأول ما ينبغى لمن ولى شيئاً من أمور الناس أو من أمور الأئمة صلع أن يبتدىء بصلاح نفسه قبل صلاح ما استعمل لإصلاحه فإنه من ضيع أمر نفسه كان لما سواه أضيع ، فكيف يأمر بالمعروف من لا يفعله ، أم كيف ينهى عن المنكر من يرتكبه ، قال الله تعالى : « أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون » [٣] . وقال رسول الله صلع : « لعن الله الآمرين بالمعروف التاركين له والناهين عن المنكر الراكبين له » ، فكيف يرجو خيراً من بكّته الله فى كتابه ولعنه على لسان رسوله ، أم كيف يزكو عمله ، أو يصلح الله به أمراً من أمور عباده ، ولكن إذا بدأ هذا بنفسه فأصلحها وجب أن ينظر فى صلاح غيره وإلا فكيف يرجو صلاح غيره وهو فاسد فى ‖ ذات نفسه ، أو يتعقب الخيانة على غيره وهو خائن فى ذاته والله يقول : « إن الله لا يهدى كيد الخائنين » [٤] ولا يصلح عمل المفسدين . وجاء فى الحديث : كيف ينظر أحدكم إلى القذى فى عين أخيه ويدع الجزع المعترض فى عينيه . فمن أمر نفسه بالمعروف ونهاها عن المنكر وجب أن يأمر وينهى بذلك غيره إذا نصب له ، ويأخذ على يديه

[٨٤ ا]

[٨٤ ب]

---

(١) سيكرر المؤلف هذا الحديث فى ص ١٣٤ مع تغيير بعض الألفاظ .

(٢) لعلك تلاحظ هذه الأخطاء فى استعمال الضمائر فالصواب : ما استحفظها عليه فيه .

(٣) سورة البقرة ٢ / ٤٤

(٤) سورة يوسف ١٢ / ٥٢

فيه وإلا فانه بمنزلة طبيب انتصب لعلاج الناس من داء هو ظاهر به فمن ذا تراه يثق بعلاجه أو يطيب نفساً به ويرجو البراءة على يديه ، وهو يرى أنه لم يبرىء نفسه التى هى أحب الأنفس اليه وأعزها عليه ، وهو بها أعنى وعلى عافيتها وصحتها أحرص ، وأخلق بمثل هذا الطبيب أن يتحاشاه الناس فلا يأمنه أحد لعلاج . فإن كان هذا يجرى هذا المجرى فى علاج هذه الأبدان القليلة البقاء القريبة الفناء ، فكيف ينبغى أن يكون النظر للأنفس التى يرجى لها الثواب الدائم ، ويخاف عليها العذاب اللازم ، فاذا أحكم الداعى هذا من نفسه فلينظر فيما استرعاه وليؤد الأمانة لله ولأوليائه فيه فإنه إذا أصلح أمر نفسه أصلح الله له كل أمر يريد صلاحه . وقد جاء عن رسول الله صلع أنه قال : من أصلح ما بينه وبين الله أصلح الله له ما بينه وبين عباده . || وفيما ذكرته من [٨٥ ا] هذا بلاغ وكفاية عما سواه من الوصايا ، لأن صلاح الحالات يأتى على جميع الخيرات ، والصالح بالحقيقة لا يأتى سوءا ولا يرتكب خطيئة ، فاذا كان كذلك صلحت أعماله كلها ، ونجا من تبعتها وإثمها ، ولكن فى الزيادة فى الشرح خير وتنبيه ، فيجب عليه بعد ذلك أن يقتدى ، فى كل ما يأتيه ويذره ويعطيه ويأخذه ، بكتاب الله تعالى وسنة رسوله وقول مواليه الأئمة من أهل بيته ووصية إمام عصره ومن أقامه لوصاياه ، فى هذا أيضاً جماع كل شىء وقال تعالى : « ما فرطنا فى الكتاب من شىء » . وقال تعالى : « فيه تبيان كل شىء » . وقال تعالى : « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » . وقال تعالى : « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم » . ثم نزيد بالشرح والبيان ونقول إنه يجب على المؤمن أن لا يعمل عملا يستحى من إمامه فمن دونه أن يعمل ذلك بحضرته إلا ما كان من الحلال الذى لا شبهة فيه ، مثل إتيان أهله ومنزله ومطعمه ومشربه الذى لا شك || فيه عنده أنه [٨٥ ب] حل له ، ولكنه لا ينبغى له أن يجاهر بكثير منه ، فأما ما كان حراما لا شك فيه أو شبهة لا يقين معها ، فينبغى اجتنابه فى السر والعلانية والمشهد

والمغيب، وقد تقدم مثل هذا فى غير هذا الباب، ويشعر مع ذلك نفسه ويجعل نصب عينه خوف العقوبة ورجاء المثوبة فى عاجل الدنيا وفى آجل الآخرة فيما يعمله ويقوله وينويه ويسره ويجهره، حتى كأن الجنة والنار وما يرجى ويخاف فى الدنيا من ثوب أو عقاب بين يديه ونصب عينيه، وأعماله قد دونت وأحصيت له وعليه، وأنه قد أدنى من الحساب، وجوزى باستحقاقه عليها من الثواب والعقاب، ويتذكر ويتفكر ويتدبر وينظر ما بين خير قليل دائم له فى دنياه موصول له بالنعيم الباقى فى أخراه، وبين لذة يستعجلها، ونهمة يتقدمها، ورغبة يصل إليها، تعقبه انقطاع الخير العاجل له، وتوجب العذاب الدائم فيه، مع حسن الثناء فى الدنيا على أهل الفضل والأمانة وسوء القول فى أهل الشر والخيانة، مع أن ماتفيده الخيانة من حطام الدنيا || [٨٦ ا] كالسراب الزائل فيها، والزبد الذاهب جفاء منها، والبركة كل البركة فى الحلال، وهذا معلوم موجود فى أكثر هذه الأحوال، مع واجب امتثال أمر الله تعالى فى ذلك إذ يقول فى كتابه: «الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر»[١]. وقوله تعالى: «إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل»[٢] وقوله: «إذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا»[٣]. وكثير من نظائر ذلك فى كتاب الله جل ذكره وقول رسول الله صلى الله عليه. وما تدبر هذا وما قدمنا ذكره فى هذا الباب عاقل إلا تبين له وجه الصواب فيه، وما يعمى عنه إلا الرعاع ومن جهل حظه، وكان بالبهائم أشبه منه حاسة ومعرفة من بنى آدم، فإن قول أمثال من كانت هذه حاله فى مثل هذا المعنى: أنفع الأشياء لك عاجل يومك. وكسرة مستعجلة خير من خبزه مؤجلة،

---

(١) سورة الحج ٢٢/٤١
(٢) سورة النساء ٤/٥٨
(٣) سورة الأنعام ٦/١٥٢

وإنما هى أكلة وميتة . وإنما لك بياض نهارك أو سواد ليلك . ومن يتكفل لعاقل بالحياة إلى قابل . وإذا نزل الغيث فاملأ جبك ‖ ، وموتك شبعانا خير من موتك جائعاً . فهل نفعت فلانا نصيحته وأغنته أمانته ؛ وقولهم للواعظ إذا وعظ : إذا دخلت أنت الجنة فاغلق الباب وراءك ، والق الناس على الصراط خير من أن تلقاهم بالسماط . فى كثير من مثل هذا الكلام من كلام السفلة والرعاع وأشباه الأنعام . وهذا باب لو تقصينا ما يدخله على الشرح والتمام لطال فيه القول واتسع له اللفظ والكلام ، ولكنا شرحناه بالمجمل من القول الذى يتفرع عند التحصيل وينتج الفوائد عند طلب التأويل ، فأما ماذكرناه من قول رسول الله صلع من أن كل امرىء راع مسئول عن رعيته [1] ، كالعامل فى رعيته ، والرجل فى أهله ، والمرأة فى بيت زوجها ، والعبد فى مال سيده ، فهو كما قال الرسول صلى الله عليه يجب على كل هؤلاء تأدية الأمانة فيما ائتمن عليه ، وأن يبدأ فى ذلك كما ذكرنا بنفسه ، فقد قال الله تع : « وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها » [2] فلم يأمره عزوجل بأمر أهله بها إلا مع أمره هو بإقامتها ، وهذا مما ذكرناه من البدء بصلاح الأنفس . وقال جل ثناؤه : « يا أيها الذين ‖ آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا » فقيل يارسول الله قد علمنا أننا نقى أنفسنا النار بأعمالنا الصالحات فكيف نقى منها أهالينا ؟ فقال : تعلمونهم أعمالكم الصالحة وتأخذونهم بها فتقوهم النار إذا عملوا بما أمركم بها . وقال صلع : إن الرجل الصالح ليعلم به أهله الخير حتى يدخلهم الجنة فلا يفقد من كان فى بيته فى الدنيا معه إلا هرة بيته . وقال : لا يزال الرجل الصالح يأخذ أهله وجيرته بالأدب الصالح ويعمل به حتى يدخلهم الجنة معه ، ولا يزال الرجل السوء يعمل السوء ويعلمه أهله وجيرته حتى يدخل النار ويدخلهم فيها معه . ويروى عن بعض الصالحين أنه احتاج الى ثمن أمة

[٨٦ ب]

[٨٧ ا]

---

(١) جاء فى ص ١٣١ س ١٦ (كلكم أمير مسئول عن رعيتك)

(٢) سورة طه ١٢٢/٢٠

سوداء كانت له باعها فاشتراها قوم ، وقد كان الذى باعها يقوم ويصلى من الليل ويقوم أهله فيصلون بصلاته حتى صار ذلك لهم طبعاً وعادة ، فلما باتت الأمة عند مواليها الذين اشتروها قامت للعادة فصلت هدياً من الليل ، فلم تر أحدا منهم قام ، فقرعت الباب عليهم ، فانتبهوا وقالوا : مالك ؟ قالت : قوموا إلى الصلاة ، فظن القوم أنهم أصبحوا || فقاموا فرجعت هى إلى الصلاة ، فرأوا الليل فعادوا فناموا ، فرجعت اليهم كذلك مراراً ، كل ذلك تقيمهم حتى صاحوا عليها وقالوا : إنك مجنونة ما تعرفين الليل من النهار ، فلما أصبحت خرجت عنهم وأتت مولاها تبكى فقالت : يا مولاى بعتنى من قوم لا يقومون الليل . وهذا من سليم الأدب الصالح وتلقين الخير وتعليمه والعمل به .

[٨٧ ب]

(١٥)

ذكر ما ينبغى أن يستعمل الدعاة إلى الأئمة صلوات الله عليهم فى دعائهم إليهم

هذا باب ينبغى لأهله أن يبدأوا بصلاح أنفسهم — كما ذكرنا فى الباب الذى مضى من قبله — بل يجب على هؤلاء من استعمال ذلك بالحقيقة والتحفظ فيه وإخلاصه أضعاف ذلك ، إذ كان من دعوه إلى الله وإلى أوليائه يقتدى بهم وينسب إلى أولياء الله ودينه مايكون منهم ، فهم أحق الناس بالورع والصلاح والتقوى والعفاف والعمل بكل صالحة واجتناب كل مكروه ، وهذا باب أيضاً يدخل فيه جماعة المؤمنين ، كما دخل فى الباب الذى قبله عامة المسلمين ، لقول الصادق جعفر بن محمد صلع لكافة شيعته ممن لم تطلق له الدعوة || «كونوا لنا دعاة صامتين» ثم بين ذلك وأخبرهم أنهم إذا عملوا صالحاً علم الناس أنهم أهل خير فدخلوا فى جملتهم ، وكانوا دعاتهم بأعمالهم لا بألسنتهم وكل مؤمن يعمل الخير فهو داع إلى الأئمة ، ولكن سبيله ما حد له لا ينبغى له أن

[٨٨ ا]

يتجاوزه ولا يقصر عنه ، فرأس أمر الدعاة إلى أولياء الله وسيد أعمالهم وقطب أمورهم صلاح أنفسهم بالدين الصادق والورع الحاجز والدعاء بالحكمة البالغة والموعظة الشافية ، كما قال الله لرسوله : «ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة» . ثم ينبغى للداعى اختبار أمر من يدعوه وتعرف أحوالهم رجلا رجلا ، وتميز كل امرىء منهم ومعرفة مايصلح له أن يؤتى إليه ويحمله عليه من أمر الله وأمر أوليائه ، ومقدار ما يحمله من ذلك وقدر قوته وطاقته ومتى يوصل ذلك إليه وكيف يغذوه به ، وامتحان الرجال وتعرف الأحوال ، ومقدار القوى ومبلغ الطاقات ، وعلم ذلك هو أفضل ما يحتاج إليه الدعاة فى باب السياسات والرياضات ، فكثير ما فسد أمر الداعى من جهله بهذا الباب || [٨٨ ب] وفسدت دعوته منه ، وقد يعترى من يجوز عليه التضييع من الدعاة وينفق عنده منهم وتجوز عليه الحيل من الفساد فى أمره والخلل فى دعوته مايطول القول بذكره . فينبغى للداعى أن يحكم أمر هذا الوجه من نفسه ويكون ألصق أهل دعوته به وأقربهم منه وأحقهم بفوائده من حسنت نيته وصفت طويته ودق ذهنه وصح اعتقاده وجاد عقله وملك شره وقام بفرضه ، ما كان مما كثر أو قل شرف عند الناس من كانت هذه حاله أو انحط لديهم أو صغر أو كبر عندهم ، إلا أن يحتاج الداعى إلى استمالة الأشراف فى حال تستميلهم ، كما تستمال المؤلفة قلوبهم على مقدار أحوالهم ، ولا يضيع من وصفنا حاله عندهم ، بل يجب أن يظهر من تقريبه لهم وإظهار فضله عندهم ما يكون ذريعة إلى التماس مثل ذلك لهم ، فإن التقريب على الدين والتفضيل به رالترفيع لأهله أقرب سبباً إلى اغتباط الناس به ودخولهم فيه وتصنعهم به لما يؤملون من [...][1] ارتقى بسببه ، والناس أبناء تحاسد وأكثر من طلب علماً أو دينا كان || [٨٩ ا] ابتداء طلبه منافسة نظيره وقرينه ، ومن رغب أن يحل محله ، ثم ترتقى الحالات بمن أراد الله سعادته إلى طرق الخير فيه ، ولذلك قال بعضهم

---

(١) هنا مكان كلمة شطبت ولم يثبت غيرها

وحلف بالله : لقد طلبنا العلم أول ما طلبناه لغير الله ، فما زال بنا العلم حتى ردنا إلى الله . وينبغى للداعى أن يتهيب عند أهل دعوته وأن لا يعودهم الجرأة عليه ، ولا يبسطهم كل البسط لديه فيهون عندهم ويصغر أمره لديهم ، فإنه كلما كان أهيب عندهم كانوا أكثر انتفاعاً به وأحرى عنده ، وليكن تهيبه ذلك بحسن الصمت وخفض الجناح ولين الجانب وحسن العشرة وجميل المخالفة ، من غير تجبر عليهم ولا تكبر فى أمره عليهم ، بل يكون التواضع سيماه والوقار همته والذكر هجيراه . وقد جاء عن الصادق جعفر بن محمد صلوات الله عليه أنه قال : اطلبوا العلم وتزينوا معه بالوقار والحلم ، وتواضعوا لمن تتعلمون منه ولمن تعلمونه ولا تكونوا علماء جبارين فيذهب باطلكم بحقكم. وقال: من طلب العلم ليدافع به العلماء أو يمارى به ‖ السفهاء أو ليصرف [٨٩ ب] به وجوه الناس إليه ليبز بينهم و تكبر عليهم فليتبوأ مقعده من النار . إن الرياسة لا تصلح إلا لأهلها . فينبغى للداعى أن يكون مهيبا فى غير تكبر ولا صلف ، متواضعا لا لمهانة ولا لضعف فإن اجتمع له أمره واستحكم واتصل له مراده وانتظم ، وعز فى أهل دعوته وعظم ، فليحسن إلى محسنهم ويقربهم على درجاتهم ، وينزلهم على طبقات أعمالهم ، ولا يهمل أمرهم ، فيدع عقوبتهم على ما يتضح له من ذنوبهم ، ويصح لديه من إسائتهم ، فقد كان من استحكم أمره من الدعاة يؤدب من يؤدب من أهل دعوته بصنوف من الأدب فيقصى بعضهم ويهجره ، ويأمر المؤمنين أن يهجروه فلا يكلمه أحد منهم ، ولا يدانيه فيبقى مهجورا فى قومه ، مبعدا فى أهله وخاصته حتى تضيق الارض عليه برحبها ويتطارح عليه فى التوبة وقبولها ، ويمتحنه بما شاء أن يمتحنه فى نفسه أو فى ماله أو فيما رآه من أحواله بعد المدة الطويلة والنكاية الشديدة ، ومنهم من يبكته على رؤس الملأ ، ومنهم ‖ من يذله ويوبخه فى [٩٠ ا] الخلاء ، ومنهم من يأمر بجلده ، ومنهم من يمضى العقوبة فى قتله ويمتحن بذلك أقرب الناس إليه فيأمر الأخ بقتل أخيه والحميم بقتل حميمه فيقتله

ويكون ذلك محنة للقاتل فى نفسه وعزاء فى وليه إذ لم يل أمره غيره ، وصلاحا له فى أن يسلم من الحقد قلبه ، فيعاقب كل امرىء منهم بقدر ذنبه ، ويجعل العقوبة له بحسبه ، ولم يكن يهمل شيئاً من أمرهم فاستقامت لذلك له إرادته منهم . وقد قال علىّ صلوات الله عليه إن الله جل ذكره أدب هذه الأمة بالسيف والسوط ليس عند الإمام فيهما هوادة . ولو علم الله جل ثناؤه أن عباده يصلحهم التجاوز عنهم لأمر به ، ولكنه جل ثناؤه حد حدوداً لذنوبهم ، إذ علم لاشريك له أن بها صلاحهم ، فجعل حد القاتل فى العمد القتل ، وجعل فى الخطأ الدية ، وحكم فى الزانى المحض بالرجم ، وفى البكر بالجلد ، وفى السارق بالقطع ، وفى المحارب بالصلب أو النفى ، أو قطع اليد والرجل ، وفى القاذف بالجلد ، وفى الشارب بالحد ، فى حدود فصلها وأحكام ‖ [٩٠ ب] افترضها وأجراها جعل بها عز وجل قول [...] (١) وصلاح عباده وأدب بريته ، وقد جاء عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال : « يؤتى يوم القيامة بحاكم قد عطل حدود الله فيقول الله عز وجل له حددت حدوداً فى خلقى ووليتك أمرهم فلم تقمها . فيقول : يا رب رحمت خلقك . فيقول الله عز وجل : أفكنت أرحم بخلق منى ؟ ثم يؤمر به إلى النار . ويؤتى بآخر قد تجاوز فى الحد فيقال له فى ذلك فيقول : يا رب غضبت لك بما ارتكب من محارمك . فيقول الله عز وجل : أفكنت أشد غضباً لى منى لنفسى ؟ ثم يأمر به إلى النار . فليس تقصير من أقامه الأئمة صلوات الله عليهم مقام من يقيم الحقوق وينفذ الحدود دونهم فيما تجب فيه أو زيادة منه فيه وتعديه من سبيل العدل والحق الذى أمر الله عز وجل وأمر أولياؤه بل الذى يجب من ذلك تنفيذها على ماحده الله منها ، وإنما سميت حدوداً لأن لا تتعدى بزيادة ولا نقصان وإنما يكون هذا للدعاة وغيرهم إذا أذن الأئمة صلوات الله عليهم فيه لهم . وهذا الباب أيضاً أجملت ‖ [٩١ ا] القول فيه كما أجملته فى الباب الذى قبله ، ولو بسطته لطال القول

---

(١) فى الأصل : بهم ولكن المعنى لا يستقيم ولعلها نبيهم .

له . وطبقـاة الدعاة والولاة ينبغى لهم التأدب بكل ماجرى ذكره فى هذا الـكتاب والتخلق به ، واعتقاده قولا وعملا ودينا ونية ، ولذلك أجريت ذكرهم فيه ، وهم أخص بالأئمة صلوات الله عليهم من كثير ممن قدمنا ذكرهم ، وإنما ذكر على ترتيب الابتـداء فى الأدب ، فإذا تأدب المبتدئ بها أولا فأولا واستعملها باباً باباً ، صار إلى درجة هؤلاء ، ودخل فى جملتهم إن شاء الله .
وهذا الباب رأيت أن أختم به هذا الـكتاب ، والله ولى التوفيق والصواب .
واسأل الله راغباً ملحفاً متضرعاً إليه أن يجعل ما عنيت به منه لوجهه ، وأن ينفعنى ومن نظر فيه ويهدينا بفضله ورحمته إلى الحق والصواب فيه عنده إنه خير مسئول وأكرم مأمول .

فهرست

صفحة

صدر من .

سلسلة مخطوطات الفاطميين

(١) كتاب المجالس المستنصرية للداعى ثقة الامام علم الاسلام

(٢) رسالة الرشد والهداية للداعى منصور اليمن

(٣) كتاب الهمة فى آداب أتباع الأئمة للقاضى النعمان بن محمد المغربى .

(٤) المؤيد فى الدين داعى الدعاة — حياته وديوانه

(٥) سيرة المؤيد فى الدين داعى الدعاة .

(٦) راحة العقل للداعى أحمد حميد الدين الكرمانى

(بالاشتراك مع الاستاذ الدكتور محمد مصطفى حلمى)

تحت الطبع

(١) سيرة الأستاذ جوذر

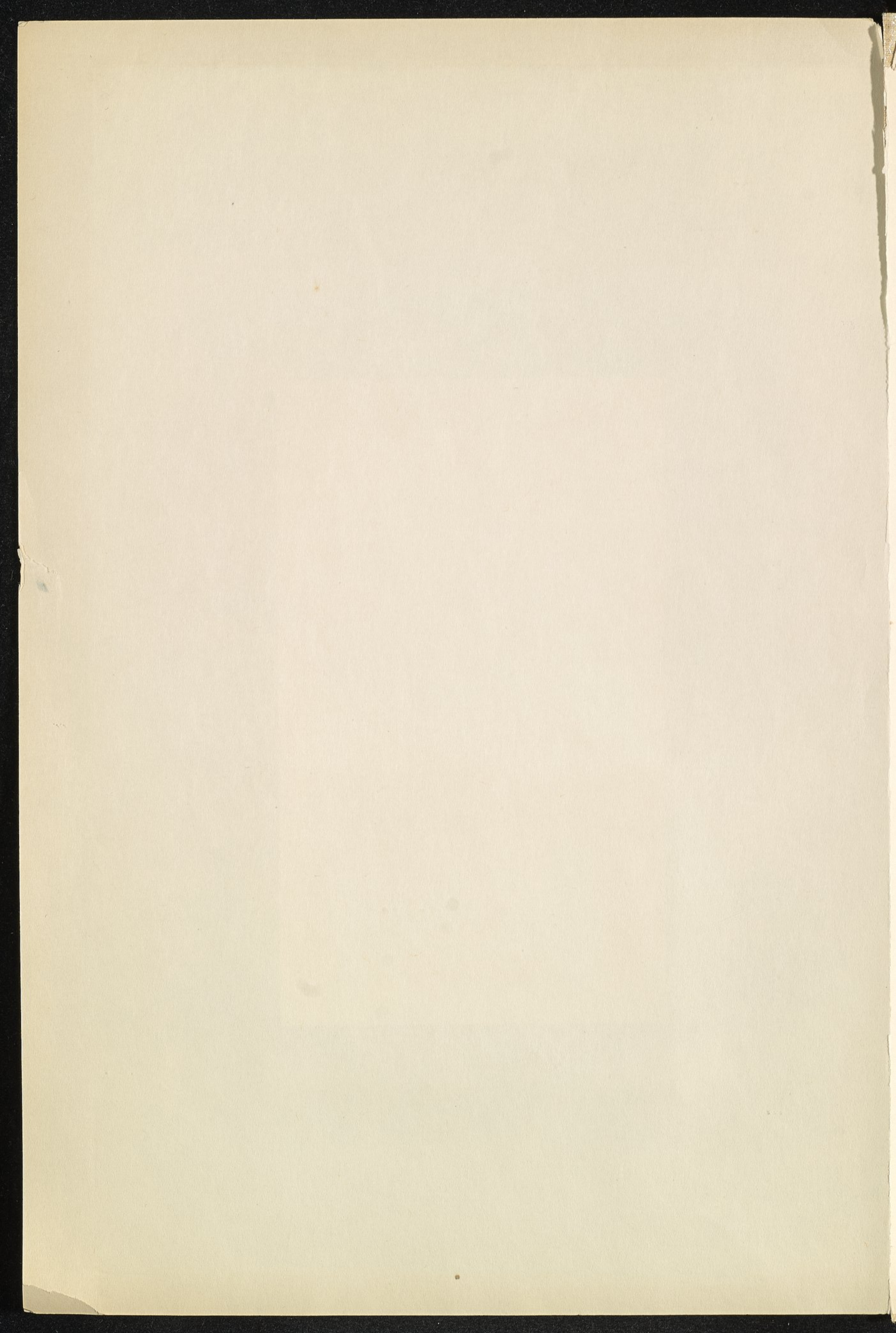
(٢) رسائل الكرمانى

(٣) مناظرات المؤيد فى الدين

(٤) إثبات الامامة للداعى النيسابورى

(٥) الرسالة الوضية للكرمانى

(٦) ديوان الأمير تميم بن المعز




COLUMBIA UNIVERSITY LIBRARIES
0022307095